من المسرح العالمى

شيطان الغابة
الخال فانيا

تأليف : انطون تشيخوف
ترجمة وتقديم : محمد حسن التيتى
مراجعة : حسن عبد المقصود حسن



من المسرح العالمي

أول يناير

شهرية

٤٠

شيطان الغابة

الخال فانيا

تأليف : انطون تشيخوف

ترجمة وتقديم : محمد حسين التيتي

مراجعة : [illegible]ن عبد المقصود حسن

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة عامة
بقلم المترجم

(١) حياة تشيخوف

ان اعجابنا بانطون تشيخوف وبادبه يزداد مع كل قراءة جديدة لأعماله ، اذ أن من المستحيل على القارىء ان يدرك روعة اعماله الادبية وعلى الأخص مسرحياته الناضجة من القراءة الاولى ، ولا عجب أن نعتبر بعض أروع اعماله المسرحية غامضة وغير مفهومة حتى لأقرب الناس اليه وألصقهم بادبه . ان تقويم اعمال انطون تشيخوف للمرة الاولى من الصعوبة بمكان كبير ، ولعل فشل مسرحيته النورس في عرضها الاول تقوم شاهدا تاريخيا على ذلك .

ان القلائل من الكتاب المسرحيين يتمتعون بما ينمتع به تشيخوف من احترام وتقدير فى عصرنا هذا ، وبعد ان كان الكثيرون من النقاد يشككون فى قيمة اعماله الادبية لما تتميز به من كآبة وتعقيد وغموض أصبحت مسرحياته تعتبر ممثلة لروح العصر الذى نعيش فيه .

ولكن ما الذى دعانا الى الاعتقاد بأن تشيخوف يمثل روح عصرنا بعد مضي قرن ونيف على مولده وما سر هذه الشعبية المتأخرة ؟

ويأتى الرد على ذلك من مسرحياته نفسها ، فجميعها تصور روح البأس والقلق والتساؤلات التى يتسم بها عصرنا ، اذ أننا نعيش فى عصر يسيطر عليه الخوف من الحروب النووية والتوتر الذى تخلفه سياسة الحرب الباردة وعدم الاطمئنان الى اقتصاد يعتمد كلية على الحرب . والناس فى جميع انحاء العالم يتساءلون : أهناك ما يمكن عمله لحل مشاكل الحياة المستعصية .. ؟ لقد قضى انطون تشيخوف حياته كلها باحثا عن مثل هذا الحل رغم أنه كان يائسا من العثور عليه ، وقد عبر عن ذلك بقوله « ان الحياة مشكلة مستعصية » .

فى نهاية الفصل الاول لمسرحيته النورس يتساءل احد الاطباء الذين يكثرون فى مسرحيات تشيخوف وهو يحاول التخفيف عن « ماشا » التعس ، يتساءل تساؤل اليائس العاجز

« ولكن ما الذى استطيع عمله يا ولدى ؟ اخبرنى ماذا استطيع ان اعمل ؟ »

ان هذا التساؤل الذى يتردد فى جميع اعمال تشيخوف ويهيمن على احداثها هو ولا شك سر مصريته وشعبيته المتجددة فى عالم يئن تحت وطأة الحيرة والقلق .

وقبل ان نبدأ بمعالجة ادب تشيخوف وفنه يصبح لزاما علينا ان نقوم باستعراض سريع لحياة هذا الاديب اللامع واعماله الخالدة .

ولد انطون تشيخوف فى بلدة تاجا نروج (Taganrog) الروسية « الواقعة » على شواطىء البحر الاسود فى السابع عشر من شهر يناير عام ١٨٦٠ . وهو ينتمى الى اسرة من الفلاحين الارقاء وقد تمكن جده الذى كان احد اقنان الارض عند اسرة تشرشكوف ، بعمله المضنى وكفاحه المرير ، من شراء حريته وحرية اسرته من سادته بمبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة روبل اى بمعدل خمسمائة روبل لكل فرد من افراد عائلته وذلك فى عام ١٨٤١ (١) اى قبل عشرين عاما من الغاء الرق في روسيا . وقد وصف انطون تشيخوف جده قائلا :

« كان جدى يتلقى سياط السادة النبلاء وكان اصغر موظفى القرية يستطيع ان يهشم راسه ، وكان هو بدوره يقسو فى جلد والدنا وكان والدنا يقسو فى جلدنا . »

اما والد تشيخوف وهو بافل ايجوروفتش(Pavel Yegorovich) فقد بدا حياته كاتبا في بلدة تاجانروج ولكنه افتتح محلا للبقالة بعد ان تزوج من يوجينا موروزوف (Eugenia Morozov) وهي ابنة تاجر صغير للاقمشة . وكانت عائلة تشيخوف تتكون من خمسة ابناء وابنة واحدة وهم الكسندر ونيقولاى وانطون وماري وايفان وميخائيل .

---

(١) تم الغاء الرق في روسيا في عهد الامبراطور الكسندر الثانى في عام ١٨٦١ .

التحق انطون تشيخوف بالمدرسة اليونانية فى بلدته فى عام ١٨٦٧ ثم انتقل بعد عامين الى مدرسة القرية الابتدائية . وظهرت ميول تشيخوف الادبية فى سن مبكرة واخذ يكتب النوادر والفكاهات والمداعبات البريئة في مجلة اسماها « الارنب » كما ساهم فى انشاء مسرح للمدرسة والكتابة له . وقد اضطرت اسرته ان تشد رحالها الى موسكو بعد ان باءت مشاريع والده التجارية بالفشل لتعيش عيشة الكفاف فى العاصمة الروسية مخلفة الصبى انطون وحيدا فى تلك البلدة ليتابع دراسته مما اضطره للعمل لاعالة نفسه وعائلته وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره . وقد ارهق تشيخوف نفسه بالعمل ، اذ أنه تحمل مسئولية اسرته كلها منذ ذلك الحين واصبح عائلها الوحيد فقد كان والده عاطلا عن العمل وكان اخوته يتعاطون الخمرة ليغرقوا احزانهم وينسوا واقعهم المرير . كان انطون تشيخوف فى صغره صبيا هادئا منطويا على نفسه، وكان شعوره بالذلة والمهانة لا يفارقه مما كان يدفعه الى تحاشى الناس والابتعاد عن صحبتهم .

وبعد أن أنهى تشيخوف دراسته الثانوية لحق بعائلته وانتسب الى كلية الطب فى جامعة موسكو عام ١٨٧٩ . وعندها بدأ بكتابة القصص الفكاهية فنجح فيها كل النجاح رغم تعاسته . كتب تشيخوف أولى قصصه رسالة الى جار عالم اثناء دراسته الجامعية وقد لقيت هذه القصة رواجا هائلا مما جعل المجلات تتهافت على قصصه . وقد كتب فى السنوات السبع الاولى من حياته الادبية اكثر من اربعمائة قصة هزلية بالاضافة الى الروايات والمقالات المتنوعة التى كان يكتبها تحت العديد من الاسماء المستعارة ، واشهر هذه الاسماء جميعها كان « انتوشا تشيخونتى » (Antosha Tchekhonte) وهو اسم كان يطلقه عليه زملاؤه فى صغره . لم تكن هذه القصص تتضمن اى مغزى فلسفي او أخلاقي اذ كان هم تشيخوف في هذه المرحلة هو تسلية القراء وارضاء المحررين ليدفع عن عائلته غائلة الجوع والفاقة . ومن الطريف انه كان يغرى اهله بالمال لتزويده بالموضوعات والنكت الطريفة لقصصه .

تخرج انطون تشيخوف فى كلية الطب عام ١٨٨٤ وعمل فى صيف ذلك العام في مستشفى زمستفو الذى نراه يكرر ذكره فى مسرحياته . وفى شتاء ذلك العام أصيب بأول نزيف رئوى حاد . وبالرغم من شغف تشيخوف البالغ بالطب الا انه لم يمارسه بشكل منتظم . وكان لمهنته اثر كبير على عمله كأديب لانها اتاحت له

فرصة الاختلاط بالناس والاحتكاك بمختلف طبقات الشعب . وفي عام ١٨٨٦ ظهرت اولى مجموعاته القصصية على شكل كتاب تحت عنوان « اقاصيص متنوعة » مما حقق له نجاحا هائلا ، واجتذب اليه اهتمام كبار الشخصيات الادبية وعلى الاخص « سوفورين » (Scuvorin) (١) الذى اصبح صديقه الحميم . وتعتبر هذه الصداقة فاتحة عهد جديد في حياة تشيخوف الادبية .

لم يكن تشيخوف راضيا عن نفسه لكتابته القصص الهزلية التى كانت بعيدة كل البعد عن عالمه الحقيقي ، فقد كان يحس بالعبودية للمجلات الهزلية ولمحرريها ، وكان يتوق الى التخلص من استبدادهم والقيود المهينة التى كانوا يفرضون عليه الا يتخطاها ، وكان على يقين من ان استمراره في ارضائهم سيقضي عليه لا محالة فما ان واتته الفرصة في عام ١٨٨٦ حتى قطع ما بينه وبين القصة الفكاهية نهائيا ، واخذ يكتب الموضوعات الجادة مقتربا تدريجيا من تشيخوف الحقيقي الذى كان حبيسا في اعماقه ، واخذ يمزق الاقنعة الزائفة التى كانت تحجب الرؤية عن عينيه وبدا يكتب قصص التعاسة والالم والشقاء . وفي اواخر عهد تشيخوف بكتابة القصة الهزلية بدا الصراع واليأس الذى يعتمل في صدره يطفو على السطح ولكنه كان يحاول جاهدا تمويه هذا اليأس واخفاءه باسلوبه الساخر وتهكمه اللاذع . كانت مطالب اسرته الكثيرة العدد والضئيلة الموارد تكبت روح التمرد والثورة عنده . وكان تشيخوف يعتبر هذه الحقبة من حياته الادبية فترة حمقاء ، فكتب مرة يقول : « ان تشيخوف لا يرضى بالكثير مما كتبه تشيخونتي » . لكن بالرغم من ذلك كله فان قصص تشيخوف الفكاهية لا تقل جودة واتقانا عن قصص تورجنيف وجوجول . ويعتبر تشيخوف رائدا من كبار رواد فن القصة القصيرة ، فقد وجه القصة القصيرة الى تصوير موقف عابر نابض بالحياة دون الاهتمام بالحبكة مما يجعله على نقيض مع

---

(١) وهو رئيس لتحرير اشهر جرائد بطرسبرج اليومية المعروفة باسم « نوفوى فريميا » (Novoye Vremya) وتعتبر المراسلات التى جرت بينه وبين تشيخوف والتى نشرت في ستة مجلدات من أروع الكتابات الادبية في ذلك العصر .

مدرسة موباسان(١) . كانت القصة القصيرة قبل تشيخوف تعتبر صورة مصغرة من القصة الطويلة ، وكان الغرض من كتابتها ارضاء حاجة من لا يمكنهم وقتهم وفراغهم من قراءة القصة الطويلة » ولم يكن ينظر الى القصة القصيرة على انها فن قائم بذاته . كان تشيخوف اول من نادى باستقلال القصة القصيرة وابتدع فكرة اللحظة العابرة واخذت قصصه ترسم صورة واحدة من صور الحياة أو شخصية تحت تأثير موقف معين مما يجعل كاتب القصة القصيرة اشبه بالمصور الفوتوغرافي . كان هذا اعظم ما حققه تشيخوف في ميدان القصة القصيرة ، واخذ الكتاب بعده يقتفون اثره ، واتخذت القصة القصيرة طابعها الاصيل مما جعل تشيخوف يعتبر اماما للقصة القصيرة .

وفي عام ١٨٨٧ بدا المسرح يجتلبه اليه فكتب اولى مسرحياته ايفانوف التى عرضت على مسرح « كورش » في موسكو وبطرسبرج . وفى عام ١٨٨٨ توطدت علاقات تشيخوف بسوفورين وذهبا سويا لقضاء الصيف فى أوكرانيا . وقد قام تشيخوف برحلة الى شبه جزيرة القرم فى نفس السنة ونجا من الموت باعجوبة عندما اصطدمت السفينة التىكانيركبها بسفينةاخرى. وفي نفس السنة ايضا فاز بجائزة بوشكين للاداب على مجموعة قصصة القصيرة المسماة الشفق واصبح عضوا فى جمعية اصدقاء الادب الروسى . وفى عام ١٨٨٩ كتب مسرحيته الثانية « شيطان الغابة » التى عرضت فى مسرح سولوفزوف (Solovzov) فى موسكو لبضعة أيام ولكن تشيخوف لم يكن راضيا عنها مطلقا فقد كتبها فى مدة لاتتجاوز الاسبوع وكان اخراجها سيئا للغاية ، فقد قامت بدور البطولة فيها ممثلة بدينة وكان على البطل أن يدعوها « يا فاتنتي » ولكنه مع ذلك كان يعجز عن تطويق خصرها بذراعيه . كما ان الحيلالمسرحية كانت في منتهى السذاجة ، فالوهج الناتج عن احتراق الغابة كان مثيرا للسخرية مما دعا تشيخوف الى سحب المسرحية وعدم السماح بعرضها ، وقد اعاد كتابتها بعد عدة سنوات وأسماها الخال فانيا .

---

(١) غى دوموباسان (١٨٥٠ ــ ١٨٩٣) أديب فرنسي ويعتبر من أشهر كتاب القصة القصيرة فى العالم كله . تمتاز قصصه القصيرة بالوضوح والواقعية وبساطة التعبير ودقة التفاصيل . كان يصور العالم كما يراه بأمانة وكان سرده للقصة يتسم بالتسلسل المنطقي للاحداث ووحدة التأثير وجودة الحبكة .

وفى عام ١٨٩٠ قام تشيخوف برحلة الى سيبيريا لدراسة احوال المعتقلين فى جزيرة سخالين والقيام باحصاء للسجناء وقد كان للتقرير الذى كتبه عن رحلته الى سخالين صدى كبير مما حدا بالدولة الى اجراء الكثير من الاصلاحات فى أحوال المعتقلين وتخفيف قانون العقوبات . وفي نهاية العام عاد الى موسكو مارا بسنغافورة والهند وسيلان وقناة السويس ، وكان يشعر فى هذه الفترة بآلام شديدة وبدات نوبات السعال تهاجمه بلا هوادة ، وكان يصحب هذه النوبات خفقان شديد فى القلب ، وعندما بدات الشكوك تساوره بسبب حالته الصحية . وفى عام ١٨٩١ قام تشيخوف برحلة للاستشفاء زار فيها معظم بلدان غربى اوروبا ولكن هذه الرحلات لم تعق نشاطه الادبي وتابع انتاجه الغزير المتدفق . وفي السنة التالية ظهرت قصته العنبر رقم ٦ . وفى هذه القصة بدات بذور التمرد والثورة فى الظهور عنده ، وأخذ يهاجم قوى الفساد والطغيان التى كانت تخنق الانفاس ، وتقف حائلا ضد حرية الفرد ، وتعمل على سلبه ارادته وانسانيته . لم يعد تشيخوف هنا ذلك الكاتب الهادىء الرزين الذى يتامل ما حوله فى هدوء وتجرد ونزاهة ويرضى بالواقع دون التعليق عليه ، بل نراه هنا يغلي بالحقد والمرارة على قوى الاستبداد والبغي والظلام ويدعو صراحة الى الثورة على الواقع المرير مناديا بحتمية التغيير أو الفناء . لقد اخذ العملاق الحبيس فى صدر تشيخوف يتململ واخذت صرخاته تنطلق مدوية ضد كل قوى البغي والطغيان ، فاخترقت هذه الصرخات طريقها الى القلوب وبدأ الناس يتململون فى مضاجعهم وقد ألهبتهم السياط وجعلتهم يستفيقون على مافى واقعهم من صنوف العسف والاضطهاد والجور . (١)

وفى عام ١٨٩٢ انتشرت المجاعة في مقاطعة نوفجورود (Novgorod) وتطوع تشيخوف لمساعدة المنكوبين وقام بتأسيس هيئة تقوم بجمع التبرعات وتعني بتزويد الفلاحين المعدمين بالخيل وقطعان الماشية . وفى السنة ذاتها اشترى قطعة أرض فى ميليخوفو (Melikhovo) القريبة من موسكو بمبلغ ثلاثة عشر الف روبل وانتقل اليها مع عائلته واخذ يقوم باصلاح الارض وتعبيد الطرقات وزراعة الاشجار واقامة

---

(١) قال لينين عندما قرأ قصة العنبر رقم ٦ « لم أستطع البقاء فى حجرتى بعد أن قرأت هذه القصة فنهضت وخرجت الى الطريق وأنا اشعر باننى حبيس تماما فى العنبر رقم ٦ » .

المدارس والمستشفيات عليها . وقد انتشر وباء الكوليرا فى نفس تلك السنة فساهم انطون تشيخوف فى مكافحته وعين رئيسا فخريا لاطباء المكافحة فى منطقته واخذ يزور جميع القرى ويقوم بالقاء المحاضرات للتوعية بين الفلاحين . وكان لاحتكاكه المباشر بالفلاحين اثره فى بعث اهتمامه باصلاح احوالهم والتخفيف من بؤسهم . كان تشيخوف مثالا للانسانية والعطف على الناس ولم يناده داعي الواجب يوما الا لباه . ومواقفه في دفع الضيم عن وطنه تشهد له بالسمو .

وفى عام ١٨٩٥ كتب مسرحيته النورس ومما يدعو للعجب ان هذه المسرحية العظيمة قد منيت بالفشل الذريع فى العرض الاول لها على مسرح بطرسبرج . ويعتبر سقوطها شاهدا تاريخيا على ان المسرحية الكبيرة يمكن ان تلقى الفشل على أيدى جمهور ضيق الافق عديم الخيال . وقد كتب تشيخوف بعد العرض الفاشل للمسرحية ، « لن تغيب ذكرى ليلة الامس عن بالى مطلقا ولن اعود الى كتابة المسرحيات ثانية ولن اسمح لاحدباخراجها . » ولكنه ما لبث أن غير موقفه بعد النجاح الذى لاقته المسرحية فى عرضها الثاني فقد تم احياؤها في مسرح الفن فى موسكو عام (١٨٩٨) وادى ذلك الى توطيد علاقة تشيخوف بالمسرح منذ ذلك الحين . وفى النورس يتطور الفعل او الحدث الدرامي بصورة منطقية وتلقائية نتيجة التفاعل التام بين الشخصية والموضوع بحيث يتحقق الاندماج التام بينهما تدريجيا ، وقد بلغ التزاوج بين الشخصية والموضوع حدا اعطانا صورة صادقة ومقنعة للحياة . تعالج المسرحية واحدة من أهم مشاكل الفن وهي مشكلة العوامل التى تخلق الفنان الموهوب . فكل من البطلين الشابين كونستانتين ونينا يحاول النجاح فى مضمار خاص من الفن : كونستانتين في الكتابة ونينا فى التمثيل . وكان تشيخوف يعتبر هذه المسرحية ملهاة مما حير المخرجين والنقاد طيلة سبعين عاما وخاصة بعد ان نجح كونستانتين ستانسلافسكي فى اخراجها كماساة على مسرح الفن فى موسكو بعد النجاح المذهل الذى لقيته المسرحية فى عرضها الثانى . ولم يكن تشيخوف راضيا عن اخراجها بهذا الشكل المأساوى مما ادى الى شيء من سوء التفاهم بينه وبين ستانسلافسكي ، ذلك ان المأساة والملهاة تسيران جنبا الى جنب فى جميع اعمال تشيخوف بحيث يتعذر فصل احداهما عن الاخرى فى كثير من الاحيان . ولم يكن انتحار فنانفاشل يشكلماساة فينظر تشيخوف الطبيب الذى كان يتاملالموتى دون أى انفعال ، كما ان انتحار كونستانتين لفشله كمؤلف لم يكن يخلو من عنصر الفكاهة

والهزل » والامر المهم فى نظر تشيخوف هو مثابرة نينا فى طريقها الى النجاح ، فهي تتحقق اخيرا ان الالم هو الذى يخلق الفنان المبدع لانه يكون عنده قدرة على الاحتمال تمكنه من متابعة سيره وتحقيق أهدافه .

وفى عام ١٨٩٧ اشتدت وطاة المرض على انطون تشيخوف وفاجاته نوبة حادة من النزيف الرئوى وهو يتناول الغذاء مع سوفورين فى أحد مطاعـم موسكو مما اضطرهم لنقله الى المستشفى ، وعندها اكتشف الاطباء انه مصاب بالسل فنصحوه بمغادرة موسكو ، وقد عمل تشيخوف بنصيحة اطبائه وسافر الى فرنسا فى شـتاء ذلك العام .

وفى عام ١٨٩٨ احتلت قضية دريفوس (١) جزءا كبيرا من اهتمامه فاذا به يشمئز من الحملات العدائية التى تشنها عليه جريدة « نوفوى فريميا » التى يقوم صديقه سوفورين برئاسة تحريرها مما يؤدى الى قطع علاقته به نهائيا . وفي نفس السنة يموت والده ويضطر بناء على الحاح الاطباء الى الاقامة فى القرم مع عائلته حيث يشترى قطعة من الارض بالقرب من يالتا ويستقر هناك بعد ان يبيع مزرعته فى ميليخوفو. وفي هذه الفترة يكتب مسرحيته الخال فانيـا التى تلقى نجاحـا منقطع النظير في القاطعات وكذلك عندما يخرجها مسرح الفن فى موسكو فى السنة التالية . وسنعرض لهذه المسرحية بشيء من التفصيل في الصفحات القادمة .

وفى عام ١٩٠٠ اشتدت وطاة المرض على تشيخوف وبدأ ينتابه الهزال ولكنه مع ذلك استمر في العمل فكتب الشقيقات الثـلاث . وفي تلك السنة انتخب هـو وجوركى (٢) عضوين في الاكاديمية الروسية ولكنه تخلى عنها احتجاجا على الغـاء

---

(١) الفريد دريفوس ضابط فرنسى اتهم بالخيانة وحكم عليه بالسجن وتم الافراج عنه اخيرا عندما اثبت التحقيق انه كان ضحية للمؤامرة والعنصرية .

(٢) اسمه الاصلى هو مكسيموفتش بتشكوف وهو معروف باسم مكسـيم جوركى (١٨٦٩ ــ ١٩٣٦) من كبار الروائيين الروس . كانت حياته بائسة فى صغره مما دفعه الى التفكير فى الانتحار . بدأ حياته الادبية بالكتابـة للصحف وكـانت جميع افكاره واعماله تهدف الى الوصول بالشعب الى مستوى افضـل . أشهـر مؤلفاته « الام » و « المشردون »

القيصر نقولا الثانى لعضوية جوركي . وفى عام ١٩٠١ تزوج تشيخوف من الممثلة المشهورة اولجا نبر (Olga Knipper) وكان موفقا فى زواجه منها . انهى تشيخوف كتابه الشقيقات الثلاث فى نفس ذلك العام وعرضت فى « مسرح الفن » فى موسكو ونالت نجاحا ساحقا . ب

تدور حوادث هذه المسرحية فى قرية صغيرة تجرى الحياة فيها بشكل رتيب ممل والشقيقات الثلاث يشعرن بالحنين لموسكو ويحلمن بالعودة اليها لانها فى نظرهن رمز للثقافة والسعادة والنور ويعتبرن حياتهن فى الريف نفيا لهن وقتلا لمواهبهن . ورغم انهن يحاولن التاقلم مع هذه الحياة السقيمة التافهة الا ان جميع محاولاتهن تبوء بالفشل وتستمر قوى الياس والظلام فى تعريتهن من كل ما هو جميل وقيم الى ان تقضى عليهن قضاء مبرما . وتقوم ناتاشا وهى اشد شخصيات تشيخوف حقدا وميلا الى الوحشية والانتقام بتجريد هذه الاسرة شيئا فشيئا من كل ما تملك الى ان تتركها حطاما . وتمثل ناتاشا البيئة الريفية الوضيعة فهى غريبة فى تلك العائلة الراقية وتتصف بكل صفات الخسة والسوقية وتعمل مع البيئة فى اتجاه مدمر واحد الى ان تنهار الاسرة المثقفة تماما امام قوى الجهل والشر والعدم . ويبدى تشيخوف هنا كراهية بالغة للريف المتاخر واحواله المؤلمة ، وقد يكون ذلك صدى لكراهيته للقرية التى شهدت طفولته : قرية تاجانروج ، فقد كتب يصفها مرة : « انها تتسم بالقذارة والكآبة والبلادة والجهل . »

وفى عام ١٩٠٣ انتخب تشيخوف رئيسا مؤقتا للجمعية الادبية ولكن صحته بدأت تتدهور واخذ المرض يقعده فى بيته اياما مما ادرك معه ان النهاية قد باتت وشيكة. ويقتصر انتاجه الادبى فى هذا العام على قصة قصيرة واحدة « العروس » ومسرحية بستان الكرز التى عرضت على مسرح الفن فى موسكو عام ١٩٠٤ ، الا ان صحته لم تساعده على حضور عرضها مما اضطر اصحابه لحمله على الحضور . ويجمع النقاد على ان مسرحية بستان الكرز هى رائعة تشيخوف دون منازع فهى آخر اعماله واكثرها اشراقا وتمتاز بالعمق والنضج ودقة التحليل النفسى . ويشعر تشيخوف بالاعتزاز وهو يقول متباهيا « انها تخلو من اى طلقة مسدس » . (١)

---

(١) فى كل مسرحيات تشيخوف الاخرى ينتهى الفصل الثالث عادة بطلقة مسدس اما لحادث انتحار او محاولة قتل .

ورغم ان بستان الكرز تعتبر مسرحية سياسية الا ان تشيخوف لا يتخذ موقفا واضحا من الصراع القائم بين الطبقة الاقطاعية باستغلالها البغيض والطبقة الجديدة التى تعتبر ان « روسيا هى جميعها بستاننا » وفى نفس الوقت الذى يعرى فيه تشيخوف فساد النظام القديم وتعفنه وعجزه عن مسايرة الواقع نراه يعرب عن اسفه وحنينه لهذا النظام الذى يتميز بالجمال واللطف والثقافة . فتشيخوف يظهر حياده الشديد تجاه الصراع الطبقى ويكتفى بدور الخبير القضائى الذى يعرض الحقائق بحرية وامانة تاركا للمحققين (وهم هنا المشاهدون والقراء) حق اصدار الحكم كما هى عادته فى جميع مسرحياته الاخرى .

ان مسرحية بستان الكرز تعالج مشكلة التحول الاجتماعى والاقتصادى والثقافى الذى بدا يطرا على الحياة الروسية نتيجة تدهور الطبقة القديمة البالية وقيام طبقة جديدة ، فبستان الكرز يعانى نفس المصير الذى تعانيه روسيا . اذ ان الضيعة فى نظر الطبقة الاقطاعية التى تمثلها مدام رافنسكى هى روسيا : ارض الملكية الخاصة التى يحكمها ويتمتع بها اصحابها . اما الذين كانوا يقاسون من هذا النظام فهم العبيد الارقاء الذين كانوا ينظرون الى « تروفيموف » من كل شجرة فى البستان . لقد حان الوقت الآن لروسيا ان تنفض عنها نير الملكية الفردية وتصبح ملكية عامة وبلدا موحدا ، ويتحقق هذا التغيير على يد لوباهين الذى يخلص البستان من الطبقة الطفيلية التى تملكه ويحوله الى ضيعة نموذجية تقوم رمزا لكل الضياع الاخرى . وعندما تسلم مدام رافنسكى بستان الكرز فانها تفعل ذلك على مضض ، وليس ذلك بغريب ، فهى تمثل الطبقة الاقطاعية التى تسلم امتيازاتها الى الجيل الجديد الذى يمثله العصامى لوباهين .

وفى مايوم عام ١٩٠٤ اشتدت وطأة المرض على تشيخوف فلم يستطع ان يغادر فراشه طيلة ذلك الشهر . ثم ذهب فى الشهر التالى الى بلدة بادن ويلا الالمانية للاستشفاء بصحبة زوجته . ولكن الموت يترصده ، ففى الثالث من شهر يوليو وبعد ان استنفد الطب جميع وسائله قدم له الطبيب كاسا من الشمبانيا فلم يفت تشيخوف معنى ذلك فاعتدل فى فراشه وقال للطبيب بالالمانية « اننى اموت » ، ثم ابتسم لزوجته وقال « لقد مضى على زمن طويل لم اذق فيه طعم الشمبانيا . » ثم شرب الكأس واضطجع فى مرقده فى هدوء وفارق الحياة .

٢ : آراء تشيخوف الفلسفية

عبر تشيخوف اكثر من اى كاتب مسرحى آخر فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عن وحشة الانسان وعزلته وضآلته وعجزه امام القدر القاسى الذى يقوض حياته فلا يتركها الا حطاما ، لذا كانت شخصيات مسرحياته انعزالية مستبطنة ، تشعر بالبؤس والضياع في هذا العالم ، فقد خابت آمالها ، وتبددت احلامها ، فوقفت حائرة لاتدرى ماذا تفعل بنفسها . ماضيها ركاموانقاض ، وحاضرها تافه مرير ، ومستقبلها لغز غامض لا يلتمع فيه بصيص من امل . ففى مسرحية ايفانوف يعجز البطل عن انقاذ نفسه من مستنقع الخمول والوخم ، وفى النورس يفشل الجميع فى حبهم ، وفى الخال فانيا تذهب احلام الجميع شعاعا، اما الشقيقات الثلاث فلا يوفقن فى الذهاب الى موسكو ، بل حتى لو ذهبن فما كان ذلك ليواتيهن بحل لمشاكلهن . ومجمل القول ان الانسان لاحول له ولا قوة ازاء المواقف التى تفرضها عليه الحياة فرضا ، فلا هو يستطيع ان ينوقاها ، ولا هو يملك لها دفعا . وبالرغم مما يبذله الانسان من جهود جبارة كى يتغلب على عوامل اليأس والقنوط ، اذا بالقدر القاسى يقف له بالمرصاد يتربص به الدوائر ليحطمه ويسحقه .

فلا غرو ان تصل كل شخصيات تشيخوف الى نتيجة واحدة : ان اغلى امانى الحياة واعزها عقيمة لا قيمة لها ، فاستروف وزرعه للغابات و « سيربرياكوف » ومقالاته ، و « فيرشنين » وسعادته و « ايرينا » ورغبتها في العمل واحلامها بالحب الصادق ، والشقيقات الثلاث ورحلتهن الى موسكو ، بل وحتى « مدام رانفسكى » وبستان الكرز نفسه ـ كلها مجرد اوهام . وآية ذلك انه بالرغم من اهمية البستان لمدام رانفسكى الا انها لا تفعل شيئا لانقاذه ، فالبستان ـ وهذا هو الغريب فيالامر ـ بالغ الاهمية ولا اهمية له فى الوقت ذاته .

ولعل ذلك هو سر وجود الكثير من شخصيات تشيخوف ذات النزعة الهروبية في مسرحياته . ففيدور يهرب الى الخمر والقمار وماريا الى كتبها وسيربرياكوف الى غرفة مكتبه . ومهما تنوعت هذه المهارب فهى وسائل تمكن هذه الشخصيات

من الانطواء على نفسها والعيش فى عالمها الخاص المغلق بعدما تصطدم بالواقع وتعجز عن الوفاء بمتطلباته .

ولكن اهذا كل ما يطلع به تشيخوف علينا ؟ اهذه فلسفته فى الحياة ولا شيء غير هذا ؟ لو صح هذا لكانت مسرحياته مجرد صور متلاحقة من الفشل واليأس والتشاؤم . كلا ، فالحقيقة غير ذلك . صحيح انه يدرك ان الانسان وحيد عاجز فاشل ، الا ان شعوره بالمسئولية تجاه الحياة الانسانية كان يلح عليه دائما ويدفعه الى العثور على حل لمشكلة الانسان ، فاذا به يقضى حياته كلها باحثا منقبا عن جواب دون يأس او كلل ، ولعل مسرحياته جميعها خير دليل على ذلك .

كتب ((توماس مان)) في احدى مقالاته عن تشيخوف :

((يتحتم على الانسان ان يواجه حقيقة فشله فى صراعه مع الحياة . الا ان ضميره المتصل بعالم الروح لن يتلاءم البتة مع طبيعته وواقعه وظروفه الاجتماعية ، ومن ثم كان لابد لتلك النفوس الكبيرة التى تشعر بمسئوليتها الضخمة نحو الحياة ومصير الانسان ان تعانى دائما من أرق وليد النبل))

وحقا نقول : لم يعان كاتب من ذلك ((الأرق وليد النبل)) مثلما عانى تشيخوف فاعماله جميعها تعد ((ارقا وليد النبل)) وبحثا متواصلا عن الحقيقة وعن الجواب الشافى لسؤاله ((ماذا يجب أن نفعل ؟))

ولعل لحياة الكاتب اثرا كبيرا فى تلوين نظرته الى الحياة . نعم ، فقد قضى تشيخوف شرخ شبابه في كفاح مرير ضد الفقر والعوز ، واخيرا عندما لاحت له بارقة من أمل فى حياة سعيدة هانئة ، اذ به يكتشف ـ وياهول ما يكتشف ـ انه لن يستمتع بثمرة كفاحه وانه سيموت شابا بداء الصدر . ثم وا اسفاه ! ـ قضى حياته كلها وهو يبحث فى دأب وصمت عن الحب ، فلما عثر ـ اخيرا ـ على نشدته في شخص زوجته الممثلة الكبيرة ((اولجانيبر)) استبان ان هذه السعادة ماهى الا سراب ، فظروف عملهما كانت تباعد بينهما معظم اوقاتهما ، كما ان شبح الموت كان يخيم بظلاله القاتمة على حياته الذاوية ولم تمض ثلاث سنوات على هذا الزواج حتى وافته منيته .

كانت التعاسة تلاحقه حتى فى علاقاته مع أخلص اصدقائه امثال ستانسلافسكى

ودانشنكو من مسرح الفن في موسكو . وكان لتشجيع هذين الفضل الاكبر في نجاح تشيخوف ككاتب مسرحي ، بل ومن المؤكد ان مسرحياته الثلاث الاخيره لم تكن لترى النور لولاهما . ولكن علاقته بستانسلافسكي كان يرين عليها التوتر دائما ، فستانسلافسكي ، في نظره كان يفسد مسرحياته باخراجه ، الامر الذي كان يحزنه ويثبط همته . وقد دفع هذا الكثيرين الى القول بان تشيخوف لم يصادف في حياته سوى الخيبة والياس ، فاذا اضفنا الى كل هذه التعاسة ترقبه الدائم للموت الذي ما كان ليخفى على طبيب مثله لادركنا مصدر شعوره بان الحياة ما هي الا لفظة مرادفة للعزلة والفشل والسخف .

وعصره ؟ ترى أكان عصرا ترفرف عليه السعادة ام يخيم عليه الشقاء ؟ الجواب : كان عصرا اسود يدفعه العسف والارهاب . فالقادة السياسيون كانوا ، آنذاك ، موضع شك وريبة . حتى الفئات السياسية التقدمية اقتصر دورها على الهاء الجماهير بوعود معسولة واصلاحات شكلية مزعومة لا تسمن ولا تغني من جوع .

كانت روسيا تجتاز فترة حالكة من تاريخها ، فالقيصر الكسندر الثاني الذي قام ببعض الاصلاحات الداخلية كالغاء الرق وتحرير عبيد الارض في عام ١٨٦١ ، لم ينجح في خلق طبقة من الفلاحين من ملاك الارض ، الامر الذي اوغر عليه صدور الراديكاليين وزاد من حركة الارهاب والفوضى فاغتيل القيصر في عام ١٨٨١ ، وكان اغتياله فاتحة عهد ارهاب حكومي ، فاذا بروسيا تغدو في عهد الكسندر الثالث ، دولة تسيطر عليها اجهزة البوليس السري بكل ما لها من بطش وجبروت . وكان الكسندر الثالث رجعيا متعصبا فقضى على حرية الراي قضاء مبرما . وفي عام ١٨٩٤ خلفه القيصر نيقولا الثاني – آخر القياصرة الروس – فانتهج سياسه ابيه الرجعية الاوتوقراطية ، مما ادى الى معارضة الاحرار وازدياد النقمة والارهاب واغتيال كبار الموظفين . ثم هزمت روسيا في حربها مع اليابان فقامت مظاهرات من العمال والفلاحين مطالبين بتحسين اوضاعهم ، فما كان من القيصر الا ان امر باطلاق النار عليهم فاجج بذلك كراهية الشعب لحكمه .

عاصر تشيخوف هذه الفترة العصيبة من تكميم الافواه وتجويع المواطنين ورقابة اجهزة البوليس ، ولم يكن امام من يتذمر او يشكو الا ان يموت بغيظه او ان ينتحر في صمت . وفعلا تفشت ظاهرة انتحار الادباء والمصلحين يأسا وكمدا .

بعد هذه العجالة التى اوجزنا فيها تلك الاحوال المحزنة السائدة فى روسيا وقتذاك يحق لنا ان نتساءل : ماذا كان موقف تشيخوف مواطنا واديبا ؟

الحق أنه انعزل عن السياسة بمفهومها الخاص ، لا عن تقاعس او فتور في وطنيته ، بل يأسا من حكام عصره وامتعاضا من اساليب يتجاذبها بطش ونمويه . ولكن أيعنى هذا ان تشيخوف كان يقف موقف المتفرج ؟ ـ كلا ، لقد أخذ على عاتقه مهمة تصوير مظالم عاله ـ فى كتاباته ـ تصويرا واقعيا أمينا . لم يتلاعب بالافكار ولم يتفلسف ، فهو لا يبالى بالفلسفات النظرية بـل يعبر عن استهانته بالفلسفة ومذاهبها واصحابها بقوله « لعنة الله على فلسفة اعظم من فى العالم » . نعم ، لم يلتزم تشيخوف باى فلسفة اللهم الا بفلسفة الفن ، علما بأن الفنان الاصيل في نظره هو الفنان الموضوعى الذى يصور الحياة المحيطة به كما هى فى واقعها ، وبدقة لا تشوبها مواقف ذاتيه . فلا غرابة اذ يطالعنا فى كتاباته بصور طبيعية من الحياة لا تكلف فيها ولا زيف . حسبه تصوير الواقع بماله وما عليه ، مبتعدا فى ذلك كل البعد عن اصدار أى حكم ، كائنا ما كان ، على شخوصه . ورغم ان مسرحياته تزخر بمناقشات فكرية وسياسية واجتماعية هى من صميم الواقع الذى يصوره ، الا انه يعرض هذه المناقشات عرضا موضوعيا بحتا تاركا للقارىء او الشاهد حرية الحكم والتعليق ، الامر الذى حدا بالكثير من النقاد الى تسميته « بالكاتب العلمى » . وقد كتب تشيخوف يقول في احدى رسائله لصديقه سوفورين، فى معرض حديثه عن شخوصه : « انها ليست نتاج أفكار سابقة ، او عملية منمقة ، او صدفة محضة ، بل هى حصيلة الملاحظة الملاحظة ودراسة الحياة » .

ترى اى هدف كان يرمى اليه تشيخوف من تصويره الواقعى ؟ ـ كان تشيخوف يهدف الى ابراز مفاسد عصره ومظالمه حتى يدرك مواطنوه انها مساوىء يتحتم عليهم الخلاص منها فراح يعرى قوى القمع والارهاب كى يوقظهم من سباتهم فينطلقوا كالاعصار يحطمون الاصفاد التى كبلتهم مئات السنين . وكان تشيخوف يدرك خطورة الدور الذى يقوم به ، فقد كتب يقول فى رسالة اخرى لسوفورين .

« ان خيرة الكتاب الكلاسيكيين واقعيون يصورون الحياة كما هى ، ولكن لما كان كل سطر فى كتابتهم يتضمن هدفا معينا ، فانك لا تشعر بالحياة كما هى فحسب، بل كما يجب ان تكون »

كان تشيخوف يرى ان واجبه يفرض عليه ان يعايش عصره القاتم بلا يأس ، وان يفتح اعين مواطنيه علـى عوامل اليأس فيلهبهم حقدا عليها ويحفزهم الى قهرهـا واستئصالها . وتتجلى عظمته في صلابة موقفه ، فقد ابى ان يزيف الواقع المؤلم ، كما ابى ان يتحول الى الدين او الصوفية كما فعل دستوفسكي وتولستوى (١) .

غريب ، بعد ذلك ، ان يتهم بعض النقاد ادبه بالتخاذل واليأس ـ تهمة يدحضها ما سبق ايراده من نهجه ومرامه . ثم هاك دليلا اخر : اقرأ اعمال تشيخوف تر ان الفكرة الوحيدة التى يتردد صداها في معظم قصصه ومسرحياته والتى يمكننا ان ننظر اليها على انها تمثل فلسفته ـ فلسفته الوحيدة ـ في الحياة هي فكرة « العمل » يدعو اليه صراحة ، وينهى عن الخمول والكسل .

ففي بستان الكرز يقول تروفيموف الشاب المثقف الحالم :

« على الانسان ان يكف عن تمجيد نفسه . عليه ان يعمل ولا شيء غير ذلك » .

وفي مسرحية الخال فانيا يقول سيربرياكوف ، ناصحا ، وهو يودع استروف :

« انني احترم طريقتك في النظر الى الامور واحترم حماسك ودوافعك ، ولكن ارجو ان تسمح لرجل عجوز مثلي ان يضيف ملاحظة واحدة فقط الى كلمة الوداع : يجب ان نعمل ، سيداتي سادتي . يجب ان نعمل »

والعمل في نظر تشيخوف ، ليس فرض عين فحسب ، بل هو ترياق للهموم جميعها ، فها هو الخال فانيا لا يجد مهربا من شقائه سوى العمل . يقـول مخاطبا سونيا :

---

(١) قبض على دستوفسكى عام ١٨٤٩ لنشاطه السياسي ونجا من الموت رميا بالرصاص باعجوبة ، اذ نفي في آخر لحظة الى سيبيريا حيث قضي ثلاث سنوات فيها يعاني من البؤس والعذاب مما اثر عليه وجعله يتحول الى الدين والصوفية وهذا يظهر واضحا في رواياته. من اشهر رواياته «الجريمة والعقاب» و «الاخوة كرامازوف». اما تولستوى لقد مر بازمة روحية جعلته يعود الى الايمان والدين واعتناق مبدأ المقاومة السلبية ويعتبر غاندى تلميذا له . اشهر رواياته : « الحرب والسلام » و « أنا كارنينـا » .

« اشعر بانقباض ... يجب ان ابدأ العمل فورا ... يجب أن أفعل شيئا ... أى شيء . الى العمل ، الى العمل ! » .

ثم استمع الى سونيا وهى تصرخ في ايمان وحماس :

« يجب ان نواصل الحياة رغم تعاستنا ... سنستمر فى العيش يا خال فانيا . سنعيش أياما طويلة وليالي موحشة . سنصبر على ما يخبئه لنا الدهر من محن . سنعمل لخدمة الآخرين دون كلل فى شبابنا وفى شيخوختنا . وعندما يحين أجلنا فسوف نستقبل الموت دون شكوى . وهناك من وراء القبر سندرك ان حياتنا كانت مليئة ، يا خال فانيا ، بالالم والشقاء والكفاح المرير ..... »

وثمة تهمة أخرى توجه الى تشيخوف ـ خلو مسرحياته من الابطال ذوى التأثير الدرامى . وقد لامه الكثيرون من أصدقائه ، ومن بينهم تولستوى نفسه ، لافتقار مسرحياته الى ابطال ايجابيين ثوريين ، فما كان من تشيخوف الا ان رد عليهم قائلا :

« ولكن ، بالله عليكم ، اين أجد هؤلاء الابطال ؟ اكون سعيدا لو عثرت عليهم . حياتنا حياة خشنة .... طرق وعرة ، وقرى فقيرة ، وجماهير مهيضة ... كنا فى صغرنا نغرد كالعصافير فوق اكوام القاذورات ، فلما بلغنا الاربعين اذ بنا عجائز نفكر فى الموت ، فيالنا من ابطال ! »

حقا ، لم يكن عصر تشيخوف عصر بطولة او أبطال ـ لم يكن عصر « اوديب » او « عطيل » أو « الملك لير » ، فهل يطاوعه ضميره أن يخدع مواطنيه فيخلق نماذج بطولية كاذبة لعمالقة وهميين من أناس مكدودين يكدحون فى المزارع والمصانع ، او من أولئك الذين يرتمون متهالكين على مقاعد المكتباب وصالات المسارح ؟ كان تشيخوف يصر دائما على ان مهمة الاديب الخلاق هي تصوير ما يراه فى عالم واقعه بكل نزاهه واخلاص ، لذا كان أبطاله اناسا بسطاء يتحدثون في امورهم اليومية دون تصنع أو رياء ، ويدفعون القارىء او المشاهد الى مشاركتهم آلامهم وآمالهم ، ويستثيرون عطفه لما تنطوى عليه حياتهم من مآس وكروب .

والحقيقة ان خلو مسرحيات تشيخوف من الابطال يعتبر اجل خدمة قدمها كاتبنا للمسرح الروسى ، فقد واجه الناس بالحقيقة المؤلمة التى كان ينطوى عليها واقعهم المرير . كان اليأس يسيطر على شتى مظاهر الحياة فى روسيا ، وقد نجح

نشيخوف نتيجة لهذه المواجهة الصريحة الجريئة في ايقاظ عوامل النقمة لدى جمهور متفرجيه ، فصاروا يتململون في مقاعدهم ويخرجون ونفوسهم مضطرمة بالثورة . فهذا جوركي يقول بعد مشاهدته مسرحية الخال فانيا .

« مخيل اليَّ وانا ارى شخوصها على خشبة المسرح كان منشارا مفلولا يعمل في جسدى تمزيعا وتقطيعا » .

ورغم خلو مسرحيات تشيخوف من الابطال الا انها لم تكن تخلو من «المهرجين» ، وهذا امعان منه في واقعيته ، فقد كان يرى ان ادخال هذا العنصر في رواياته امر ضرورى يتفق واحساسه بسخرية الحياة وتفاهتها . من هنا كان اتسام جل شخصياته ببعض صفات بهلوانية تثير الضحك ، فهو ينزع عنها صفات الاحترام ، وهذا يخفف من شعورنا بالاسى على قدرها المحزن . فمحاولة فانيا الفاشلة اغتيال سيربرياكوف ، مثلا ، لا تثير فينا رعبا ولا فزعا ، بل سخرية واستهزاء ، وسقوط تروفيموف على الدرج،وانفعال تريبليف وفقدانه السيطرة علىاعصابه بعد مشاجرته مع امه — كلها مشاهد تبعث على الابتسام . كان تشيخوف في جميع ادوار حياته يصر على ان حقيقة الحياة تدعو الى السخرية . وبمقدورنا ان نقف على هذه الحقيقة اذا ما قارنا بين ما تقوله شخصياته وما تفعله ، فشخوصه في جميع مسرحياته تضفي على نفسها كل صفات الحكمة والعظمة بشكل يدعونا الى التسليم بصحتها ، فاذا بنا نكتشف في النهاية ان هذه الشخصيات تناقض نفسها فتفعل ما تنهى عنه ولا تفعل ما تحض عليه . ففي الخال فانيا تقول يلينا لسونيا :

« يجب الا تبلغ بك الظنون بالناس الى هذا الحد . هذا لا يليق بك . لا بد أن نثق بالناس والا استحالت الحياة » .

موعظة حسنة وكلام جميل حقا ، ولكنها آخر من يعمل به ، فلا يسعنا الا ان نضحك او ، قل ، نبتسم ، لتناقض موقفها .

وفي مسرحية النورس يشن تريبليف ، الكاتب الناشيء ، هجوما عنيفا على المسرح فيقول :

« ان في اعتقادى ان مسرحنا تافه ، فهو لا يعدو أن يكون صيغا مبتذلة مكررة وقيودا قديمة بالية » . . .

ثم يتبع هذا بقوله :

« اننا في حاجة الى صيغ وقوالب جديدة ، فان لم نستطع الحصول عليها ، فخير لنا الا نحصل على شيء مطلقا . »

ولكنه عندما ينزل الى الميدان ويمارس الكتابة فعلا ، يعجز عن تحقيق مثله فيفشل وينتحر . اذن فهناك تعارض واضح بين آراء شخصيات تشيخوف وتصرفاتها ـ تعارض يدعو الى السخرية ، وهذا هو جوهر فكرة تشيخوف : ان مصدر ضعف الانسان يكمن في طموحه ومثله العليا التى يعجز عن تلبية متطلباتها .

وثمة وسيلة اخرى تمكّن تشيخوف من تحقيق سخريته ، وذلك باللجوء الى مقاطعة الحوار والانتقال المباغت من الجد الى الهزل مما يؤدى ، بدوره ، الى ابراز الجانب الهزلي بمسرحياته . ففي الفصل الاول من الخال فانيا يثور نقاش حاد بين فانيا ووالدته ، ثم يتمكن الحاضرون من اسكاته ، ويطبق صمت ثقيل ، ولكن يلبنا تخفف من حدة هذا الصمت فتقول :

« ما اجمل هذا النهار ! الجو لطيف »

فيجيبها فانيا متذمرا :

« نعم ، يوم بديع يصلح لأن يشنق فيه الانسان نفسه ! »

وفجاة تدخل مارينا للبحث عن دجاجاتها وهى تصيح :

« تشك ـ تشك ـ تشك »

تحول مفاجيء يعقب عبارة فانيا التى تنطق بالسخط والغيظ ، ولكنه يخلق نوعا من الهزل الشائق الذى يرسل الابتسامة الى شفاهنا رغم ما نشعر به من غصة والم .

وهناك وسيلة ثالثة يستخدمها تشيخوف في مجال السخريه ـ ميل شخصياته الى التفلسف والقاء الخطب المطولة ، ففانيا ، مثلا ، لا يفتر عن القاء الخطب السهبة بين الحين والحين.والواقع ان الكثير من النقاد،وعلى راسهم ستانسلافسكي،

لم يدركوا المغزى الحقيقى من وراء ذلك . اما الناقد الكبير ت . س . اليوت (١) ، فقد فطن الى ما ينطوى عليه ذلك من حذق فى الصنعة المسرحية . وفى هذا كتب يقـول :

« ان القاء الخطب المسرحية يخدم الهدف الدرامى خدمة كبيرة ، فهو يفيدنا فى معرفة الزاوية التى تنظر منها الشخصية الى نفسها ، فلا يقتصر الامر على الزاوية التى ننظر نحن اليها من خلالها . »

وهكذا يتمكن تشيخوف من تقديم صورة صادقة للحياة ، فالماساة ، فى مسرحياته، تسير جنبا الى جنب مع الملهاة ، والخير يواكب الشر ، والحب يزامل البغض ، فالحياة ه في واقعها ، مزيج غريب من هذا وذاك ، وليس اقدر من تشيخوف على تصوير الحياة تصويرا صادقا بعيدا عن الزيف والتكلف .

٣ : فن تشيخوف المسرحي

يتركز اهتمام تشيخوف اكثر ما يتركز على الصراع الداخلي لشخصياته ، وغالبا ما يكون ذلك على حساب « الحركة الظاهرة » (او المباشرة) مما يجعل مسرحياته تبدو ، للبعض ، لاول وهلة ، باردة ، عديمة الحياة . فالناس فى مسرحياته كنظرائهم فى روايات بروست وكافكا (٢) وجويس (٣) ، يتحدثون كثيرا ويخططون كثـــيرا ولكنهم لا يفعلون شيئا .

---

(١) شاعر وناقد انجليزى . تعتبر مقالاته فى النقد الادبى من أحسن ما كتب فى هذا المجال . من كتبه المشهورة في النقد « مقالات قديمة وحديثة » و « فائدة الشعر وفائدة النقد » . حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٤٨ .

(٢) فرانز كافكا (١٨٨٣ ـ ١٩٢٤) : روائي المانى تتسم رواياته بالتشاؤم ، فالانسان فى نظره ، العوبة فى يد القدر القاسى ، وعبد للروتين الحكومي والقيود التى تفرضها الانظمة والقوانين الوضعية .

(٣) جويس : من الروائيين المعاصرين واهم ما يميز أعماله الادبية القدرة على سبر اغوار شخصياته وانعدام الزمن .

ولئن كان تشيخوف يستخدم العناصر والحيل التقليدية للمسرحية كانزال الستار بعد حادث انتحار او محاولة اغتيال ، او احداث اصـوات مثيرة كصوت فاس او قيثارة مشدوخة الا انه يستخدمها في مسرحياته الناضجة لاغراض تختلف تمام الاختلاف عن اغراضها التقليدية ، فهي ليست هدفا في ذاتها ولكنها وسيلـة غير مباشرة يقصد بها اثارة انتباهنا الى ما يجرى فى اعماق شخصياته .

ثم رغم انه يستخدم احداثا ميلودرامية مثيرة ، وبحرية كبيرة ، الا انه يعمل على اخفاء ملامحها . ففى شيطان الغابة ينتحر جورج ، وفى الخال فانيا يحاول فانيا اغتيال سيربرياكوف ، وفى الشقيقات الثلاث تطرد ناتاشا ال بروزوروف مـن بينهم وفى بستان الكرز يستولى لوباهين على البستان ويطرد الاسرة التى احسنت اليه ، وفى النورس يقوم تربجورين باغواء نينا ثم ينبذها ـ كلها احداث ميلودرامية مثيرة اتى بها تشيخوف ، ولكنها تحدث خارج المسرح فـاذا بالازمة تنتهى ، واذا بانتباه المشاهد يتحول نحو النتيجة المترتبة على الحدث .

ومن الاساليب التى يلجا اليها تشيخوف لاخفاء الاثر الميلودرامى انه يستبدل بالانتصار التقليدى لقوى الخير على قوى الشر تطلع شخصياته المدحورة الى فجر حياة جديدة ، فهذه نينا تقول :

« ان ما يهمنا سواء كنا كتابا او ممثلين ليس هو الشهرة أو التالق او تحقيق الاحلام وانما هو القدرة على التحمل . تعلم كيف تحمل صليبك وتحتفظ بايمانك »

وهذا تروفيموف يصرخ :

« اشعر باقتراب السعادة يا آنيا واكاد اسمع وقع خطاها »

وثمة وسيلة اخرى يلجأ اليها تشيخوف للهدف ذاته ـ انه يحمل الضحايـا جزءا من المسئولية عما يحيق بها من ظلم، ففانيا اصابه ما اصابه لانه فرط في حقه ، ويلينا مثال حى للبلادة والخمول ، ومدام رافنسكى لا تستحق العون لتبذيرهـا وعجزها عن مواجهة الواقع .

ان معظم مسرحيات تشيخوف تختلف اختلافا بينا عن المسرحيات التقليدية التى تهتم اكثر ما تهتم بالحدث ورسم الشخصيات والحبكة ، وذلك لانه يحاول ، كما

اسلفنا القول ، ان ينقل الينا شيئا مختلفا ، الامر الذى حتم عليه صيغا درامية جديدة واساليب معالجة جديدة ، ففى مسرحياته الناضجة تطالعنا احداث يومية عادية ، احداث وان كنا نبتسم لمشاهدتها ـ سخرية ـ فان قلوبنا تكاد تنفطر لها . هو اذن يضرب بالمبادىء التقليدية ، ومبدعها ارسطو ، عرض الحائط ، مركزا اهتمامه على الكشف عن الحياة الانفعالية لشخوصه . مثل هذا النوع من المسرحيات لا بد ان يستغنى ـ اساسا ـ عن الحبكة التقليدية ، اذ ان احداث الحبكة التقليدية تطلب التسلسل التدريجى للوصول بها الى نهايتها الطبيعية ، وكل ما يرد فى المسرحية التقليدية من حوار واحداث واشارات ما هو الا جزء يدفع بحركة المسرحية الى الامام ويرتبط ارتباطا مباشرا بتسلسل « الفعل » او الحدث . هذا الترابط المنطقى للاحداث الدرامية ينطلق من المبدأ الذى عبر عنه ارسطو بقوله ان المسرحية ما هى الا محاكاة لعمل هام كامل له فاتحة ووسط وخاتمة ،فلا يحق للمؤلف المسرحى الذى يبنى العقدة ان يفتتح مسرحيته او يختمها كما يشاء ، بل عليه مراعاة طبيعة كل من هذه الاقسام وقيمتها . هذا رأى ارسطو ، وهو راى الكتاب والنقاد التقليديين اما تشيخوف فلم يحفل بمبدأ « محاكاة العمل » هذا ، وكان له منطقة فى ذلك فهو يؤمن بأن الازمات فى الحياة الواقعية لا تخضع للترتيب المنطقى للاحداث ، وليس لها بداية ولا وسط ولا نهاية . الحياة فى نظره بحر يزخر بالازمات والتناقضات وبكل ما هو غامض ملغز ، وتشيخوف يريد من مسرحياته ان تبرز هذه التناقضات وان توحى بالاضطراب والتعقد والغموض ـ وكلها عوامل تتحكم فى الكثير من التصرفات الانسانية . ونوجز فنقول ان شغله الشاغل هو عرض صور صادقة للحياة كما هى . ففى مسرحية بستان الكرز يتلخص الموقف فى وصول مدام رانفسكى الى البلدة لان البستان سيباع . وفى نهاية المسرحية يباع البستان ويغادر الجميع المكان . لا شىء يحدث بالمرة ، فالموقف واحد ويخلو من الحدث الدرامى بمفهومه الشائع ، ولكن تشيخوف يكشف لنا الكثير ، خلال فصول المسرحية الاربعة ، عن الحياة كما هى لاثنى عشر شخصا يرتبطون بالموقف .

والواقع اننا نستطيع ان نقسم اعمال تشيخوف المسرحية الى مرحلتين :

١ ـ المرحلة الأولى : وتسمى « مسرحيات » الحركة المباشرة وهى بلاتونوف وايفانوف و شيطان الغابة . ومسرحيات هذه الفترة مبنية على نسق المسرحيات التقليدية من حيث الحبكة واستخدام المشاهد المثيرة وانزال الستار بطريقة مفتعلة

والصراعات العاطفية السطحية . ففى مسرحية ايفانوف ينتهى الفصل الاول وقد قررت آنا – قرارا لا رجعة فيه – ان تلحق بزوجها ، وينتهى الفصل الثانى وقد اكتشفت زوجها بين ذراعى ساشا ، اما الفصل الثالث فينتهى بمصارحة ايفانوف لزوجته بانها توشك ان تموت ، ثم يسدل الستار فى الفصل الرابع على انتحار ايفانوف .

وفى مسرحية شيطان الغابة تكثر المصادفات العجيبة والمواقف المفتعله . تكتب فوينيسكى لهلين يبثها حبه وغرامه ، ولكنه يترك الرسالة فى الحديقة ؟! فتعثر عليها سونيا ، ابنة زوجها ، وتكون قطيعة وعداء . ثم تهبط علينا ، من حيث لا نحتسب مفكرة جورج ، بعد انتحار صاحبها ، وذلك تبرئة لساحة الينا ، زوجة الاستاذ ويشب حريق مروع فى احدى الغابات لان الكاتب يريد اقصاء شخصية رئيسية عن خشبة المسرح . وينقلب فيدور – شرير الميلودراما التقليدى وذلك العربيد السكير المغامر – ينقلب ، فى طرفة عين ، انسانا لا غبار عليه . وفى نهاية المسرحية يلتئم شمل الاحباب وتهل بشائر الافراح والليالى الملاح : الينا تعود الى زوجها ، وسونيا تتزوج خروشوف بعد تمنع واحجام ، وجوليا تتزوج فيدور بعد ان كان الزواج عزيز المنال .

ثم بدأ تشيخوف يشعر ، شيئا فشيئا ، ان هذه المشاهد خادعة ، وانها تباعد بين فنه وبين الحياة الواقعية ، مما حدا به الى الغائها نهائيا فى مسرحياته الناضجة .

٢ – المرحلة الثانية : وفيها يتخطى تشيخوف كل القوانين المسرحية التقليديه ويركز اهتمامه على الكشف العميق عن الحياة الانفعالية لشخوصه ، وغالبا ما يكون ذلك على حساب « الحركة الظاهرة او المباشرة » ولكن ماذا نعنى بلفظه « الحركة » فى المسرحية ؟ لنستمع الى جواب الاستاذ على احمد باكثير فى كتابه « فن المسرحيه من خلال تجاربى الشخصية » . يقول فى ايجاز وافصاح :

من المتفق عليه ان المسرحية قائمة على الحركة فحيث لا توجد الحركة لا توجد مسرحية ، ولكن المقصود بالحركة يحتاج الى الايضاح . فليس المقصود بها الحركة الجسمانية فهذه قد تكون فى كثير من الاحيان خالية من اى قوة درامية ، بينما قد

يكون السكون التام فى بعض الاحيان انبض بالحياة الدرامية واشد جيشانا واحتداما من اى حركة ظاهرية .

وانما المراد بالحركة في المسرحية هو ان يستمر الخط المسرحى متحركا لا يقف لحظة واحدة . انها تلك التى تحدث الحركة المتجددة فى ذهن المشاهد فلا يفتر ولا يركد ابدا . ويكون ذلك بالوقفة الساكنة كما يكون بالحركة الظاهرة ، ويكون بالجملة الصامتة كما يكون بالجملة الناطقة . كل جملة تدفع الحدث خطوة الى الامام تسمى حركة ، وكل سكتة وكل اشارة وكل شىء يؤدى الى هذه النتيجة يسمى حركة ، ومالا يؤدى الى هذه النتيجة لا يسمى حركة وان كان مليئا بالجرى والقفز .

وقد يدور الحوار الطويل بين اثنين لا يبرحان مقصدهما ويكادان يكونـان ساكنين تماما ، ويكون مع ذلك نابضا بالحركة الدرامية المتجددة .

وهذا هو النهج الذى يترسمه تشيخوف فى مسرحياته الناضجة التى تنتمى الى هذه المرحلة .

وفى هذه المسرحيات نرى تشيخوف يستغنى عن الترابط التاريخى والتسلسل الزمنى للاحداث ، كما يستبدل الموقف الواحد الذى يكشف عن الحياة الانفعالية لشخصياته بالحبكة التقليدية التى تتالف من العديد من المواقف الدرامية . ففى هذه المسرحيات نجد موقفا واحدا ياخذ في الامتداد شيئا فشيئا حتى يحتل مكان الحبكة . هذا الامتداد فى الموقف حتى يصير مصدر الحركة الدرامية هو المحـور الاساسى للصنعة المسرحية عند تشيخوف . ويتمثل هذا النوع فى مسرحيات النورس والخال فانيا و الشقيقات الثلاث وبستان الكرز . ومما هو جدير بالذكر ان هذا النمط من المسرحيات اكثر واقعية واصدق تمثيلا للحياة . ففى مسرحية النورس مثلا ، ينتحى دورن بتريجورين جانبا ويهمس فى اذنه قائلا « الحقيقة ان كونستانتين قد انتحر » . والواقع ان هذه الهمسة في فاجعة كتلك هى التى جعلت المشهد ، فى صمته ، مؤثرا . فمع ان هذا الانتحار الصامت لم يكتنفه ما اكتنف انتحار انطونيو من ضجيج وصخب الا انه اشد بلاغة وابقى تاثيرا .

ولعل هذا التطور يفسر لنا سر عدم رضاء تشيخوف عن مسرحيته شيطان الغابة ، تلك المسرحية التى تندرج تحت مسرحيات المرحلة الاولى . فقد لجا فيها ـ

استثارة لعنصر التشويق لدى متفرجيه ـ الى الكثير من الحيل المسرحية ، نذكر منها على سبيل المثال ، مشهد الوهج الناتج عن احتراق الغابة . ولكن هل أثار هـذا المشهد ، فعلا ، اعجاب المشاهدين ؟ هل حظى باستحسانهم وانتزع التصفيق من اكفهم ؟ كلا ، لم يحز اعجابهـم ، بل على النقيض من ذلك ، أثار سخريتهم . ثم هناك « فيدور » : شخصية تمثل شرير الميلودراما التقليدى ، ينقلب ، بقدرة قادر ، بين عشية وضحاها ، انسانا آخر . هنا نرى تشيخوف ينهج السـبيل التقليـدى المعهود ـ تحول الرذيلة الى فضيلة وانتصار الخير على الشر . فماذا كانت النتيجة ؟ شخصية غير مقنعة بالمرة . ولا أدل على ذلك من ان تشيخوف نفسه لم يقتنع بها . فاذا ما طلب منه الامير اوروشوف أن ينشر هذه المسرحية وان يعمل على احيائها فلا يستجيب له تشيخوف بل يرد قائلا « ليس بامكانى ان اعرض شيطان الغابة ، فانا اكره هذه المسرحية واحاول ان انساها » لا يحق لنا ان نعجب او أن نستغرب رايه . والواقع ان تشيخوف لم يضمها في مجموعة أعماله ولكنها نشرت بعد وفاته . ونحن نلمس ، اذ نقارنها بمسرحية الخال فانيا التى تعتبر من مسرحياته الناضجة ، مدى تأثيرها عليه في اعادة نظره في نهجه ككاتب مسرحى وفي اتقانه للصنعة المسرحية وتطويره للحوار الدرامى بحيث صار يكشف عما يجرى في اعماق شخصياته ويظهرها على حقيقتها في الحياة .

لجأت المسرحية الحديثة ، ابتداء من ابسن ، الى استخدام الرمز بشـكل متزايد وذلك لسببين ـ فهو يضفى عمقا على المسرحية ، ثم انه يستطيع تقديم المعنى المجازى الذى كان المسرح الواقعى عاجزا عن الوفاء به . والحقيقة أن هذا الاتجاه لم يكن من ابتداع ابسن ، بل كان جزءا من حركة اكتسحت اوروبا في ذلك الحين . ففى مسرحية الاشباح ، مثلا ، يستخدم ابسن كلمة « الاشـــباح » رمزا لثلاثة اشياء ، فهى اولا تفيد معناها الاصلى ، ثم هى ترمز الى معنى مجازى : مرض اوزوالد الذى هو شبح ابيه ، كما ترمز الى معتقدات آبائنا واجدادنا ـ تلك المعتقدات التى تطاردنا ، كما يقول ابسن ، كالاشباح . وفي بيت الدمية يستخدم ابسن المرض العضوى رمزا للمرض الخلقى ، كما يستخدم شجرة عيد الميلاد رمزا لسعادة الاسرة ، فاذا ما غاض البشر والهناءة أزيحت في ركن من الغرفة ونزعت عنها زينتها . ثم هناك « رقصة الترانتيلا » التى ترقصها « نورا » ـ وهى رمز يعبر عن الحيرة والقلق ويلخص الموقف كله بصورة تعجز الكلمات عن الافصاح عنها . وقد

بلغ استخدام ابسن للرمز ذروته في المرحلة الاخيرة من مراحل تطور فنه ، ويظهر ذلك جليا في مسرحياته امثال يولف الصغير و جون جابربيل و عندما نصحو نحن الاموات .

وقد استخدم تشيخوف الرمز ايضا ، والرموز عنده كثيرة نذكر منها النورس و غابات استروف و بستان الكرز . وهذه الرموز، كما قلنا،تضفي عمقا على المسرحية ما كان ليتيسر لها بدونها . ((فالحارس)) في مسرحيتي الخال فانيا و شيطان الغابة رمز يتصل بموضوع المسرحية . فبعد ان تتصالح سونيا ويلينا في نهاية الفصل الثانى من مسرحية الخال فانيا يفتح المطر النافذة ويصير الجو نظيفا منعشا . وهنا يخيل الى يلينا ان بامكانها العزف على البيانو ، فتذهب سونيا للحصول على اذن من ابيها ذلك المريض المنضجر البرم . عندئذ تسمع طرقات الحارس في الحديقة فتضطر يلينا ، كي لا تزعج زوجها ، الى اغلاق النافذة ـ رمز البهجه والانتعاش ، فكاننا بذلك الحارس راصد او رقيب يابى ان يتمتع الانسان بساعة هناءه . انه حارس يرمز للحياة اذ يعز عليها ان ترانا ، ولو برهة وجيزة ، جذلين محبورين . ثم يقترن اغلاق النافذة بعودة سونيا وهى تحمل رد ابيها ... رده بالرفض ، وهو اذ يحرم سونيا ويلينا من العزف والاستمتاع بالموسيقى فانه يقضى على كل امل لهما في السعادة والانطلاق .

اما ورود الخريف التى يحضرها فانيا ليلينا فانها ترمز الى علاقة الحب ، فهذه الورود ، شانها شان علاقات الحب في مسرحيات تشيخوف ، جميلة ورائعة ، الا انها سرعان ما تذوى وتفقد رونقها حال لمسها . وترمز غابات استروف المقضي عليها بالدمار الى التدهور والانحطاط في حياة الاسرة نتيجة الخمول وفقدان الشعور بالمسئولية ، وهكذا ترتبط رموز تشيخوف باحداث المسرحية ارتباطا وثيقا فتزيد معناها عمقا وتاثيرا ، ثم هي فوق هذا كله ، وسائل تشير الى الصراع الداخلى العنيف الذى يضطرم في اعماق شخوصه .



ونحن هنا نقدم للقراء هذه السلسلة مسرحيتين تمثلان حقبتين مختلفتين من تطور اعمال تشيخوف وفنه المسرحي . فالمسرحية الاولى شيطان الغابة تمثـــل الحقبة الاولى من تطوره والتى كتبها تحت تاثير القوانين المسرحية التقليدية والتى سبق أن اطلقنا عليها « بمسرحيات الحركة المباشرة او الظاهرة » . اما مسرحية الخال فانيا فهى تعتبر من أروع مسرحيات « الحركة غير المباشرة » الناضجـــة ، كما انها تبرز ما يتمتع به هذا الكاتب المسرحى الخلاق من فن وعمق واصالة .

★★★

مسرحية شيطان الغابة

ملهاة في أربعة فصول

تأليف : أنطون تشيخوف

ترجمة وتقديم : محمد حسن النيستي

مراجعة : حسن عبد المقصود حسن

العنوان الاصلى للمسرحية

Tchekhov's
Plays and Stories

Translated by
S. S. KOTELIANSKY

Introduction by
DAVID MAGARSHACK

THE WOOD DEMON



DENT: LONDON
EVERYMAN'S LIBRARY
DUTTON: NEW YORK

شخصيات المسـرحية

الكسندر فلاديميروفتش سيربرياكوف : استاذ متقاعد

Alexander Vladimirovich Serebrayakov

الينا اندريفنا : زوجته ، فى السابعـة والعشرين من عمرها :

Yelena Andreyevna

صوفيا الكسندروفنا (سونيا) : ابنة الاستاذ من زوجته الاولى . فى العشرين من عمرها

Sogya Alexandrovna

ماريا فاسيليفنا فوينتسكى : ارملة مستشار خاص بالبلاط القيصرى ووالدة زوجة الاستاذ الاولى

Maria Vassilyevna Voynitsky.

جورج بيتروفتش فوينتسكى : ابنها

Geogre Petrovich Voynitsky

ليونيد ستيبانوفتش زلتوخين : شـاب موسر درس التكنولوجيا فى الجامعة .

Leonid Stepanovich Zheltoukhin

يوليا ستيبانوفتش (جولى)	: شقيقته فى الثامنة عشرة من عمرها .
	Yulia Stepanovich (Juilie)
ايفان ايفانوفتش اورلوفسكى	: مالك أرض .
	Ivan Ivanovich Orlovsky
فيدرو ايفانوفتش اورلوفسكى	: ابنــــه .
	Fyodor Ivanovich Orlovsky
ميخائيل لفوفتش خروشوف	: (شيطانة الغابة) مــالك أرض يحمل اجــــازة فى الطب .
	Mihail Lvovich Khroùschov
اليا اليتش ديادين	: مالك ارض سابق ويدير طاحونة شيطان الغابــة حاليا .
	Ilva Ilyich Dyadin
فاسيلى	: خادم زلتوخين
	Vassily
سيميون	: عامل فى طاحونة ديانين .
	Semyon

الفصل الأول

(حديقة في عزبة زلتوخين . شرفة منزل مالك العزبة . مائدتان امام المنزل فوق مصطبةمرتفعة . المائدة الكبيرة معدة للغداء . انواع مختلفة من المقبلات على المائدة الصغيرة . الوقت : بعد الساعة الثانية بقليل) .

المنظر الاول

(يخرج زلتوخين وجولى من المنزل)

جــولى : يحسن ان ترتدى حلتك الرمادية . هذه الحلة لا تناسبك .

زلتوخين : ما علينا . هذه توافــه .

جــولى : لم هذا الغباء ياعزيزى ليني ؟ كيف تتصرف هكذا في عيد ميلادك ؟ يالك من عنيد ! ....

(تسند رأسها الى صدره)

زلتوخين : دعينا من العواطف . أرجوك .

جـــولى : (دامعة) ليني !

زلتوخين : كنت أفضل أن تنفذى ما طلبته منك بدلا من هذه القبلات البغيضـــة وهذه النظرات المتيمة وهذه الهدايا السخيفة التي لا تفيدنى شيئا . لماذا لم تكتبي لآل سيربيرياكوف ؟

جـــولى : لقد كتبت لهم فعلا .

زلتوخين : لمن ؟

جـــولى : لسونيا . ألححت عليها ألا تتأخر عن الساعة الواحدة . اقسم لك بشرفي انني كتبت لها !

زلتوخين : لقد جاوزت الساعة الثانية ولكنها لم تصل بعد . ومع ذلك — سيان ! . لست ابالى بذلك ! يجب أن اكف عن اهتمامى بها . فلن ينالنى من وراء ذلك سوى الإذلال والعواطف الجوفاء ولا شيء غير ذلك .. انها تكاد لا تشعر بوجودى ، فانـــا لست وسيما وليس فيَّ ما يبعث على الإثارة أو الاهتمام . لو قبلت ان تتزوجنى فلن يكون ذلك إلا لمصلحتها ... من أجل المال فقط .

جـــولى : تقول انك غير وسيم ؟ أنت مخطئ .

زلتوخين : أوه : اتحسبيننى أعمى ؟ ! حتى لحيتى ليست كغيرها ... انها تنمو من رقبتى ... وهذا الشارب اللعين ... وهذا الانف ....

جـــولى : لماذا تضغط على وجنتك ؟

زلتوخين : عادت تؤلمنى ثانية هنا تحت عينى .

جـــولى : انها متورمة بعض الشيء . دعنى اقبلها وستعود كما كانت .

زلتوخين : يا للبلاهـــة !

(يدخل اورلوفسكى وفوينتسكى)

المنظر الثاني

(جولى وزلتوخين ومعهما أورلوفسكى وفوينتسكى)

اورلوفسكي : متى نتناول غداءنا ياصغيرتى ؟ لقد جاوزت الساعة الثانية !

جـــولى : لم يحضر آل سيريبرياكوف بعد يا أبتاه ! (١)

اورلوفسكى : الى متى ننتظر اذن ؟ انا جائع ياجميلتى ، وجورج يريد غداءه ايضا .

(١) اورلو فسكى هو أبو جولى وسونيا بالعماد .

زلتوخين : (مخاطبا فوينتسكى) أين بقية افراد العائلة سيجيئون ؟

فوينتسكى : كانت الينا اندريفنا ترتدى ملابسها عندما خرجت من البيت .

زلتوخين : انت اذن متأكد من حضورهم ؟

فوينتسكى : لست متأكدا من شيء . ربما يتوهم الجنرال فجأة انه مصاب بنوبة من نوبات النقرس او ربما تعاوده شطحة من شطحاته فلا يغادرون البيت .

زلتوخين : اذن ، ما فائدة الانتظار ؟ هيا نأكل (يصيح) اليا اليتش ! سيرجى نيكوديمتش (يدخل ديادين ومعه بعض الضيوف) .

المنظر الثالث

(نفس الاشخاص ومعهم ديادين والضيوف)

زلتوخين : تفضلوا جميعا . (يلتفون جميعا حول مائدة المقبلات) لم يحضر آل سيريبريا كوف ولا فيدور ايفانوفتش ، وكذلك شيطان الغابة لم يحضر حتى الآن . الكل نسينا !

جولى : ما رأيك في شيء من الفودكا يا أبتاه ؟

اورلوفسكى : نقطة واحدة .... هذا يكفى .

ديادين : (يضع فوطة حول رقبته) ما أروع قدرتك يايوليا سيتبانوفنا ! لمستك السحرية واضحة في كل مكان فسواء كنت اركب فرسا عبر حقولكم او امشى في ظلال بستانكــم أو أتأمل روعة هذه المائدة فانى المس آثار القدرة الخارقة ليدك السحرية الصغيرة . نخب صحتك !

جــولى : ما اكثر المتاعب ياايليا ايليتش ! ليلة أمس فقط نسى نازاركا ان يدخل افراخ الديوك الرومية إلى حظيرتها فقضت الليل في العراء وماتت خمسة منها صباح اليوم .

ديادين : فظيع ! هذه اشياء لايصح اغفالها . فالديوك الرومية طيور رقيقة .

فوينتسكى : (مخاطبا ديادين) وافل ، اقطع لى شريحة مــن اللحوم .

ديادين : بكل سرور . فخذ رائع ! واحد من عجائب الف ليلة وليلة (يقطع) انى اقطعه ياجورجى وفقا لكل اصول الفن . لاأظن ان بيتهوفن — أو شكسبير كان يمكن ان يقطعه بطريقة أفضل

ولكن السكين غير حادة . (يشحذ السكين بسكين آخر) .

زلتوخين : (مرتعدا) كفى يا وافل ، انك تثير اعصابي!

اورلوفسكى : حدثنا ياجورج بتروفتش عن عائلتك . كيف تسير الامور في بيتكم ؟

فوينتسكى : ليس هناك اى وفاق بيننا .

اورلوفسكى : هل من أخبار جديدة ؟

فوينتسكى : كلا . الامور هى هى . كل شيء كما كان عليه في العام الماضى . أنا كما تعرفنى ، اتكلم — كثيرا ولاأفعل سوى القليل . اما الغراب ، اى والدتى فهى تتحدث دائما ابدا عن تحريـــر المرأة واحدى عينيها على القبر والاخرى تنبش كتبها بحثا عن فجر حياة جديدة .

اورلوفسكى : وكيف حال الكسندر ؟

فوينتسكى : لم يتمكن العـُث لسوء الحظ من التهام الاستاذ بعد ، فهو يجلس كعادته في غرفة مكتبه من الصباح حتى المساء ، مجهدا فكره ، زاويا ما بين حاجبيه ، يؤلف القصيدة تلو القصيدة —

دون ان يهتم به او بما يكتبه أحد . كم أرثي لحال الورق ! وسونيا كعادتها غارقة في قراءة كتبها الفذة وتسجيل ملاحظاتها القيمة في — مذكراتها .

اورلوفسكي : ياعزيزي ، يا صديقي الحميم ! . . .

فوينتسكي : من كانت له مثل دقة ملاحظتي كان يجب ان يكتب رواية وقد بدأت في ترتيب خيوط — الحبكة فعلا ، وهي تدور حول استاذ متقاعد غراب مثقف عجوز يبعث الملل في النفس — مصاب بالنقرس ،والروماتيزم ،و الدوار ، والكبد وامراض كثيرة أخرى .قلبه اسود ملىء بالغل والحسد . ان غيرة عطيل تتضاءل امام ماينهش قلبه من الغيرة . وهو مضطر للعيش في عزبة زوجته الاولى لأن امكانياته لاتسمح له بان — يعيش في المدينة . همه الوحيد هوالتذمر والشكوى من حظه التعس رغم انه في منتهى السعادة .

اورلوفسكي : كفاك !

فوينتسكي : طبعا (لايمكن ان تتصوروا حسن حظه . لن اتكلم كثيرا عن نشأته — كيف تمكن وهو ابن

حفار بسيط للقبور وطالب في المعاهد الدينيةمن
الحصول على العديد من الدرجات العلمية —
وكرسي في الجامعة . انهم يلقبونه الآن بصاحب
السعادة . ان حماه عضو في مجلس الشيوخ .
كل هذا لاأهمية له ، ولكن تأملوا هذا الامر
فقط ! لقد قضى هذا الرجل خمسة وعشرين
عاما كاملا وهو يحاضر ويؤلف عن الفن رغم
جهله المطبق به . قضى هذه الخمسة والعشرين
عاما وهو يجتر آراء الآخرين عن الواقعية —
والطبيعية وغيرها من التفاهات قضى كل هذه
السنين وهو يحاضر ويكتب عن أمور مألوفة
للاذكياء من الناس، ولكنها لاتفلح في اثارة
اهتمام الحمقى منهم وهذا يعني انه قضى خمسة
وعشرين عاما وهو يصب الماء في الغربال ولكنه
رغم ذلك كله كان محبوبا متمتعا بالنجاح والشهرة .
ولكن لماذا ؟ وبأى حق ؟ هذا مالا أدريه !

اورلوفسكى : (يقهقه بصوت مرتفع) انت تحسده .

فوينتسكى : نعم ، احسده ! يالنجاحه المذهل مع النساء !
ان نجاح دون جوان لايقارن بنجاحه معهن .

كـــانت زوجته الاولى ، اخـــتي . . . ،
مخلوقة ساحرة رقيقة في مثل صفاء السمـــاء
الزرقاء . كان عدد المعجبين بها يفوق عدد ماله
من تلاميذ . كانت كريمة طاهرة سمحة ـــ
الطبع . وكانت تحبه حبا لايحمله سوى الملائكة
الاطهار لمن كان مثلهم في النقاوة والطهر من
من الملائكة . ووالدتى ـــ حماته ـــ لاتزال
تقدسه حتى اليوم ولايزال يبعث في نفسهاشعورا
بالرهبة والاكبار . اما زوجته الثانية وهى امرأة
ذكية : فائقة الجمال ـــ كما تعلمون ـــ فقد
تزوجته بعد ان تجاوز مرحلة الشباب . وهبته
كل ما تملك من شباب وجمال وحرية واشراق
ولكني اتساءل لماذا ؟ نعم ، لماذا ؟ لمـــاذا
تضحى امرأة موهوبة وفنانة أصيلة مثلها بكل
شيء من أجله ؟ ! يالروعة عزفها على البيانو !

اورلوفسكى : انها ، ككل ، عائلة موهوبة ـــ عائلة نادرة .

زلتوخين : انت محق في هذا ، خذ صوفيا الكسندر روفنا
مثلا . ان صوتها ساحر » . سوبرانو رائع .
لم اسمع في حياتى صوتا في مثل جماله حتى في

بطرسبرج ولكنها ، كما لا يخفى عليكم ،
لاتفى النغمات العالية حقها تماما . لكم يؤسفنى
ذلك ! آه لو احسنت اداء هذه النغمات ! أنا
كفيل بانها ستصل الى اقصى درجات الابداع —
هل تعلمون . . . آسف ايها السادة ! لابد لى
من كلمة مع جولى . . . (ينتحى بجولى جانبا)
كلفى رسولا يحسن ركوب الخيل بدعوتهم .
اعطيه رسالة منك واسأليهم ان يحضروا للعشاء
ان لم يتمكنوا من الحضور الآن (بصوت أشد
انخفاضا) ولكن لاتكونى حمقـــاء . —
لاتضحكيهم منا ودققى في الكتابة . . . لاتنسى
الألف في كلمة احضروا . . (بصوت مرتفع
ولكن برقة) ارجوك ياعزيزتى !

جـــولى : بكل تأكيد . (تخرج)

ديادين : سمعت ان عقيلة الاستاذ ، الينا الكسندروفنا التى لم أحظ بشرف التعرف عليها بعد، لا تتمتع بجمال الروح فقط ولكنها تتمتع أيضا بجمال المحيا .

اورلوفسكى : هذا صحيح ، انها امرأة رائعة !

زلتوخين : هل هى وفية لزوجها ؟

فوينتسكى : نعم ، لسوء الحظ !

زلتوخين : وما الداعى لهذا الأسف ؟

فوينتسكى : لانه وفاء في غير موضعه من أوله إلى آخره . نوع من المغالاة وشطحات الخيال ولكنه يخلو من المنطق . انكم تعتبرونها امرأة فاسقة ان خانت هذا الزوج العجوز الذى لا يطاق ، اما ان حاولت ان تترك شبابها يذبل ومشاعرها تتبلد فهذا في رأيكم خلق كريم . ياللعنة ! أين المنطق في كل هذا !

ديادين : (بصوت حزين) لا أطيق ان اسمعك تتكلم هكذا ياعزيزى جورج . اتوسل اليك ان تكف عن ذلك ! هذا الكلام يبعث الرعدة في أوصالى . انى اعترف ايها السادة انى لا أملك الموهبة ولا بلاغة التعبير ولكن اسمحوا لى أن اتكلم دون أن الجأ إلى العبارات الرنانة . سأتكلم بدون تكلف استجابة لما يمليه علىّ ضميرى . ان المرأة التى تخون زوجها أو الرجل الذى يخون زوجته ، ايها السادة ، هو انسان غير جدير بالثقة ويمكن ان يخون وطنه ايضا !

فوينتسكى : كفى هراء !

ديادين : ولكن اسمح لى ياجورج . ارجو يا ايفان ايفانوفتش وانت ياليني ، وكلكم ايها الاصدقاء الاعزاء أن تتخذوا مما مرّ بى من مصائب الدهر عبرة لكم . ان ما حدث بينى وبين زوجتى لم يعد سرا خافيا على أحد ولا يزال ماثلا في الاذهان . لقد هربت زوجتى بعد زواجنا بيوم واحد فقط مع الرجل الذى أحبته بحجة ان شكلى لم يعجبها .

فوينتسكى : فعلت عين الصواب !

ديادين : ولكن اصغوا الىّ ايها السادة . لم اتخل عما يمليه علىّ واجبى رغم كل ذلك . فانا لا ازال متعلقا بها حتى هذا اليوم ولا أزال على اخلاصى لها وأقوم بمساعدتها بكل ما استطيع . وسأوصى بكل ما املك لأولادها الذين انجبتهم من الرجل الذى أحبته . لم اتخل عن واجبى مطلقا ولن اتخلى عنه ، وأنا فخور بذلك . نعم ، فخور بذلك ! . لا شك انى قد حرمت من السعادة ولكننى لا أزال محتفظا باعتزازى بنفسى . ولكن ماذا حدث لها هى ؟ ولّى شبابها وذبل جمالها وهذا

مـــا تقضى به قوانين الطبيعة ـ امـــا عشيقها فقد مات رحمه الله . ترى ماذا بقى لها الآن ؟ (يجلس) انا احدثكم في موضوع جدى وانتم تضحكون .. !

اورلوفسكى : انت رجل طيب القلب ولكنك تطيل الحديث وتكثر من التلويح بيديك .....
(يخرج فيدور ايفانوفتش من المنزل وهـــو يرتدى ـ على غرار الفلاحين الروس ـ معطفا بدون اكمام مصنوعا من أفخر انواع الأقمشة . يلبس حذاء ذا رقبة طويلة ـ تغطى صـــدره الاوسمة والميداليات وسلسلة من الذهب الخالص المطعمة بالحلى تزين اصابعـــه الخواتم الثمينة) .

المنظر الرابع

(نفس الاشخاص ومعهـــم فيـــدور)

فيدور : كيف حالكم ايها الرفاق ؟

اورلوفسكى : (مبتهجا) فيدور ، ولدى العزيز !

فيدور : (مخاطبا زلتوخين) تهنئتى بعيد ميلادك . عمرا طويلا . (يحيي جميع الحضور) ابى ! وافل

كيف انت ؟ اتمنى لكم جميعا شهية طيبة !

زلتوخين : اين كنت كل هذا الوقت ؟ لم كل هذا التأخير ؟

فيدور : الجو حار ! الىّ بكأس من الفودكا .

اورلوفسكى : (يرمقه بنظرة اعجاب) ما هذه اللحية الرائعة ياعزيزى ! ... انه ، ايها الرفاق ، آية من آيات الجمال ! انظروا اليه . أليس هو الجمال كله ؟

فيدور : عيد ميلاد سعيد . (يشرب) الم يحضر آل سيربيرياكوف بعد ؟

زلتوخين : كلا ، لم يحضروا بعد .

فيدور : (متنحنحا) وأين جولى ؟

زلتوخين : لا أدرى ماذا أخرها . حان الوقت لاحضار كعكة الميلاد . سأناديها حالا . (يخرج) .

اورلوفسكى : وصاحبنا ليني الذى نحتفل بميلاده يبدو اليوم مكتئبا . عابسا للغاية !

فوينتسكى : انه حيوان !

اورولوفسكى : لا بد ان اعصابه متوترة . لا حيلة له في هذا الأمر.

فوينتسكى : انه انانى جدا وهذا هو سبب توتر اعصابه . لو

لو حدث ومدح احدكم هذه السمكة لامتعض في الحال لأن المديح لم يوجه اليه . ها قد عاد .

(يدخل زلتوخين وجولـــى)

المنظر الخامس

(نفس الاشخاص ومعهم زلتوخين وجولى)

جـــولى : كيف انت ياعزيزى فيدور ؟ (يقبل احدهما الآخر) تناول شيئا من الطعام ياعزيزى . — (مخاطبة اورلوفسكى) انظر يا أبتاه الى الهدية التى سأقدمها لليبنى بهذه المناسبة .

(تريه حذاء صغيرا يستعمل حاملا للساعة)

اورلوفسكى : آه يا بطتى العزيزة ، ياصغيرتى الغالية ، مـــا اجمله من حذاء ! يالها من هدية بديعة ! —

جـــولى : الشريط الذهبي وحده كلفنى ثمانية روبلات ونصف . انظر الى حواشيه المرصعة بهـــذه اللآلى الصغيرة البديعة . انظروا الى الاهداء « الى ليونيد زلتوخين — هديتى لمن أحب

ديادين : اسمحى لى بأن اراها . يالها من تحفة رائعة !

فيدور : كفى ... كفى ! ... دعيهم يحضروا لنــا شيئا من الشمبانيا .

جــولى : ولكننا ياعزيزى فيدور سنقدمها في المساء .

فيدور : ولماذا في المساء ؟ دعيهم يحضروها الآن والا خرجت . أجل ، سأنصرف . اين تحتفظين بها ؟ سأذهب لإحضارها بنفسي .

جــولى : انت لاتعرف للنظام معنى وتقلب الامور رأسا على عقب ياعزيزى فيدور . (مخاطبة فاسيلى) خذ المفتاح يافاسيلى . الشمبانيا في حجرة المؤن في الزاوية بجانب كيس الزبيب في السلة . كن متيقظا . اياك ان تكسر شيئا !

فيدور : ثلاث زجاجات يا فاسيلى !

جــولى : لن تكون ابدا رب بيت ممتاز يا فيدور . . . . (تقدم كعكة الميلاد للحضور) تفضلوا ايها السادة ... الغداء سيتأخر ... لن يكون قبل الساعة السادسة ... لايرجى منك أى نفع ياعزيزى فيدور ... لافائدة من اصلاحك !

فيدور : ها قد بدأت بإلقاء المواعظ !

فوينتسكى : أسمع صوت عربة قادمة . هل تسمعونها ؟

زلتوخين : نعم . لقد حضر آل سيربيرياكوف أخيرا
(فاسيلى يعلن قدوم آل سيربيرياكوف)

جـــولى : (تصيح) سونيشكا ! (تهرع الى الخارج)

فوينتسكى : (صائحا) هيا نخرج لاستقبالهم . هيا ! —
(يخرج) .

فيدور : يا لفرحتهم !

زلتوخين : هناك أناس لاذوق عندهم . انه يجاهر بعلاقته الغرامية . . مع زوجة الاستاذ .

فيدور : تقصد من ؟

زلتوخين : جورج ، طبعا . لقد غالى في مديحها قبل — حضورك بقليل بطريقة تنافي ابسط مبادئ — اللياقة .

فيدور : ولكن كيف عرفت ان له علاقة غرامية معها ؟

زلتوخين : اتظننى أعمى ؟ ومع ذلك فالمنطقة كلها تتحدث عن هذه العلاقة .

فيدور : هراء . لم تكن عشيقة لاحد حتى الآن ولكنها ستصبح عشيقتى عما قريب . اتفهمنى ؟ عشيقتى انا ؟

المنظر السادس

(نفس الاشخاص ومعهم سيربرياكوف ، ماري فاسيليفنا ، فوينتسكي متأبطا ذراع الينا اندريفنا ، سونيا وجولي)

جـــولي : (تقبل سونيا) عزيزتي جولي ، حبيبتي .

اورلوفسكي : (يذهب لمقابلتهم) كيف حالك يا الكسندر ؟ كيف حالك ياعزيزي ؟ (يتعانقان) بخير ؟ على خير ما يرام ؟

سيربرياكوف : كيف انت ياعزيزي ؟ انك تبدو رائعا ! انا سعيد جدا برؤيتك . متى عدت ؟

اورلوفسكي : يوم الجمعة . (مخاطبا ماري فاسيليفنا) ماري فاسيليفنا ! كيف انت يا صاحبة العصمة ؟ (يقبل يدها)

ماري فاسيليفنا : أهلا . (تقبل رأسه)

ســـونيا : أبتاه !

اورلوفسكي : حبيبتي سونيشكا . (يقبلها) حبيبتي الغالية . يا طائري المغرد الصغير .

سـونيا : مازال وجهك على اشراقه ووداعته وجماله المعهود .

اورلوفسكى : اما انت ياحلوتى فقد ازددت طـولا ورقة وحسنا .

سـونيا : كيف حالك ؟ بخير ؟

اورلوفسكى : في أحسن حال !

سـونيا : انني سعيدة بذلك يا أبتاه . (تخاطب فيدور) فاتني ان الاحظ الفيل . (يتعانقان) لقد لوّحتك اشعة الشمس واصبح شعرك غزيرا . ما أشبهك بالعنكبوت !

جـولى : حبيبتى !

اورلوفسكى : (مخاطبا سيربرياكوف) كيف حالك في هذه الأيام ، يا عزيزى ؟

سيربرياكوف : بيْن بيْن . وانت ؟

اورلوفسكى : ماذا يمكن ان يحدث لى ؟ انني اتمتع بحياتى . وضعت املاكى بين يدى ولدى . وبناتـى جميعهن قد تزوجن من رجال افاضل والآن مامن انسان يتمتع بحريته مثلى . انني استمتع بحياتى !

دیادین : (مخاطبا سیر بریاکوف) تأخرت یا صاحب السعادة بعض الشيء وقد بردت الكعكة كثيرا . اسمح لى أن اقدم لك نفسى : انا ايليا ايليتش ديادين ، او وافل كما يحلو لبعض الظرفاء ان يسمونى بسبب بقع الجدرى التى تغطى وجهى .

سير برياكوف : يسعدنى ان اتعرف بحضرتك .

دیادین : سیداتی . آنساتی . (ينحنى محييا الينا وسونيا) هؤلاء هم كل من لى من اصدقاء ، يا صاحب السعادة ، كنت ثريا في أحد الايام ولكننى اضطررت لاسباب عائلية — او كما يدعوها الناس في الاوساط المثقفة أسباب لا تقع تحت مسؤولية المحرر — الى التنازل عن حصتى لأخى الذى اختلس سبعين ألف روبل من اموال الدولة . ان عملى يعتمـــد على استغلال عناصر الطبيعة واعنى الرياح . أسخر الامواج العاصفة في ادارة الطاحونة التى استأجرها من صديقى شيطان الغابة .

فوينتسكى : كفى يا وافل . اصمت !

دیادین : انى دائما انحنى خشوعا (ينحنى حتى يكاد

يلمس الارض (أمام نجوم العلم الذين يزينون افق بلادنا . ارجو أن تصفح عن جرأتى ان قلت انى اتحرّق شوقا لزيارة سعادتكم لأحظى بمتعة الحديث معكم عن آخر المنجزات العلمية .

سيربرياكوف : تفضل بزيارتنا . هذا يسعدنى .

سونيا : اخبرنى يا أبتاه أين قضيت الشتاء ؟ اين غبت عنا ؟

اورلوفسكى : كنت في جمندن يا حلوتى ثم غادرتها إلى باريس ونيس . ثم قمت بزيارة لندن ...

سونيا : رائع ! يالك من رجل سعيد !

اورلوفسكى : ما رأيك في أن أصطحبك معى في الخريف ؟ اتوافقين ؟

سونيا : (تغنى) « لاتغرنى دون داع » ....

فيدور : لا تغنى أثناء الغداء والا ثارت زوجة ابيك .

ديادين : بودى لو كنت استطيع ان التقط صورة لهذه المائدة . يا لها من باقة رائعة من الناس .
مزيج متوافق من الرشاقة والحسن والمعرفة الأصيلة والا ....

فيدور : يالها من تعابير ملهمة ! تبالك ! ما كل هذه

الفصاحة ؟ ! (الجميع يقهقهون)

اورلوفسكى : (مخاطبا سونيا) وانت يا حبيبتى . اعتقد انك لم تتزوجى بعد .

فوينتسكى : ومن تتزوج بحق السماء ؟ همبولت انتقل إلى الرفيق الاعلى وكذلك شوبنهاور . امـــا اديسون ففى أمريكا ... لقد وجدت مفكرتها على المائدة من أيام : انها بهذا الحجم ! فتحتها وقرأت « كلا . لن أقع في غرام أى انسان . ان الحب هو ميلى نحو الجنس الآخر بتأثير الدوافع الأنانية لذاتى » ... بالاضافة الى مالا يحصى من أمثال هذه الآراء .... » التسامى هو ذروة النظرية التكاملية .... أف .. من أين لك معرفـــة كل هذا ؟

ســونيا : ان كان يحق لانسان ان يسخر من ذلك فلست انت هذا الانسان ، يا خال جورج !

فوينتسكى : ولماذا الغضب ؟

ســونيا : ان قلت كلمة أخرى ، لابد ان يغادر أحدنا هذا المكان . إما انا وإما أنت !

اورلوفسكى : (يقهقه بصوت مرتفع) يالها من فتاة فذة !

فوينتسكى : نعم . فتاة فذة ... لابد ان اعترف بذلك (مخاطبا سونيا) اعطيني مخلبك الصغير ! .
اتوسل اليك ! (يقبل يدها) تصالحنا ... اعدك ألا أعود الى ذلك .

المنظر السابع

(نفس الاشخاص ومعهم خروشوف : شيطان الغابة)

خروشوف : (خارجا من المنزل) ليتني كنت رساما . يالها من مجموعة رائعة !

اورلوفسكى : (مبتهجا) ولدى العزيز .

خروشوف : عيد ميلاد سعيد . كيف حالك يا جولى ؟ ما أروعك اليوم ! (يقبل اورلوفسكى) صوفيا الكسندروفنا ! (يحيي بقية الجماعة) .

زلتوخين : ما سر كل هذا التأخير ؟ اين كنت ؟

خروشوف : كنت ازور مريضا .

جولى : لقد بردت الكعكة .

خروشوف : لا بأس ياجولى . سآكلها باردة . أين أجلس ؟

سـونيا : تفضل هنا . » (تشير إلى مقعد بجانبها) .

خروشوف : الجو بديع اليوم وشهيتى مفتوحة .. اجل سأتناول شيئا من الفودكا (يشرب) نخب عيد ميلادك ! تكفينى هذه الكعكة الصغيرة ... قبليها يا جولى ليصبح طعمها أحلى . (جولى تقبل الكعكة) شكرا لك . كيف انت يا أبانا ؟ لم ارك منذ وقت طويل .

اورلوفسكى : نعم . وقت طويل . كنت خارج البلاد .

خروشوف : بلغنى ذلك وأنا احسدك . كيف انت يافيدور ؟

فيدور : بخير . دعواتك تسندنا مثل الدعائم . .

خروشوف : كيف تسير أعمالك ؟

فيدور : ليس التذمر من عادتى . انى استمتع بوقتى لكن ما يزعجنى حقا هو كثرة التنقل مـن مكان إلى آخر . شيء مزعج ! . من هنا إلى القوقاز ومن القوقاز إلى هنا ... حركة دائمة تهد البدن . اظنك تعلم ان لى مزرعتين هنالك !

خروشوف : نعم .

فيدور : انني مشغول باستصلاح الاراضي وصيد العناكب والعقارب . والعمل يسير على ما يرام . اما ان سألت عن عواطفي المتقدة ، فهي على ما هي عليه . لم يطرأ عليها أي تغيير .

خروشوف : اذن فأنت عاشق ؟

فيدور : ومن أجل هذا دعنا ، ياشيطان الغابة ، نتناول شيئا من الشراب . (يشرب) انصحكم ايها السادة الا تقعوا في غرام المتزوجات . انني اعتقد انه من الافضل ان يكــون الانسان مصابا بجرح في كتفه ، وبالرصاص في ساقه ، مثل خادمكم المطيع ، على ان يقع في غرام سيدة متزوجة ... انها فاجعة مؤلمة . !

ســونيا : أيائس انت من غرامك ؟

فيدور : يائس ! تقولين يائس ! كلا ، ليس هناك ما يدعو لليأس في هذا العالم . حب يائس تعس ! .. أوه . .. كل هذا كلام فارغ ! المسألة قوة إرادة .. اذا عزمت على الا تخطئ بندقيتي الهد ف فلن تخطئه ، وإذا عزمت ان تقع امرأة في حبي فانها تقع في حبي . هذا كل ما هناك ياعزيزتي

سونيا . إذا وقع اختيارى على امرأة ما فمن الاسهل عليها ان تقفز الى القمر من ان تفلت منى .

سـونيا : يالك من انسان فظيع !

فيدور : كلا ، لن تفلح في الافلات منى ! لابد أنها ستقع في قبضتى قبل أن انطق بثلاث كلمـات فقط . لن اقول لها اكثر من هذه الكلمات « سيدتى ، كلما نظرت الى نافذتك ، اذكرينى ، انى اريد ذلك » وسوف تذكرنى الف مرة في اليوم . وبالاضافة إلى هذا فاننى امطرهـا برسائلى يوميا ...

الينا اندريفنا : لا اعتقد ان اللجوء إلى الرسائل أمر مأمون العاقبة . قد تستلمها ولكن ليس هناك ما يرغمها على قراءتها .

فيدور : اهكذا تظنين ؟ لقد عشت في هذا العالم خمسة وثلاثين عاما ورغم ذلك فلم يسعدنى الحظ بمقابلة هذه المرأة الأعجوبة التى تجد لديها الشجاعة الكافية الا تفض رسالة واحدة فقط .

اورلوفسكى : (يرمقه باعجاب) انظروا ! ولدى العزيز !

ولدى الجميل ! كنت انا الآخر ، مثله . تماما الى حد كبير ! فارق واحد بيني وبينه – انني لم اخض الحرب . ولكنني كنت اشرب وأبذر المال بشكل مخيف .

فيدور : انني أحبها ، يا ميشا حبا جارفا صادقا ... انا مستعد ان اضع كل ما املك تحت قدميها لو رضيت . سأحملها معي إلى القوقاز . إلى الجبال ، وسنعيش هناك كالطيور المغردة . سأسهر على حمايتها يا الينا اندريفنا كالكلب الأمين وستكون عندى بالمنزلة التي يتغنى بها الشاعر .

سأجعل منك ملكة للكون

يا أغلى ما في الوجود

آه ، انها لا تدرى كم ستكون سعيدة !

خروشوف : ومن هي تلك المرأة المحظوظة ؟

فيدور : يقولون : ان من يعرف اكثر مما ينبغي يشيخ بسرعة ... لنترك هذا الموضوع ولنتحدث في أمر آخر . منذ عشر سنوات عندما كان ليني في المدرسة اذكر اننا كنا نحتفل بعيد ميلاده . كما نفعل الآن كانت جولى تمسك بذراعى الأيمن

وسونيا بذراعى الايسر وأنا عائد الى البيت
وكانتا تشدان لحيتى ... لنشرب نخب صديقتى
الصبا سونيا وجولى .

ديادين : (يقهقه بصوت مرتفع) رائع ! رائع !

فيدور : كنت اشرب ذات مرة مع باشا تركى في
ترابزون (١) بعد انتهاء الحرب وفجأة سألنى . .

ديادين : (مقاطعا) دعنا نشرب نخب العلاقات الودية .
تحيا الصداقة ! وهذه للحظ !

فيدور : كفى . كفى . كفى ! . سونيا ، اسمعى !
اريد ان اعقد رهانا . يا للعنة !
سأضع ثلاثمائة روبل هنا على هذه المائدة ولنذهب
بعد الغداء لنلعب الكروكى (٢) وانا اراهن
ان كراتى ستمر من خلال الاطواق جيئة
وذهابا في جولة واحدة فقط .

سـونيا : قبلت الرهان ولكنى لا أملك ثلاثمائة روبل .

فيدور : إذا خسرت فعليك ان تغنى لى أربعين مرة .

---

(١) مرفأ تركى صغير يقع على البحر الاسود .

(٢) رياضة تلعب على ارض معشبة يقوم اللاعب بضرب كرات خشبيـة بالمضارب ويمررها تحت اطواق معدنية معدة لذلك فى الملعب وعدد هذه الاطواق يتراوح بين (٩ : ١٠) فى آخر الملعب أعمدة والذى ينجح فى اصابتها بكرته ٦٤ قبل غيره يعتبر فائزا .

سـونيا : موافقـة .

ديادين : رائع ! رائع !

الينا اندريفنا : (تنظر الى السماء) ما اسم ذلك الطائر ؟

زلتوخين : انه الصقر .

فيدور : دعونا نشرب نخب الصقر ايها الاصدقاء !

(سونيا تضحك بصوت مرتفـع)

اورلوفسكى : هاهى قد بدأت ! ما الخبر ؟

(خروشوف يقهقه)

اورلا فسكى : ماذا يدعوك إلى الضحك ؟

مارىفاسيليفنا : صوفيا ! هذا لايليق !

جروشوف : أوه . آسف ! سأكف عن ذلك حالا ... حالا .

اورلونسكى : ليس هناك ما يدعو الى كل هذا الضحك .

فوينتسكى : هذان الاثنان ... يكفى ان ترفع اصبعا حتى يغرقا في الضحك . سونيا ! (يرفع اصبعه) انظرى ! هيا ! ..

خروشوف : كفى ! (ينظر الى ساعته) والآن بعد أن اكلت وشربت لابد لى ان أرحل . حان الوقت لكى اذهب ..

سـونيا : الى أين ؟

خروشوف : لمريض طبعا . لقد سئمت مزاولة الطب كما يسأم الانسان من زوجة كريهة او شتاء طويل ..

سيربرياكوف : ولكن الطب هو مهنتك وعملك الذى تعيش منه . ان جاز لى ان اقول ذلك .

فوينتسكى : (متهكما) لديه مهنة أخرى . انه ينقب في أرض مزرعته بحثا عن الفحم ! (١)

سيربرياكوف : ماذا تقول ؟

فوينتسكى : الفحم ! لقد قدر أحد مهندسى المناجم بمنتهى الدقة ان في مزرعته فحما يبلغ ثمنه سبعمائة وعشرين ألف روبل . انا لاأمزح .

خروشوف : ولكنى لا أبحث عن الفحم جريا وراء المال .

فوينتسكى : اذن ، لم تبحث عنه ؟

خروشوف : لأغنيكم عن قطع الغابات .

فوينتسكى : ولماذا لانقطعها ؟ من يسمعك يعتقد ان الغابات قد وجدت ليبث العشاق نجواهم تحت ظلالها .

خروشوف : انا لم أقل شيئا كهذا .

فوينتسكى : كل ماسمعته منك حتى الآن دفاعا عن الغابات

(١) فى الاصل (الخث) مواد نباتية متحجرة .

كلام معاد وسطحى وسخيف . ارجو الا —
تسوءك صراحتى . انا لاأقول ذلك اعتباطـــا
بل احفظ حججك عن ظهر قلب . . . مثلا .
(يرفع صوته ويتكلم بلهجة خطابية وهو يومئ
باصبعه مقلدا خروشوف) انتم ايها الرجال
تقضون على الغابات التى تزين الارض وتغرس
في الانسان حب الجمال وتبعث في نفسه شعورا
بالإجلال . ان الغابات تلطف من قسوة الجو .
وفي المناطق التى يعتدل فيها الطقس يبذل الإنسان
مجهودا اقل في صراعه مع الطبيعة مما يكسبه الرقة
والوداعة . ومن هنا كان الناس في البلاد —
المعتدلة الجو اكثر وسامة ولينا وارهف احساسا
وأوفر نشاطا . حديثهم رقيق وحركاتهم رشيقة
ان الفن والعلم يزدهران هناك .ونظرة الناس
الى الحياة هناك لاتتسم بالكآبة ، ومعاملتهـــم
للنساء تتميز بالرقة والتهذب الخ . . الخ . . .
هذا كله جميل ولكنه غير مقنع اطلاقا ، —
ولذلك ارجو ان تسمح لى بأن استمر في اشعال
نار موقدى بالحطب وان أبنى مخازن غلالى
وحظائر ماشيتى بالاخشاب .

خروشوف : انا لاأمانع في قطع الاشجار في حالة الضرورة ولكن آن الأوان لوضع حد لهذا التدمير .ان الغابات في روسيا تئن تحت ضربات الفأس ،وملايين الاشجار مهددة بالفناء . لقد اتلفت اوكار الطيور ومرابض الوحوش ولم يعد امامهـا مكان تلوذ به ، الانهار تجف وتنضب والمناظر الطبيعية الرائعة تختفي من الوجود دون ان تترك وراءها اثرا . كل هذا يحدث لأن الانسان قد بلغ حدا من الكسل لايستطيع معه ان يتجشم عناء الانحناء والتقاط الوقود من الارض .ان الانسان الذى يحرق هذا الجمال (مشيرا الى الاشجار) في موقده لابد ان يكون همجيا ، فهو يحرق الجمال الذى يعجز عن خلق بديل له لقد حبا الله الانسان العقل والقدرة على الابداع ليضاعف الخيرات التى وهبه اياها ولكنه حتى الآن قاصر عن الابداع وهمه الوحيد هـو التدمير . ان الغابات تتضاءل تدريجيا والانهار تغيض مياهها والطيور البرية توشك عـلى الانقراض ، والبيئة قد فسدت ، وكل يوم تمضى يخلف الارض أشد جدبا وبشاعة .

انت تنظر إلى ساخرا . كل ما اقول يبدو لك باليا وسخيفا ، ولكننى كلما مررت بالغابات التى يملكها الفلاحون والتى انقذتها من الدمار او سمعت حفيف الغابات الفتية التى زرعتها بيدىّ هاتين تملكنى شعور اكيد بأن البيئة قد اصبحت تحت سيطرتى الى حد كبير ، واذا غدا الانسان سعيدا بعد ألف من السنين فانى أشعر بان لى يدا في ذلك ، وعندما ازرع شجيرة بتولا وأراها تنمو وتخضر وتهتز مع الريح عندها تمتلئُ نفسى فخرا لشعورى باننى قد اضفت الى الارض حياة جديدة .

فيدور : (مقاطعا) في صحتك ياشيطان الغابة !

فوينتسكى : كل هذا جميل ، ولكنك ان نظرت الى الامر نظرة علمية وابتعدت عن هذه النظرة الشاعرية عندئــذ . . . .

ســونيا : انت لاتدرى عما تتكلم ياخال جورج .ارجوك ان تلزم الصمت .

خروشوف : حقا يا جورج بترو فتش ، لنضع حدا لهــذا النقاش . ارجوك .

فوينتسكى : لك ما تشاء .

ماري فاسيليفنا : آه !

سونيا : ما الخبر يا جدتى ؟

ماري فاسيليفنا : (مخاطبة سيربيرياكوف) نسيت أن أخبرك يا الكسندر ... أوه .. ذاكرتى بدأت — تخوننى ... افتكرت ... استلمت اليوم رسالة من بول الكسفتش من خاركوف وقد رجانى ان ابلغك سلامه .

سيربرياكوف : شكرا . انني سعيد جدا .

ماري فاسيلفنا : بعث لى كتابه الجديد وطلب منى ان اعرضه عليك .

سيربرياكوف : اتظنين انه يستحق الاهتمام ؟

ماري فاسيليفنا : نعم ، ولكن الغريب في الامر انه يناقض صراحة الآراء التى يدعو اليها منذ سبع سنين . هذا هو مايميز العصر الذى نعيش فيه . لم يحدث مطلقا ان تنكر الناس لمعتقداتهم بمثل هذا التبذل كما يفعلون الآن . شيء فظيع !

فوينتسكى : لافظيع ولامريع ! الاترغبين في شيء من السمك يا أماه ؟

ماري فاسيليفنا : كلا ، اريد ان اتحدث !

فوينتسكي : لقد تحدثنا عن الاتجاهات والمدارس الفكرية في الخمسين سنة الماضية . حان الوقت لنضع حدا لهذا .

ماري فاسيليفنا : لاأدري لماذا تمتعض عندما اتحدث . معذرة ياجورج ولكنك قد تغيرت كثيرا في السنة الماضية بحيث أصبحت لاأفهمك . كنت رجلا ذا مبادئ واضحة وشخصية مستنيرة . . .

فوينتسكي : نعم ، نعم . كنت « شخصية مستنيرة » لم تفد بنورها احدا . اسمحوا لى بالوقوف . كنت « شخصية مستنيرة » . لم أسمع في حياتي نكتة أشد من هذه إيلاما . انا الآن في السابعة والأربعين من عمري . كنت حتى السنة الماضية أحاول عامدا متعمداً ان اخدع نفسي بمختلف المعتقدات والفلسفات والحذلقات التافهة تهربا من مواجهة الواقع ، وكنت اتوهم أنني على صواب . . . آه لو عرفتم الآن كم أحتقر نفسي بسبب البلاهة التي بددت فيها عمري في الوقت الذي كنت أستطيع فيه الحصول كل ما يحرمني كبر سني

من الحصول عليه الآن .

سير برياكوف : اسمع ياجورج ! يبدو كأنك تلقى اللوم على مبادئك السابقة لأمرمّا . . .

ســـونيا : كفى ياأبى ! انه حديث مملّ !

سير برياكوف : انظر ! انك تلقى اللوم على مبادئك السابقة لأمر ما ولكن العيب فيك انت وليس في المبادئ .
لقد غاب عنك آن المبادى لاتحيا الا بالعمل .
كان يجب ان تكون الآن قائما بعملك .

فوينتسكى : عملى ؟ لاأعتقد ان كل انسان يمكنه ان يكتب مثلك دون توقف حسب قاعدتك قاعدة «الحركة الأبدية »

سير برياكوف : ما قصدك ؟

فوينتسكى : لاشيء . لنضع حدا لهذا النقاش . لسنا في بيتنا الآن .

مارى فاسيليفنا : يبدو انني لم أعد اتذكر شيئا . . . نسيت ان اذكرك يا الكسندر بأن تتناول الدواء قبل الغذاء.
احضرته معى ولكنى نسيت ان اذكرك به .

سير برياكوف : لاداعى له .

ماري فاسيليفنا : ولكنك مريض يالكسندر ! مريض جدا !

سيربرياكوف : لم كل هذه الضجة ؟ عجوز مريض ، عجوز مريض.. .هذا كل ما اسمعه منكم ! (مخاطبا زلتوخين) ارجو ان تسمح لى يا ليونيد ستيبانوفتش بالدخول الى بيتك . الجو حار هنا والبعوض يضايقنى .

زلتوخين : تفضل . لقد انتهينا من الغداء .

سيربرياكوف : شكرا لك .

(يدخل المنزل تتبعه مارى فاسيليفنا)

جولى : (مخاطبة اخاها) اذهب وراء الاستاذ ! انه موقف محرج !

زلتوخين : عليه اللعنة ! (يخرج)

ديادين : يوليا ستيبانوفنا ، اسمحى لى ان اشكرك من صميم قلبى . (يقبل يدها) .

جولى : لاداعى للشكر يا ايليا اليتش . انت لم تأكل سوى القليل (يقف الجميع ويعربون لها عن شكرهم) لاداعى للشكر . لم تأكلوا سوى القليل .

فيدور : ماذا نفعل الآن ؟ لنذهب الى ملعب الكروكي ونتفذ الرهان . . . وماذا بعد ؟

جـــولى : نتعشى .

فيدور : وبعد ذلك ؟

خروشوف : بعد ذلك اصطحبكم معى ، اما في المساء فنذهب إلى البحيرة لصيد السمك .

فيدور : مدهش !

ديادين : هذا رائع حقا !

ســـونيا : حسنا . اتفقنا اذن . هذا يعنى اننا سنذهب الآ ن الى ملعب الكروكى لتنفيذ الرهان وستقدم لنا جولى عشاء مبكرا ، وفي السابعة نذهب إلى الغابة ، اعنى منزل السيد خروشوف .. رائع ! هيا نحضر الكرات يا جولى (تدخل المنزل بصحبة جولى) .

فيدور : خذ الشراب الى الملعب يا فاسيلى . سنشرب نخب الفائزين . هيا نتمتع بالمباراة الشائقة يا أبى .

اورلوفسكى : انتظر قليلا يا ولدى . يجب ان اقضى بضع دقائق مع الاستاذ . كان موقفا محرجا . لابد

لنا من مراعاة المظاهر . خذ دورى في اللعب برهة قصيرة . سآتى حالا . (يدخل المنزل) .

ديادين : سأذهب للاستماع إلى العلامة الكبير الكسندر فلاديميرونتش ترقبا للبهجة العلوية التى ...

فوينتسكى : أنت ثقيل الظل ، ياوافل ! ابتعد عنى !

ديادين : سأبتعد . (يدخل المنزل)

فيدور : (يخرج إلى الحديقة مغنيا)
يا من ستتربعين على عرش العالم
انت يا أثمن ما في الوجود ... (يخرج)

خروشوف : سأغادر المكان في هدوء . (مخاطبا فوينتسكى) ارجو جادا الا تعود إلى مناقشة اى امر يتصل بالغابات او الطب . لأمر لا أعلمه ، ما ان تبدأ في مناقشة هذه الأمور حتى ينتابنى شعور من أكل طعاما من أوعية صدئة طول اليوم. اسمحوا لى بالانصراف (يخرج)

المنظر الثامن

(الينا اندريفنـــا وفوينتسكى)

فوينتسكى : ياله من انسان ضيق الأفق ! لا مانع عندى أن

يتحدث الانسان في امور سخيفة احيانا ولكنني امقت ان يعرضها بطريقة عاطفية .

الينا اندريفنا : لقد تصرفت تصرفا مشينا هذه المرة ايضا ياجورج ماذا دعاك إلى التجادل مع مارى فاسيليفنـا والكسندر والتحدث عن الحركة الأبدية ؟ هذه أمور صغيرة !

فوينتسكى : ماذا افعل إذا كنت أمقته ؟

الينا اندريفنا : ليس هناك ما يدعوك إلى مقته . انه لا يختلف عن الباقين .....

(سونيا وجوليا تمران في طريقهما إلى الحديقة وهما تحملان كرات ومضارب الكروكى)

فوينتسكى : آه لو رأيت حركاتك والتعابير المرتسمة على وجهك .. انك اكسل من أن تمارسى الحياة ! أوه ، يا للكسل !

الينا اندريفنا : عجبا ، كسول ، مملة ! (فترة صمت) كلكم تسخرون من زوجى امام عينى دون ان تعيروا مشاعرى أى اهتمام . نظرات الرثاء التى ترتسم في أعينكم تقول : « مسكينة هذه المرأة .

زوجها رجل عجوز ! » جميعكم ، حتى
الطيبون منكم ، يتمنون ان أهجر الكسندر ...
شفقتكم ونظرات الرثاء في أعينكم وتنهدات
الحسرة التى تصدرونها لا تعنى شيئا غـــير
ذلك . ان شيطان الغابة على حق حين قال انكم
تقضون على الغابات بحماقة ولن يمضـــى وقت
طويل حتى تختفى من الوجود ، وكذلك ،
وبنفس الحماقة ، فانكم تقضون على الانسان
وسرعان ما ينعدم الوفاء والطهر والقدرة على
تضحية النفس ، والفضل في ذلك يرجع اليكم .
لماذا لا تتركون المرأة الوفية وشأنها مادام لا
لا تربطكم بها أى صلة ؟ ان شيطان الغابة على
حق ، ففى دخيلة انفسكم شيطان مريد لاهم له
سوى التدمير . انتم لا تبقون على الغابات ولا
الطيور ولا النساء ولا حتى على بعضكم بعضا .

فوينتسكى : انا لا أحب هذه الفلسفة !

ايلينا اندريفنا : قل لصاحبك فيدور انى سئمت من وقاحته . انها
تثير التقزز في نفسى . يحملق فـــى عينى ويتحدث

بصوت مرتفع وامام الجميع عن عشقه لامرأة متزوجة — ياله من رجل خفيف الظل !

اصوات من الحديقة مرحى ! مرحى !

الينا اندريفنا : ولكن ما ألطف شيطان الغابة ! انه يزورنا كثيرا ولكنى اشعر بالخجل منه ولم احدثـــه مطلقا كما اشتهى . لم استطع ان اكسب وّده وربما خطر له انني امرأة متعجرفة سيئة الطبع ، جورج اعتقد ان سبب الصداقة الوثيقة التى تربطنى بك هو ان كلينا مضجر وممل ! ثقيل الظل ! لماذا تحملق فيَّ هكذا ؟ لا أطيق هذه النظرات .

فوينتسكى : ولكن كيف أنظر اليك غير ذلك وانا اهيم بك ؟ انت سعادتى ، وحياتى وشبابى ! .... اعرف ألا امل لى في ان تبادلينى هذا الحب ولكن يكفينى ان اتأمل طلعتك واسمع صوتك ....

المنظر التاسع

(الينا وفوينتسكى وسيربرياكوف)

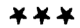
سيربرياكوف : (من النافذة) عزيزتى الينا ، اين انت ؟

الينا اندريفنا : هنا .

سيربرياكوف : تعالى واجلسى معنا قليلا ياعزيزتى (يختفى — الينا اندريفنا تدخل المنزل)

فوينتسكى : (يتبعها) اسمحى لى أن احدثك عن غرامى — لا تبعدينى عنك . هذا اقصى ما اطمع فيه من السعادة .

يسدل الستار



الفصل الثانى

(غرفة الطعام في منزل سيربيرياكوف . بوفيه — مائدة الطعام في وسط الغرفة . الوقت بعد الساعة الواحدة ليلا . يسمع من الحديقة صوت طرقات الحارس الليلى)

المنظر الاول

(سيربيرياكوف يجلس على مقعد قريب من النافذة وهو يغالب النعاس ، الينا اندريفنا تجلس بقربه وتغالب النعاس هى الأخرى) .

سيربرياكوف : (مستيقظا) من هناك ؟ أنت ياسونيا ؟

الينا اندريفنا : لا ، انا .

سيربرياكوف : انت ياالينا العزيزة ؟ ياله من ألم فظيع !

الينا اندريفنا : لقد وقع غطاؤك على الأرض (تلفه حول ساقيه) سأغلق النافذة يا الكسندر .

سيربرياكوف : لا ، ارجوك . اكاد اختنق من الحر . لقد

غلبني النعاس منذ قليل وحلمت ان ساقي اليسرى لم تعد ساقي . عندها أفقت وأنا أشعر بهذا الألم القاتل . كلا ، لا يمكن أن يكون النقرس . يخيل الى انه الروماتزم . كم الساعة الآن ؟

الينا اندريفنا : الواحدة والثلث . (صمت)

سيربرياكوف : ابحثي في المكتبة صباحا عن بايتوشكوف . اعتقد اننا نحتفظ بمؤلفاته .

الينا اندريفنا : مـاذا ؟

سيربرياكوف : ابحثي عن بايتوشكوف . اعتقد اننا نحتفظ بمؤلفاته ان لم تخني ذاكرتي . ولكن لماذا أجد كل هذه الصعوبة في التنفس ؟

الينا اندريفنا : انت متعب . هذه هي الليلة الثانية التي لم تنم فيها .

سيربرياكوف : يقولون ان مرض النقرس الذي اصيب به تورجنيف (١) قد تطور الى ذبحة صدرية .

---

(١) ايفان سرجيوفتش تورجنيف (١٨١٨ – ١٨٨٣) روائي وكاتب مسرحي روسي شهير ينتمي الى عائلة ريفية غنية ، درس في جامعات موسكو وبطرسبورج ، عالج في كتاباته حياة الفلاحين وغيرها من المشكلات الاجتماعية ، أروع رواياته هي « الآباء والأبناء » التي اثارت سخط التقدميين مما حدا بتورجنيف أن يغادر روسيا ، ومن أشهر مسرحياته « شهر في الريف » وهي شبيهة بمسرحيات تشيخوف في نظرتها الواقعية للحياة وابرازها لها بدقة ووضوح .

واخشى ان يحدث هذا لى أيضا . لعنة الله على هذه الشيخوخة المقيتة ! عليها اللعنة ! أصبحت أضيق بنفسى منذ كبرت ، ولا بد أن منظرى يثير الاشمئزاز في نفوسكم ايضا .

الينا اندريفنا : انت تتحدث عن شيخوختك وكأننا الملومون على ذلك .

سيربرياكوف : انت أول من يشمئز منى .

الينا اندريفنا : يالك من غبي ! (تنهض وتجلس بعيدا عنه)

سيربرياكوف : طبعا انت على حق . أنا لست من الغباء بحيث يخفى على ذلك . انت شابة جميلة تشتهين الحياة . وانا رجل عجوز أكاد اكون جثة متصلبة . حسنا اتظنين انى لا أدرك كل هذا ؟ لاشك ان بقائى حيا الى الآن يعتبر سخفا منى . ولكن انتظرى قليلا . سأريحكم جميعا .

الينا اندريفنا : انك تحطمنى ياالكسندر ! ان كنت استحق جزاء منك على سهر الليالى بجانبك فاننى لاأطلب منك سوى السكوت ، ، اسكت بالله عليك ! هذا كل ما اطلبه منك .

سيربرياكوف : يبدو أنكم جميعا تشعرون بانكم تبددون شبابكم

في التعاسة واليأس والملل بسببي ، وانني الوحيد بينكم الذى يستمتع بالحياة ويعيش عيشة راضية فعلا ، مافي ذلك من شك !

الينا اندريفنا : اسكت ! لقد أتعبتني !

سيربرياكوف : حقا ، اتعبتكم جميعا !

الينا اندريفنا : (باكية) هذا فوق طاقتي ! قل لى ماذا تريد مني ؟

سيربرياكوف : لاشيء .

الينا اندريفنا : اذن اسكت ، أرجوك !

سيربرياكوف : شيء عجيب ! كلما تحدث جورج او تلك — العجوز البلهاء مارى فاسيليفنا يصغى الجميع اليهما دون ملل ولكنني ان لفظت بكلمة واحدة يعتريكم الوجوم جميعا . حتى صوتي يثير — اشمئزازكم . لنفرض انى انانى ومستبد وممل ولكن اليس لى الحق ، حتى في شيخوختي . ان اكون انانيا ؟ اتستكثرون علىّ هذهالأنانية؟ كانت حياتي قاسية . اسألى اورلوفسكي . كنا ندرس في الجامعة سويا . كان يستمتع بوقته

كل الاستمتاع . كان كثير الاختلاط بالغجريات . كنت أعيش من احسانه . كنت في ذلك الوقت اعيش في غرفة رخيصة قذرة ، واعمل ليل نهار كالثور . كنت اتضور جوعا واعيش في قلق مستمر لأنى كنت عالة على غيرى . ثم التحقت بجامعة هايدلبرغ ومع ذلك لم أر من هايدلبرغ شيئا . ثم ذهبت الى باريس ولم أر من باريس شيئا . كنت احبس نفسى طول الوقت بين أربعة جدران وانا اعمل . قضيت حياتى كلها منذ اصبحت — استاذا وانا أخدم العلم بكل نزاهة واخلاص ولا ازال اخدمه حتى الآن . بعد كل هذا اريد ان اسألكم : ألا يحق لى ان اقضى شيخوختى في سلام ؟ الا استحق شيئا من الرعاية ؟

اليا اندريفنا : ما من أحد ينكر عليك هذا الحق (تضرب الريح النافذة بعنف) الرياح تشتد . سأغلق النافذة (تغلقها) ستمطر عما قليل . ما من أحد ينكر عليك حقوقك .

(صمت — تسمع طرقات الحارس الليلى وهو يغنى)

سيريرياكوف : بعد ان قضيت عمرى في خدمة العلم وتعودت على غرفة مكتبي وعلى طلبتى ، وزملائى — الافاضل ، اجد نفسى فجأة ودون سبب مدفونا في هذا القبر ومضطرا لرؤية البلهاء من الناس والاستماع الى احاديثهم السخيفة يوما بعد يوم انى اعشق النجاح والضجيج وتقدير الناس . ولكننى اعيش هنا في منفى . اتحسر على الماضى كل لحظة وانا ارقب نجاح غيرى بينما الموت يفزعنى . كلا ، لاأستطيع ان اتحمل ذلك ! انه فوق طاقتى ! ورغم ذلك فبعض الناس لايغفرون لى شيخوختى .

الينا اندريفنا : مهلا ، صبرك . لن تمضى خمس أو ست سنين حتى اصبح عجوزا مثلك (تدخل سونيا)

المنظر الثاني

(سيربيرياكوف والينا اندريفنا ومعهم سونيا)

سـونيا : عجبا ! — لم — لم يحضر الطبيب بعد ؟ طلبت من ستيبان ان لم يجد طبيب مستشفى زيمستفو ان يذهب لاحضار شيطان الغابة .

سيربرياكوف : ما فائدة شيطان الغابة لى ؟ انه لا يفقه في الطب اكثر مما افقه في الفلك .

سونيـــا : اظنك لا تتوقع أن ندعو جميع اساتذة الطب لمعالجة نقرساك .

سيربرياكوف : انى أرفض مجرد الكلام مع ذلك المأفون .

ســـونيا : ليكن ما تشاء (تجلس) شيء لا يهمني .

سيربريا كوف : كم الساعة الآن ؟

الينا اندريفنا : لم تدق الثانية بعد .

سيربرياكوف : الجو خانق هنا . اعطني الدواء من فوق المنضدة .

ســـونيا : تفضل . (تناوله الدواء) .

سيربرياكوف : (متضايقا) آه . ليست هذه ! لا فائدة من أن أطلب منك شيئا !

ســـونيا : خفف من حدتك ، ارجوك . قد يتحمل الآخرون منك ذلك اما انا فأرجو ان تعفيني . لا أحب ذلك .

سيربرياكوف : يالك من فتاة عنيدة ! لم هذا الغضب ؟

ســـونيا : ولم تتكلم بهذه اللهجة الحزينة ؟ من يسمعك

يظن انك تعس فعلا . ومع ذلك فان من هم أسعد منك لا يتجاوزون اصابع اليد .

سيربرياكوف : أكيد ! انا في غاية السعادة .

سونيا : من المؤكد انك سعيد ... ومع انك مصاب بالنقرس فانت تعلم جيدا بان النوبة ستزول في الصباح . ما الداعي إلى الحزن اذن ؟ لماذا كل هذه الجلبة ؟ (يدخل فوينتسكي مرتديا ملابس النوم — يحمل شمعة .)

المنظر الثالث

(نفس الاشخاص ومعهم فوينتسكي)

فوينتسكي : العاصفة توشك على الهبوب . (ومضة من البرق) هيا إلى الفراش ياسونيا وانت يا الينا . سأنوب عنكما هنا .

سيربرياكوف : (مذعورا) كلا ، كلا ، لاتتركاني معه ! حديثه يذهب بعقلي !

فوينتسكي : ولكنهما تحتاجان الى شيء من الراحة . لم يغمض لهما جفن في الليلتين الماضيتين .

سيربرياكوف : دعهما يذهبان الى الفراش ولكن امض انت لشأنك . شكراً لك . اتوسل اليك ان تتركني . باسم صداقتنا الماضية لا ترفض لى طلبي . سنتحدث في وقت آخر .

فوينتسكى : صداقتنا الماضية ! .. هذا خبر اسمعه للمرة الأولى .

الينا اندريفنا : اصمت يا جورج .

سيربرياكوف : لاتتركيني معه ياعزيزتى ! سيذهب بعقلى باحاديثه .

فوينتسكى : موقف مضحك !

صوت خروشوف : (من وراء المسرح) اهم في غرفة الطعام ؟ هنا ؟ ارجو ان تعتني بجوادي .

فوينتسكى : لقد حضر الطبيب .

(يدخل خروشوف)

المنظر الرابع

(نفس الاشخاص ومعهم خروشوف)

خروشوف : ياله من طقس ! كاد المطر يدركني ولكنني

تمكنت من الافلات باعجوبة . كيف حالكم جميعا ؟ (يحييهم) .

سيربرياكوف : معذرة . لم اكن ارغب في ازعاجك .

خروشوف : لاعليك . ليس هناك مايدعو الى الازعاج ، ولكن مااللذى تشكو منه ياالكسندر فلاديميروفتش انت دائم الشكوى من مرضك . الاتخجل من ذلك ؟ هذا لايليق . ممّ تشكو ؟

سيربرياكوف : لماذا يتحدث الاطباء الى مرضاهم دائما بهـذه اللهجة المتعالية ؟

خروشوف : (ضاحكا) حقا لاينبغي لك ان تكون عـلى هذه الدرجة من قوة الملاحظة . (بصوت — رقيق) لماذا لاترقد في سريرك ؟ الجلوس هنا لايناسبك . ستشعر بالدفء والراحة في — الفراش . هيا ، سأجرى الكشف عليك هناك. سيكون كل شيء على خير ما يرام .

الينا اندريفنا : افعل مايطلبه الطبيب منك ياالكسندر . هيا .

خروشوف : اذا كنت تجد صعوبة في السير ، سننقلك وانت في مقعدك .

سيريرياكوف : كلا ، سأمشي . (ينهض) لم يكن هناك ما يدعو لازعاجك بالحضور . (خروشوف — وسونيا يسندانه من ذراعيه) ثم انني لاأعتقد كثيرا في الأدوية . لماذا تسندانى ؟ استطيع السير وحدي (يخرج ومعه خروشوف وسونيا)

المنظر الخامس

(الينا اندريفنا وفوينتسكي)

الينا اندريفنا : لقد اضنانى تماما ! لم أعد اطيق صبرا !

فوينتسكي : لقد اضناك هو أما انا فقد اضنيت نفسى . لم اذق طعما للنوم منذ ثلاث ليال .

الينا اندريفنا : هناك شيء غريب يجري في هذا البيت ، والدتك تكره كل شيء ما عدا كتبها والاستاذ . والاستاذ متوتر الاعصاب ولايثق بى ويخشاك . وسونيا غير راضية عن تصرفات والدها وترفض ان تتحدث معى . اما انت فتكره زوجي وتحتقر والدتك علانية وانا ضجرة متوترة الاعصاب دائما ، وكنت اليوم اوشك ان انفجر باكية عشرين مرة ، وباختصار فاننا نعيش جميعا في

حالة حرب . ولكن ماالداعى الى كل هذا ؟

فوينتسكى : لاداعى لفلسفة الامور .

الينا اندريفنا : هناك عيب ما في هذا البيت . انت ياجورج رجل ذكى واسع الثقافة وينبغى لك ان تدرك ان ما يحدث الدمار في هذا العالم ليس هو القتلة — واللصوص ولكنه الحقد الدفين والعداوة بين الطيبين من الناس والمنازعات التافهة التى تخفى عن اولئك الذين يطلقون على بيتنا مأوى المثقفين . هلا اعتنى على مصالحتهم فردا ، فردا لايمكننى ان احقق شيئا بمفردى .

فوينتسكى : صالحينى مع نفسى اولا ! حبيبتى ! . . (ممسكا بيدها)

الينا اندريفنا : لاينبغى لك ذلك ! (تسحب يدها) ابتعد عنى !

فوينتسكى : سرعان ما ينقطع المطر فينتعش كل مافي الطبيعة ويتنفس بحرية . انا الوحيد الذى تعجز العاصفة عن انعاشه . ان الفكرة التى تقض مضجعى ليل نهار هى اننى اضعت عمرى سدى . ليس لدىّ ماض لاننى اضعته في التفاهات . وحاضرى مخيف بسماجته وعقمه . هذه هى حياتى وحبى

فماذا اصنع بهما وأى فائدة ترجى منهما ؟ ان مشاعرى قد تبددت كما يتبدد شعاع من الشمس في مستنقع ماء . لقد أضعت عمرى هباء ! . .

الينا اندريفنا : عندما تحدثنى عن حبك يعترينى الارتباك ولا أدرى ماذا اقول . ارجو صفحك . ليس لدى ما اقوله لك (تتهيأ للانصراف) طابت ليلتك .

فوينتسكى : (معترضا سبيلها) آه لو علمت كم اقاسى عندما يخطر ببالى ان حياة اخرى تعيش معى تحت سقف واحد تتبدد وتضيع — حياتك انت ماذا تنتظرين ؟ اى فلسفة لعينة تلك التي تقف في طريقك ؟ يجب ان تفهمى ان السمو الخلقى — لايعنى ان نقيد شبابنا بالاغلال او ان نكبت ظمأنا للحياة . . .

الينا اندريفنا : (تنظر اليه بثبات) جورج ! انت مخمور !

فوينتسكى : ربما . ربما ! . . .

الينا اندريفنا : أينزل عليك فيدور ايفانوفتش ضيفا هذه الأيام؟

فوينتسكى : نعم ، وسيبيت الليلة معى . ربما . ربما . . . كل شيء محتمل !

الينا اندريفنا : وكنتما تشربان اليوم ؟ لماذا فعلت ذلك ؟

فوينتسكى : هذا ، على اية حال ، يتفق وحياتى . . . — لاتنكرى ذلك علىّ يا الينا .

الينا اندريفنا : لم يكن السكر من عادتك ، ولم تكن تثرثر كما تفعل اليوم ، هيا الى فراشك إنك تبعث السأم في نفسى . واخبر صديقك فيدورايفانو فتش ان يكف عن ازعاجى والا فانى اعرف كيف اوقفه عند حده ! انصرف !

فوينتسكى : (متشبثا بيدها) حبيبتى . . . ياأغلى ما في — الوجود ! (يدخل خروشوف)

المنظر السادس

(الينـــا وفوينتسكى ومعهما خروشوف)

خروشوف : الكسندر فلاديمير وفتش يستدعيك يا الينا اندريفنا.

الينا اندريفنا : (تنتزع يدها من قبضة فوينتسكى بعنف) سأذهب حالا . (تخرج)

خروشوف : (مخاطبا فوينتسكى) ان لك قدرة عجيبة على تدنيس كل شىء ! يجب ان تتذكر انـــت والسيدة العزيزة التى خرجت الآن أن زوجها كان زوجا لاختك قبل ذلك وان فتاة شابـــة تعيش معكما تحت سقف واحد . ان جميع اهل

المقاطعة يلغطون بالعلاقة بينكما ، ياللعار !
(يذهب لرؤية المريض)

فوينتسكي : (منفردا) لقد ضاعت مني ! (بعد فترة من الصمت) كنت اقابلها في منزل المرحومة اختي منذ عشر سنوات وكانت حينئذ في السابعة عشرة من عمرها وكنت انا في السابعة والثلاثين . لماذا لم اقع في حبها واتقدم لطلب يدها في ذلك الحين ؟ كم كان ذلك محتملا ! كان من الممكن ان تكون زوجتي الآن ... نعم ... لو قدر وكان ذلك لأيقظتنا العاصفة الآن سويا ، ولحملها فزعها من الرعد على الالتصاق بي فاعانقها واهمس في اذنها « لا تخشي شيئا ، انني هنا بجانبك . » يالها من افكار بديعة ! ما اروعها ! انها تبعثني على الضحك ... ولكن يالله ! افكاري صارت مشوشة . لماذا تقدمت بي السن ؟ لماذا ترفض ان تفهمني ؟ انني امقت عباراتها المنمقة ، واخلاقياتها المتبلدة ، وافكارها التافهة عن فناء العالم .... (يصمت) لماذا اختلف عن غيري من الناس ؟ كم أشعر بالحسد

نحو ذلك الكلب المرح فيدور وذلك الاحمق شيطان الغابة ! كلاهما يتصف بالصراحة والصدق والحمق ... إنهما لا يقاسيان من سخرية القدر — تلك السخرية اللعينة القاتلة ... (يدخل فيدور ايفانوفتش متلفعا بدثاره) .

المنظر السابع

(فوينتسكي وفيدور ايفانوفتش)

فيدور : (عند المدخل) هل انت وحدك ؟ أليس معك أحد من السيدات ؟ لقد أيقظتني العاصفة ياله من مطر رائع ! كم الساعة الآن ؟

فوينتسكى : (حانقا) الساعة ! لا أدرى .

فيدور : يخيل الى انى سمعت صوت الينا اندريفنا .

فوينتسكى : كانت هنا منذ قليل .

فيدور : امرأة بديعة ! (يتفحص الأدوية الموضوعة على المنضدة) ما هذا ؟ حبوب النعناع ؟ (يتذوقها) نعم امرأة بديعة ! ... هل الاستاذ مريض فعلا ؟

فوينتسكى : نعم .

فيدور : لا أفهم معنى لوجوده . يقولون ان قدماء الاغريق كانوا يلقون باطفالهم الضعفاء والمعتلين من قمة مونت بلان الى الهاوية . ان من كان مثله يجب ان يلقى نفس المصير !

فويتسكى : (متضايقا) لم تكن مونت بلان (١) بل صخرة تاربيان . يا للجهل المطبق !

فيدور : حسنا ، فلتكن تلك الصخرة اذن . هذا لايعنيني في شيء ، قل لى ما سر كل هذا التجهم ؟ لعلك حزين من أجل الاستاذ ؟

فويتسكى : دعني وشأنى .

فيدور : أم تراك واقعا في غرام زوجة الاستاذ ؟ ماذا ؟ إذن فأنا على صواب ... انك تتنهد من أجلها ... ولكن اصغ الىّ جيدا : إذا ثبت لى ان هناك ذرة من الصحة في الاشاعات التى يتناقلها الناس من حولنا فلا تطلب منى الـــرحمة لانى سألقى بك قمة صخرة تاربيان .

فويتسكى : ما بيننا لايعدو مجرد الصداقة .

(١) يسخر من جهله لأن مونت بلان وهى أعلى قمة فى جبال الالب تقع فى الجزء الشرقى من فرنسا ، وتتاخم الحدود الايطالية وليست فى اليونان .

فيدور : هل وصلتما إلى هذا الحد ؟

فويتسكى : ماذا تعنى بقولك إلى هذا الحد ؟

فيدور : ان المرأة لا يمكن ان تكون صديقة لرجل الا بعد أن تمر بالمراحل التالية : — تبدأ مجــرد معرفة ، ثم تصبح خليلته ، وعندها فقط تغدو صديقته.

فويتسكى : يالها من فلسفة سمجة !

فيدور : وعليه دعنا نشرب كأسا . هيا . اظن ان لدىّ زجاجة من الشمبانيا . سنشرب وعندما يطلع الفجر نذهب إلى منزلى . موافق ؟ (يلمح سونيا داخلة) آه ياللسماء ! معذرة فأنــا لست بكامل ملابسى . (يخرج مهرولا) .

المنظر الثامن

(فويتسكى وسونيا)

سـونيا : عدت ثانية يا خال جورج إلى شرب الشمبانيا مع فيدور وشوهدت وانت تركب معه الترويكة (١) . هكذا عادت الطيور الزاهية الريش

---

(١) الترويكة : هى عربة روسية يجرها ثلاثة جياد تسير جنبا الى جنب .

تغرد سويا عجبا ! ان فيدور معروف بفجوره وطيشه ، ولكن ماذا يدعوك انت إلى مثل هذا السلوك ؟ هذا لا يليق بمن كان في مثل سنك .

فوينتسكى : هذا أمر لا علاقة له بالسن . ان لم يتمكن المرء من أن يعيش فعلاً فلا بد له من ان يعيش في الاوهام . وعلى أى حال هذا أفضل من لاشيء.

سونيا : لم يتم تخزين التبن بعد ، ويقول جويراسيم ان المطر سيتلفه ، وأنت هنا تعيش في الاوهـام ! (يفزع) خالى ! ارى الدموع في عينيـك !

فوينتسكى : دموع ؟ ابدا .. هراء ..! كنت تنظرين الى بنفس الطريقة التى كانت المرحومة امك تنظر الى بها . ياحبيبتى ! ... (يقبل وجهها ويديها بشوق) اختى ... اختى الحبيبة ! . . أين هى الآن ؟ آه لو عرفت ! آه لو عرفت

سونيا : ماذا ؟ لوعرفت ماذا يا خالى ؟

فوينتسكى : انه لأمر ثقيل محزن ... (يدخل تحرشوف) لاشيء ... سأخبرك فيما بعد ... لابد أن اخرج ... (يخرج) .

المنظر التاسع

(سونيا وخروشوف)

خرشوف : والدك يرفض ان يصغى الىّ . اقول له ان مرضه هو النقوس فيقول انه روماتيزم . واطاب منه ان يستريح في سريره فيجلس . (يتناول قبعته) انها اعصابه !

سونيا : لقد افسده التدليل . اخلع قبعتك وانتظر حتى يتوقف المطر . ما رأيك في شيء من الطعام ؟

خرشوف : لامانع عندى .

سونيا : انني احب ان اتناول بعض الطعام ليلا . اعتقد اننا سنجد شيئا منه في «البوفيه» . . . (تبحث في البوفيه) انه لايحتاج طبيبا . كل ما يحتاجه ان تلتف حوله اثنتا عشرة امرأة يحملقن في عينيه ويتنهدن « استاذ ! استاذ ! » اليك شيئا من الجبن . . .

خروشوف : لايليق بك ان تتحدثى عن والدك بهذه اللهجة . انا موافق على انه رجل متعب ولكن اذا انت قارنته بالآخرين وجدت ان اصبعه الصغير —

يفضل كل امثال خالك جورج وفيدور .

سنــونيا : ها هنا زجاجة شراب ... انني لاأتكلم عن أني ولكنني سئمت جميع العظماء بكل مراسيمهم المعقدة ... (يجلسان) ياله من مطر غزير (ومضة برق) أوه !

خروشوف : العاصفة تتلاشى . انها الآن فوق اطراف — المزرعة » .....

ســـونيا : (تصب الشراب) تفضل .

خروشوف : نخب بلوغك المائة من العمر ! (يشرب) .

ســـونيا : لاشك انك غاضب لازعاجنا اياك في منتصف الليل .

خروشوف : على العكس تماما . لو لم أحضر لكنت الآن غارقا في النوم وانا أفضل ان اراك امام عينيّ على ان اراك في المنام .

ســـونيا : لماذا تبدو غاضبا اذن ؟

خروشوف : لانني غضبان فعلا . نحن هنا على انفراد وسأتكلم بكل صراحة . لكم يسعدني لو استطيع يـــا صوفي الكسندروفنا ان احملك بعيدا عن هذا

المكان في هذه اللحظة ! انى لا أستطيع ان اتنفس هنا في هذا الجو ويخيل الى ان سمومــه قد بدأت في التأثير عليك. والدك لايشغل باله سوى نقرسه وكتبه . يرفض ان يهتم بأى شيء آخر . ثم هناك خالك جورج ، واخيرا زوجة ابيك . . . .

سـونيا : وما عيب زوجة ابى ؟

خروشوف : ليس هذا من الامور التى يستطيع الانسان ان يتكلم عنها بصراحة . . . هناك اشياء كثيرة لا أفهمها في الناس . ولكننى اعتقد ان كـل شيء في الانسان يجب ان يكون جميلا : الوجه الملابس ، الروح ، الافكار . . . كثيرا ما أرى وجها وثيابا تدير رأسى بحسنها واكاد اطير من النشوة وانا اتأملها ولكن سواد القلب والروح يملأ نفسى اشمئزازا ! ان المظهر الخارجى — البديع كثيرا ما يخفى وراءه روحا من السواد والظلام لاتقوى على ازالتهما كل اصباغ الأرض .اصفحى عنى . . . انا في غاية الانفعال . . . صدقينى انت اعز مخلوق عندى . . . .

سـونيا : (تسقط السكين من يدها) لقد سقطت من يدى . . .

خروشوف : (يلتقطها) لاشيء ! (بعد فترة من الصمت) عندما يلمح تائه يهيم في غابة على غير هدى في ليلة مظلمة نورا يلمع من بعيد تغمره سعادة — ينسى معها التعب والظلام والاغصان الشائكة التى تدمى وجهه . اننى اعمل من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل ولا إعرف للراحة طعما لاصيفا ولاشتاء . اعيش في صراع دائم مع من لايفهموننى ، وكثيرا ما يسبب لى ذلك آلاما لاتطاق ... ولكننى وجدت اخيرا شمعتى الصغيرة ... لاابالغ ان قلت انك احب مـا لدىّ في الوجود . اننى لا أعتبر الحب كل شىء في الحياة ... ولكنه الجزاء الوحيد الذى اطمع في الحصول عليه ... انت حبيبتى وكنزى الثمين . ما من مكافأة لمن يعمل ويكافح ويقاسى أثمن . . . . .

سـونيا : (مضطربة) عفوا ... اريد ان اوجه اليـك سؤالا ياميخائيل لفوفتش .

خروشوف : ماذا ؟ هيا اسألى بسرعة . . . .

ســـونيا : انك كثيرا ما تقوم بزيارتنا ونحن نرد لك الزيارة أحيانا . هيا اعترف بانك لاتستطيع ان تغفر لنفسك هذه العلاقة .

خروشوف : ما قصدك ؟ .

ســـونيا : اقصد — اريد ان اقول ان ميولك الديمقراطية تجعلك تشعر بالاثم بسبب صداقتك الوثيقة بنا . فانا قد درست في معهد الفنون والينا اندريفنا سيدة ارستقراطية ونحن نلبس احدث الثياب واغلاها وانت رجل ديموقراطى . . . . .

خروشوف : كفى . . . . . . كفى . . . . دعينا من هـــذا الحديث ! ليس هذا وقته !

ســـونيا : انت تحفر الارض بيديك بحثا عن الفحم وتزرع الاشجار بنفسك . . . . لاأخفى عليك انى اجد في هذا الكثير من الغرابة . . . باختصار وفي كلمة واحدة انت اشتراكى . . . ،

خروشوف : ديموقراطى ! اشتراكى ! . . . . صوفي— الكسندروفنا . . . كيف تتحدثين عن هـــذا الأمر بغاية الجديدة بل وبصوت مختلج !

سـونيا : نعم ...... نعم ، انني اتكلم جادة واقولها الف مرة .

خروشوف : ولكن هذا مستحيل ! هذا مستحيل ! ...

سـونيا : اؤكد لك واقسم انه لو كان لى أخت مثلا ووقعت في حبها وطلبت يدها فانك لن تغفر لنفسك ذلك قط ولن تستطيع الظهور أمـام زملائك من أطباء وطبيبات مستشفى زمستفو خجلا منهم لزواجك من فتاة من أصل ارستقراطى ترفل في الحرير ولا تحسن القيام بأى عمل مفيد . انني ادرك ذلك تمام الادراك ... ان عينيك تنطقان بانني على صواب ! وباختصار فان غاباتك والفحم الذى تنقب عنه وقميصك المطرز كل هذا رياء وتمثيل وكذب ، لا أكثر ولا أقل !

خروشوف : لا أدرى ماذا يدعوك إلى اهانتى ؟ ولكن يبدو انني انسان احمق . لقد نلت جزائـى لتطفلى على مكان لا يرحب احد فيه بوجودى .(يتجه نحو الباب) .

سـونيا : اصفح عنى ! لقد كنت قاسية ! اعتذر !

خروشوف : (راجعا) ليتك تعلمين كم أجد الجو خانقا ومقبضا في هذا البيت ! مجموعة من الناس ممن يشكون في كل انسان وينظرون اليه بحذر ، يصورونه اشتراكيا او مجنونا او بائع كلام — قولى ماشئت الا شيئا واحدا : انه انسان. فهم عندما يقولون « أوه . انه مجنون ! » تهدأ نفوسهم وتغمرهم الفرحة ، وعندما يقولون « انه تاجر كلام ! » يطيرون فرحا وكأنهم اكتشفوا امريكا . اما عندما يعجزون عن فهمى ويجدون صعوبة في اختيار العبارة التى ترضيهم لتثبيتها على جبينى فانهم لايلومون انفسهم بل يلقون اللوم علىّ ويقولون « ياله من انسان غريب الاطوار ! » انك لم تبلغى العشرين بعد ولكنك ادخلت نفسك في عداد المسنين . تتصرفين بنفس رزانة والدك وخالك جورج ولن يدهشنى مطلقا ان ترسلى في طلبى لمعالجتك من مرض النقرس . لايمكن لإنسان ان يعيش في جو كهذا ! بغض النظر عمن اكون ، انظرى في عينى باخلاص —

وبدون تحفظ ، وفوق ذلك كله حاولى ان تفهميني كانسان ، والا فان علاقتك مع الناس لن تجلب لك الراحة مطلقا . وداعا ! ولكن تذكرى هذه الكلمات : هذه النظرة الماكرة المتشككة في عينيك لن تمكنك من ان تحبي احدا ! » ...

سونيا : هذا غير صحيح !

خروشوف : بل صحيح !

سونيا : غير صحيح ! ولأبرهن على خطئك اقول لك ... أحبك ! احبك ، وهذا يؤلمنى ، يؤلمنى ! والآن دعنى وشأنى ! انصرف ! اتوسل اليك ألا تزورنا ثانية . لاتعاود المجىء ..

خروشوف : اذن اسمحى لى بالانصراف (يخرج) .

سونيا : (منفردة) لقد غضب . لاقدر الله ان اكون في مثل حدة طبعه ! (تصمت هنيهة) ان حديثه يدعو الى الاعجاب ولكن من يدرى ؟ يحتمل ان يكون ذلك مجرد الفاظ يتشدق بها . ان تفكيره مشغول دائما ابدا بالغابات وبزراعة الأشجار ... كل هذا لابأس به .. ولكن

أليس من الجائز ان يكون ذلك نوعا من —
الجنون ؟ . . . (تغطى وجهها بيديها) لا
استطيع ان اجزم بشيء ! (تبكى) القد درس
الطب ومع ذلك فان اعمق اهتماماته ليست في
مجال الطب . . . انه رجل غريب الأطوار .
غريب . . . اعنّي ياألهى كي أجد مخرجا !
(تدخل الينا اندريفنا)

المنظر العاشر

(سونيا والينا اندريفنا)

الينا اندريفنا : (تفتح النافذة) لقد هدأت العاصفة ! ياله من هواء منعش ! (بعد فترة صمت) أين شيطان الغابة ؟

ســونيا : رحل .

الينا اندريفنا : صوفيــا !

ســونيا : ماذا تريدين ؟

الينا اندريفنا : الى متّى تظلين غاضبة منى ؟ لم يحدث أن — اخطأت احدانا في حق الاخرى . ماالداعىلهذه العداوة اذن ؟ حان الوقت لنضع حدا لهذا . .

سـونيا : هذا ما كنت أتمناه ...(تحتضنها) حبيبتي !

الينا اندريفنا : هذا رائع ! .... (يبدو الانفعال عليهما) .

سـونيا : هل نام أبي ؟

الينا اندريفنا : لا ، انـه يجلس في غـرفة الاستقبال .... لقد مضى علينا شهر كامل لم نتحدث فيه لأمر لايعلمه الاالله . حان الوقت لنضع حدا لهذا .. (تنظر الى المنضدة) ما كل هذا ؟

سـونيا : لقد تناول شيطان الغابة بعض الطعام .

الينا اندريفنا : وهناك خمر كذلك .. .لنشرب نخب صداقتنا .

سـونيا : هيا .

الينا اندريفنا : من نفس الكأس ... (تصب الخمر) هذا افضل بكثير . لقد اصبحنا صديقتين الآن . مارأيك ؟

سـونيا : نعم ، صديقتان (تشربان ثم تتعانقان) كنت ارغب في مصالحتك منذ حين ولكننى كنت استحى (تبكى) .

الينا اندريفنا : لماذا تبكين اذن ؟

سـونيا : لاأدرى .

الينا اندريفنا : كفى ، كفى . . . (تبكى) يالك من فتاة — غريبة الاطوار . لقد بدأت أبكى انا الأخرى. (بعد فترة من الصمت) انت غاضبة منى لأنك تظنين انى قد تزوجت من والدك بدافع المصلحة . اقسم لك انى تزوجته بدافع الحب. لقد فتنى بعلمه وشهرته . كان حبا زائفا ، ولكنه كان يبدو لى حبا صادقا . لم يكن الذنب ذنبى ، ومع ذلك كنت تعاقبيننى — بنظراتك الماكرة المتشككة منذ اليوم الاول من زواجنا . . . .

سونيا : كفى ! لقد تصالحنا ! لننس الماضى . هذه هى المرة الثانية التى اسمع فيها اليوم ان لى عينين ماكرتين متشككتين .

الينا اندريفنا : لاينبغى لك ان تنظرى الى الحياة بهذا الشك . هذا لايليق بك ابدا . لابد لك من الثقة بالناس والاستحالت الحياة .

سونيا : « الملدوغ من الثعبان يرهب من الحبل » لقد خدعت كثيرا .

الينا اندريفنا : من الذى خدعك؟ان والدك رجل طيب شريف ويعمل

بهمة ونشاط . لقد ابديت له استنكارك اليـوم
لانه سعيد . ان انهماكه في عمله هو مصدر
سعادته ولكنه لايكاد يلحظ ذلك . وانا مـا
ظلمتك وما ظلمت اباك . اما الخال جورج فهو
رجل لطيف مخلص ولكنه تعس ساخط .
(بعد فترة من الصمت) اذن فيمن تشكين ؟

ســونيا : كونى صادقة معى كصديقة ... هل انـت سعيدة ؟

الينا اندريفنا : كلا .

ســونيا : كنت واثقة من ذلك. لى سؤال آخر . اخبرينى بصراحة ، هل تتمنين لو كان زوجك شابا ؟

الينا اندريفنا : يالك من طفلة ! اتمنى ذلك طبعا (تضحك) هيا . اسألى سؤالا آخر . هيا ....

ســونيا : هل يعجبك شيطان الغابة ؟

الينا اندريفنا : نعم . يعجبنى جدا .

ســونيا : (تضحك) لاشك انك لاحظت التعبير السخيف الذى يرتسم على وجهى ؟ .... لقد انصرف

ومع ذلك فما زلت اسمع صوته ووقع خطواته ،—
وعندما انظر الى النافذة الملح وجهه مرتسما في
الظلام .... ساصارحك بكل شىء ...
ولكننى لااستطيع ان اتكلم بصوت مرتفع .
انى اشعر بالخجل . هيا الى غرفتى . سأخبرك
بكل شىء هناك . هل ابدو سخيفة في نظرك ؟
صارحينى . هل تظنينه لطيفا ؟

الينا اندريفنا : نعم ، في منتهى اللطف ....

سونيا : ولكن غاباته وفحمه — أشياء غريبة في نظرى
اشياء لاأفهمها .

الينا اندريفنا : ليست الغابات هى بيت القصيد ! الشىء المهم
فعلا ، ياعزيزتى ، هو الموهبة . اتعلمين ما
هى الموهبة ؟ الشجاعة وانطلاق الروح والتحليق
في الاعالى .... انه يغرس شتلة صغيرة او
يستخرج قنطار فحم ، ولكنه يفكر فيماسيحدث
بعد ألف عام ويحلم بما سيكون عليه العالم من
سعادة . من كان مثله من الرجال نادر ويستحق
منا كل الحب . ليباركما السماء فانتما
تتصفان بالشجاعة والطهر والنبل . انه جامح

قليلا ولكنك فتاة عاقلة بعيدة النظر وستكملان أحدكما الآخر بشكل بديع . . . (تنهض) اما انا فشخصية مملة تافهة تفتقر الى الحياة . . . كنت دائما كذلك سواء في موسيقاى او في حبي اوفي منزل زوجي . آه ياسونيا . ما اتعسني ! — (تذرع الغرفة وهى منفعلة) لا سعـــادة لى في هذا العالم ! كلا ! . . . . لماذا تضحكين ؟

سـونيا : (تضحك مغطية وجهها) انني في غاية السعادة ! في غاية السعادة !

الينا اندريفنا : (تعصر يديها) يالى من تعسة حقا !

سـونيا : انني سعيدة . . . . سعيدة !

الينا اندريفنا : اريد ان اسمع شيئا من الموسيقى . . . اريد ان اعزف الآن .

سـونيا : ارجوك ان تعزفي (تعانقها) لا أستطيع النوم . . . اعزفي أرجوك .

الينا اندريفنا : سأعزف ، ولكن والدك لم ينم بعد . والموسيقى تضايقه عندما يكون مريضا . اذهبي واسأليه . سأعزف ان لم يعترض على ذلك . هيا اذهبي لتسأليه . .

سـونيا : سأعوّد توا . (تخرج – تسمع طرقات الحارس (١) الليلى من الحديقة)

الينا اندريفنا : لم اعزف منذ وقت طويل . سأعزف وابكى كبلهاء . . . . (تتجه نحو النافذة) أأنـت الذى تطرق هناك يا فيم ؟

صوت الحارس : نعم .

الينا اندريفنا : كفى طرقا . سيدك متوعك الصحة .

صوت الحارس : سأنصرف (يصفر) نجر (٢) . جاك نجر.

سـونيا : (راجعة) لقد رفض !

يسدل الستار

---

(١) فى القرن التاسع عشر فى روسيا ، كان الحارس الليلى يتجول فى العربة وهو يطرق بالعصا التى يحملها بغرض اخافة اللصوص ، واشعار أهل المنزل بأنهم تحت الحراسة .

(٢) مناديا كلبه .

الفصل الثالث

(غرفة الاستقبال في منزل سيربيرياكوف . ثلاثة أبواب : واحد الى اليمين وواحد الى اليسار وثالث في الوسط . الوقت : بعد الظهر . تسمع الينا اندريفنا من وراء المسرح وهى تعزف لحنا من الحان لنسكى بعنوان «قبل المبارزة» من اوبرا «يوجينى اونيجين») .

المنظر الاول

(اورلوفسكى . فوينتسكى وفيدور ايفانوفتش الذى يرتدى زيا شركسيا ويحمل بيده قلنسوة من الفـــرو)

فوينتسكى : (مصغيا الى الموسيقى) انها الينا اندريفنا تعزف لحنى المفضل .. (تتوقف الموسيقى بانتهاء — اللحن) نعم .. انه لحن رائع حقا .. لم يسبق ان كان الجو هنا مملاً كما هو الآن ..

فيدور : انت لم تذق في حياتك معنى الملل الحقيقى ، ياصديقى العزيز .. لقد عانيت الملل بأبشـــع صورة عندما كنت متطوعا في الصرب : — الحرارة — ضيق النفس — القذارة . كانـــت

رؤوسنا تكاد تنفجر بعد كل دور من الخمر .
اذكر انى كنت اجلس مرة في سقيفة صغيرة
قذرة وكان الكابتن كاشكنازى هناك ايضا . .
لم يعد امامنا موضوع للحديث ولا مكان نذهب
اليه ولاشيء نعمله ولا رغبة في الشراب سأم مميت
لامهرب منه سوى الانتحار ! كنا نجلس –
حانقين ونحن يحدق احدنـا في الآخـر . .
هـو يحدق في وانـا احـدق فيه . . هـو
يحدق في وانا احدق فيه . . وتمضى الساعة تلو
الساعة ولا نزال يحدق احدنا في الآخر ، واذ
به يقفز فجأة بلا سبب ويستل سيفه ويهجم عليّ
وهو يصيح « هيا تقدم . . وقفزت انا بدورى
وسيفى بيدى – كان من الواضح انه ينوى –
قتلى . . وبدأت المبارزة تشك – تشك –
تشك – شاك . . واخيرا تمكنوا من الفصـل
بيننا بكل صعوبة . . خرجت من القتال سليما
معافي ولكن الكابتن كاشكنازى لايزال يحمل
ندبه على وجهه إلى اليوم ، انظروا كيف يصير
الانسان يائسا بسبب الملل .

اورلوفسكى : نعم ، مثل هذه الامور يمكن ان تحدث فعلا .

(تدخل سونيا)

المنظر الثاني

(نفس الاشخاص ومعهم سونيا)

سونيا : لاادرى ماذا افعل بنفسي . . (تسير هنا وهناك وهى تضحك)

اورولوفسكى : الى اين انت ذاهبة ياقطتى الحبيبة ؟ اجلسى معنا قليلا .

سونيا : اقترب منى يانيديا . (تنتحى بفيدور جانبا) تعال هنا . .

فيدور : ماذا تريدين ؟ ماسبب هذا الاحمرار الذى يعلو وجهك ؟

سونيا : عاهدنى ان تفعل ما اقوله لك .

فيدور : حسنا ؟

سونيا : اسرع الى . . شيطان الغابة .

فيدور : لم ؟

سونيا : افعل ما اقوله لك . . اذهب اليه واسأله عن سبب غيابه الطويل . . لم يزرنا منذ خمسة عشر يوما .

فيدور : احمر وجهها خجلا .. ياللعار ! ... سونيا غارقة في الغرام .

الجميع : ياللعار .. ياللعار !

(سونيا تغطى وجهها بيديها وتجرى خارجة)

فيدور : انها تنتقل هنا وهناك ومن حجرة الى اخرى كطيف وهى لاتدرى ماذا تفعل بنفسها .غارقة في حب شيطان الغابة .

اورلوفسكى : انها فتاة صغيرة رائعة .. وانا احبها . كنت اتمنى ان تكون من نصيبك ياعزيزى فيدور . ليس من السهل ان تحصل على عروس افضل ولكن هذه هى ارادة الله .. آه لوانك تزوجتها لكانت سعادتى لاتحد . كنت ازوركما وانتما تجلسان حول موقد العائلة وابريق الشاى يئزعلى المائدة .

فيدور : لاخيرة لى بهذه الامور . ولكن لو خطرت لى فكرة الزواج السخيفة لتزوجت جولى فهى على الاقل صغيرة الحجم ويجب على الانسان ان يختار دائما أهون الشرور . ثم أنها ربة بيت — ممتازة .. (يضرب جبهته) لقد خطرت لى فكرة جيدة .

اورلوفسكى : وما هى ؟

فيدور : لنشرب شيئا من الشمبانيا .

فوينتسكى : لايزال الوقت مبكرا كما ان الجو خانق .. انتظر قليلا .

اورلوفسكى : (معجبا) ولدى الحبيب ! ولدى البديع ! ولدى الغالى يريد بعض الشمبانيا ! . . .(تدخل الينا اندريفنا)

المنظر الثالث

(نفس الاشخاص ومعهم الينا اندريفنا)

الينا اندريفنا : (تجتاز خشبة المسرح)

فوينتسكى : انظروا اليها تسير متمايلة من فرط الكسل ! بديع ! بديع جدا !

الينا اندريفنا : كفى ياجورج ! اننى في غاية الملل دون حاجة الى ثرثرتك .

فوينتسكى : (معترضا سبيلها) يالك من فنانة موهوبة ! ولكن هل يوحى مظهرك بذلك ؟ اسمحى لى ان اقول ان كسلك وفتورك وكآبتك وتزمتك تدفعنى الى النفور من مجرد النظر اليك . . .

الينا اندريفنا : لاتنظر الىّ اذن . دعني أمر . .

فوينتسكي : لم تضيّعين شبابك ؟ (بلهجة متحمسة) حبيبتي الفاتنة . تعقلي ! ان دماء جنيات البحر تجرى في عروقك فلم لاتتصرفين كواحدة منهن ؟

الينا اندريفنا : دعني وشأني !

فوينتسكي : انطلقي على سجيتك مرة واحدة فقط وتعلقي — بغرام أحد جن البحر مثلك !

فيدور : ثم غيبي في طيات الماء معه واتركينا مع الاستاذ المبجل نلوح بأيدينا دهشة !

فويتسكي : ماذا تقولين ايتها الحورية ؟ أحبّي مادمت قادرة على الحب !

الينا اندريفنا : لماذا لاتكف عن الوعظ ؟ كأني اجهل كيف اعيش حسبما ارغب دون توجيهاتك . لو استطعت لكنت انطلق حرة كالطير مبتعدة عن وجوهكم الناعسة واحاديثكم الرتيبة ، كنت امحو وجودكم كله من ذاكرتي وعندها لـن يجرؤ أحد على مضايقتي بمواعظه . ولكنني لا املك تلك الارادة . يمنعني حيائي وتنقصني — الجرأة . يخيل الىّ انني لو زللت لاقتفى كل نساء

العالم اثرى وتركن ازواجهن ، ولعاقبنى الله ولما عرفت معنى للراحة من تأنيب الضمير . ولولا ذلك لأربتكم كيف تكون حياة الانطلاق (تخرج) .

اورلوفسكى : يا لها من مخلوقة رائعة الجمال ! . . .

فوينتسكى : اعتقد انني سأبدأ احتقر هذه المرأة ! خجول كالطفلة الصغيرة وتتفلسف وكأنها فسيس عجوز لايعرف سوى الفضيلة . انها ترسل الدم باردا في عروقي !

اورلوفسكى : كفى ! كفى . . اين الاستاذ الآن ؟

فوينتسكى : في غرفة مكتبه . يكتب ويكتب .

اورلوفسكى : لقد ارسل يدعونى لأمر يتعلق بالعمل . اعندك فكرة عن هذا العمل ؟

فوينتسكى : لايمكن ان يدعوكم لأى عمل . انه يقضى وقته في كتابة التفاهات والتذمر والحسد ولا شيء غير ذلك .

(يدخل زلتوخين وجولى من الباب الأيمن)

المنظر الرابع

(نفس الاشخاص ومعهم زلتوخين وجولى)

زلتوخين : كيف حالكم جميعا ؟ (محييا الجميع)

جــولى : كيف انت يا ابانا ؟ (تقبله) . كيف حالك يا فيديا ؟ (تقبله) كيف حالك يا جورج — بيترو فتش ؟ (تقبله) .

زلتوخين : هل الكسندر فلاديمير وفتش فى البيت ؟

اورلوفسكى : نعم ، في غرفة مكتبه .

زلتوخين : يجب ان اذهب لرؤيته فقد ارسل يستدعينى : لامر يتعلق بالعمل . . (يخرج) .

جــولى : هل استلمت الشعير الذى ارسلت في طلبه — باالامس ياجورج بترو فتش ؟

فوينتسكى : نعم ، اشكرك . كم تريدين ثمنا له ، لقد اشترينا منكم شيئا مّا في الربيع . لست اذكرما هو . . يجب ان نصفى حساباتنا . انا لا أطيق الفوضى وتأخير التسديد .

جــولى : وصلك في الــربيع اردب ونصف (١) مــن القمح وعجلتان وعجل وزبدة من اجل عمال المزرعة .

فوينتسكى : ماثمن الجميع ؟

---

(١) الاصل ثمانية ارباع والربع وحدة وزن تبلغ نحو خمسة وعشرين رطلا .

جـــولى : وما يدرينى ؟ لا أستطيع الرد على سـؤالك ، يا جورج بيتروفتش ، دون آلة العد .

فوينتسكى : سآتيك بآلة العد مادام لابد لك من ذلك . .
(يخرج ثم يعود ومعه آلة العد)

اورلوفسكى : هل اخوك على مايرام يابطتى ؟

جـــولى : بخير . حمداً لله على ذلك . من اين اشتريت هذه «الكرافته» يا أبانا ؟

اورلوفسكى : من المدينة من عند كيربشوف .

جـــولى : جميلة جدا . سأشترى واحدة مثلها للينى .

فوينتسكى : ها هى آلة العد .
(جولى تجلس وتحسب مستعينة بآلة العد)

اورلوفسكى : يالها من مديرة اعمال رائعة ارسلها الله للينى . صغيرة تكاد لاتراها ولكن انظر اليها وهى تعمل انظـــر !

فيدور : نعم انه يقضى وقته في التسكع هنا وهناك لاعمل له سوى تحسس وجنته . ياله من كسول !

جـــولى : لقد شوشت أفكارى وجعلتنى أخطئ الجمع .

فوينتسكى : هيا نذهب الى غرفة ثانية . لنذهب الى الصالة.

لقد اعترانى الخمول هنا . .(يتثاءب)

اورلوفسكى : حسنا هيا نذهب الى الصالة . . الامر عندى سيان .

(يخرجون من الباب الايسر)

جولى : (منفردة بعد فترة من الصمت) فيديا يرتدى الملابس الشركسية . . هذا ما يحدث عندما يهمل الآباء تربية ابنائهم . ليس هناك من هو اجمل منه في المقاطعة باجمعها . ولكنه ذكى وغنى لايصلح لشىء . . لاأمل فيه مطلقا ! (تحسب على آلة العدّ) .

(تدخل سوفيا)

المنظر الخامس

(جولى وسونيا)

سونيا : هل انت هنا ياعزيزتى جولى؟ لم أكن اعرف ذلك

جولى : (تقبلها) يا حبيبتى !

سونيا : ماذا تفعلين ؟ تعدين ؟ يالك من مديرة اعمال رائعة . انى أشعر بالغيرة عندما اراك .ولكن لماذا لا تتزوجين ياعزيزتى جولى ؟

جـــولى : اقترح عليّ بعضهم رجلا او اثنين ولكنني — رفضت ، ولم يتقدم لى خطيب اتمناه يطلـــب الزواج مني (تتنهد) .

ســـونيا : ولكن لماذا ؟

جـــولى : انني فتاة غير متعلمة . اخرجونى من المدرسة الثانوية وانا في السنة الثانية .

ســـونيا : ولكن ماالذى دعاهم لإخراجك ياعزيزتى ؟

جـــولى : عدم مقدرتى على متابعة الدراسة . (تنفجـــر سونيا ضاحكة)

جـــولى : ماذا يضحكك يا سونيا ؟

ســـونيا : اشعر بشيء غريب في اعماقي ، ياعزيزتى — جولى . . انني في غاية السعادة اليوم . سعيدة لدرجة تبعث على السأم..لاأدري ماذاافعل بنفسي.. دعينا نتحدث عن أى شيء . . هيًّا الم تشعرى بالحب في حياتك ؟ (جولى تطرق برأسها) نعم ؟ شاب ظريف ؟
(جولى تهمس في اذنها) ؟ من ؟ فيدور ؟

جـــولى : (تومئ برأسها علامة الايجاب) وأنت ؟

سـونيا : لقد احببت انا الأخرى . . ولكنه ليس فيلدور (تضحك) هيا اخبريني بالمزيد .

جـولى : كنت ارغب في التحدث معك منذ وقت طويل يا سونشكا .

سـونيا : ارجوك ان تفعلى .

جـولى : اريد ان اشرح لك . . ثقى انى كنت دائمـا اميل اليك . . ان لى الكثير من الصديقات — ولكنك كنت دائما افضلهن جميعا .لو انك قلت لى « جولى ، اعطيني عشرة أحصنة او او مائتى نعجة » لما ترددت مطلقافي إجابة — طلبك . . لاأبخل بشىء عليك . .

سـونيا : ولكن ما سبب احمرار وجلك ياعزيزتى جولى؟

جـولى : انى أشعر بشىء من الخجل . . انى . . . . انى بكل اخلاص ، ارتاح اليك . . أنـت افضل صديقة لى . لاتتكبرين على أحد . . ما هذا القماش الجميل الذى ترتدينه ؟

سـونيا : ستتحدث عن القماش فيما بعد . . هيا اكملى حديثـك . .

جـــولى : (تنهض) لاادرى كيف ابدأ . . لدىّ عرض بالزواج لك . . ارجو ان تدخلي السعادة الى قلبى . . اعنى . . اعنى ان تتزوجى لينى .
(تغطى وجهها)

ســـونيا : (تنهض) يحسن الا نتكلم في هذا الموضوع يا عزيزتى جولى . . كلا ، من الافضل الا . .
(تدخل الينا اندريفنا)

المنظر السادس

(جولى وسونيا ومعهما الينا اندريفنا)

الينا اندريفنا : لم يعد هناك مكان للجلوس . جورج واورلو فسكي وابنه يملؤون البيت على سعته فما ان اتوجه الى غرفة حتّى اجدهم امامى . لقد فاض بى ماذا يريدو ن هنا ؟ لم لايذهبو ن الى مكـــن آخـــر .

جـــولى : (دامعة) كيف حالك ياالينا اندريفنا ؟ (تهم بتقبيلها)

الينا اندريفنا : كيف حالك ياعزيزتى جولى ؟ معذرة فـــانالا اميل الى التقبيل المتواصل . ماذا يفعل والـــدك

يا سونيا ؟ (فترة صمت) لماذا لاتجيبين يا
يا سونيا ؟ انى اسألك ماذا يفعل والدك ؟ —
(فترة صمت) لماذا لاتجيبين يا سونيا ؟

سونيا : تريدين ان تعرفي اقتربي مني . . (تنتحى بها جانبا) حسنا . سأخبرك . . ان قلبى اليوم أطهر من ان يسمح لى با لتحدث معك — والاستمرار في النفاق . خذى ! (تناولها رسالة) عثرت عليها في الحديقة . هيا نذهب يا جولى . (تخرج مع جولى من الباب الايسر)

المنظر السابع

(الينا اندريفنا ثم فيدور ايفانوفتش)

الينا اندريفنا : (منفردة) ماذا ؟ رسالة من جورج لى ؟ — ولكن هل الذنب ذنبي ؟ آه كم هى ظالمة وقاسية ! تقول ان قلبها اليوم اطهر من ان يسمح لها بالتحدث معى . . ياالهى ، ما هذه الاهانة ان رأسي يدور . . أكاد لاأقوى على الوقوف ! (فيدوريدخل من الباب الايسر ويجتاز خشبة المسرح) لماذا ترتعدين عندما ترينى ؟ (فترة صمت)

هه ! . . (ينتزع الرسالة من يدها ويمزقها إربا) يجب ان تكفى عن ذلك . يجب الاتفكرى في غيرى .

(فترة صمت)

الينا اندريفنا : ماذا تعنى ؟

فيدور : اعنى انه عندما يقع اختيارى على امرأة فمن المستحيل ان تحاول الافلات من بين يدىّ .

الينا اندريفنا : كلا هذا لا يعنى سوى شيء واحد — انك غبى ووقح .

فيدور : ستكونين في انتظارى في الساعة السابعة والنصف مساء اليوم قرب الجسر الصغير خلف الحديقة . ما رأيك ؟ ليس لدىّ ما أقوله لك غير هذا . . والآن يا ملاكى حتى الساعة السابعة والنصف. (يحاول الامساك بذراعها فتصفعه على وجهه) هذا كثير !

الينا اندريفنا : اغرب عن وجهى .

فيدور : كما تشائين . . (يسير مبتعدا ثم يعود) اننى شديد التأثر . . هيا نحسم الامر في هدوء . —

لايخفى عليك انى مررت بتجارب عديدة في حياتى .. حتى حساء سمك الزينة (١) ذقته في حياتى مرة او مرتين .. ولكن لم يحدث ان ركبت منطادا او خطفت زوجات اساتذة مرموقين .

الينا اندريفنا : انصرف .

فيدور : اسمحى لى بدقيقة واحدة .. لقد خبرت كل شيء .. وعايه فانى من الصفاقة بحيث لاادرى ماذا افعل بنفسى .. ان ما اقصده من كل هذا الكلام هو انك إن شعرت بحاجة الى صديق او كلب وفيّ في يوم من الايام فسأكون — بخدمتك .. لقد غلبنى التأثر ..

الينا اندريفنا : لست بحاجة الى كلاب .. انصرف !

فيدور : كما تشائين .. (بانفعال) ولكن بالرغم من كل قسوتك فقد غلبنى التأثر .. انى متأثر حقا نعم .. (يخرج في شيء من التردد) .

الينا اندريفنا : (منفردة) رأسى يكاد ينفجر .. لاتمضى ليلة الا وتورّق نومى الرؤى المزعجة . حدثنى

(١) سمك ذهبى اللون يوضع فى أحواض زجاجية بغرض الزينة .

قلبي بأن شيئا رهيبا سيحدث . . ياله من مكان بغيض . ولد الصغار وترعرعوا هنا وكانوا يحترمون بعضهم بعضا ويتبادلون قبلات الحب والوفاء . كان ينبغى ان يعيشوا في سعادة وامان ولكنهم سرعان مايلتهمون بعضهم بعضا . لقد استطاع شيطان الغابة ان ينقذ الغابات ولكن ليس هناك من يستطيع ان ينقذ بنى الانسان . (تتجه نحو الباب الايسر ولكنها تلمح زلتوخين وجولى قادمين من ذلك الباب فتخرج من الباب الاوسط) .

المنظر الثامن

(زلتوخين وجولى)

جولى : ما اتعس حظنا يالينى . انا وانت ! مااتعس حظنا !

زلتوخين : ولكن من الذى طلب منك ان تكلميها ؟ يالك من صانعة زيجات وقحة ! لقد افسدت كل شيء . لاشك انها تظن انى لااحسن التكلم عن نفسى . . تصرف حقير ! قلت لك الف مرة

ألا تحشرى نفسك في هذا الموضوع . لم ينلني بسببك سوى التحقير والتلميحات الخبيثة . آه يا للدناءة . لقد شعر العجوز الماكر بحبي لهـا وهو الآن يحاول استغلال عواطفي . يريد ان اشترى هذه المزرعة منه .

جـولى : كم يطلب فيهـا ؟

زلتوخين : اصمتى . . انهم قادمون .

(يدخل سيربيرياكوف ، واورلوفسكى — ومارى فاسيليفنا من الباب الايسر . مارى فاسيليفنا تسير وهى منهمكة في القراءة) .

المنظر التاسع

(زلتوخين وجولى ومعهما سيربرياكوف — واورلوفسكى ومارى فاسيليفنا)

اورلوفسكى : صحتى انا الآخر ليست ما يرام ياعزيزى .مضى يومان وانا اشكو من رأسى وكل جسمى .

سيربرياكوف : اين الباقون ؟ انني لا احب هذا البيت الذى يشبه المتاهة بحجراته الست والعشرين . انهـم يتفرقون فيها فلا يمكنك ان تجد احدا منهـم

(يقرع الجرس) اطلبوا من جورج بيتروفتش
والينا اندريفنا الحضور .

زلتوخين : جولى . ليس لديك ما تفعلينه هنا . اذهبى —
وابحثى عن جورج والينا اندريفنا .
(جولى تخرج).

سير برياكوف : الانسان يستطيع تحمل مرضه مهما كان قاسيا
ولكن الشىء الذى لايمكننى احتماله هو الحالة
النفسية التى تسيطر علىّ . اننى اشعر كأننى مت
او كأننى هويت من الارض وهبطت على سطح
كوكب غريب .

اورلوفسكى : هذا يتوقف على نظرتك للأمور . . . .

مارى فاسيليفنا : (تقرأ) اعطنى قلما . . هنا تناقض مرة اخرى
يجب ان اشير اليه .

اورلوفسكى : تفضلى ياصاحبة العصمة . (يناولها قلما ويقبل
يدها) .
(يدخل فوينتسكى)

المنظر العاشر

(نفس الاشخاص ومعهم فوينتسكى ثم الينا اندريفنا)

فوينتسكى : أكنت تريدنى ؟

سيريرياكوف : نعم يا جورج .

فوينتسكى : ماذا تريد ؟

سيريرياكوف : ساخبرك حالا.. ولكن لماذا أنت غاضب ؟ (فترة صمت) ان كنت مخطئا ، ارجو المعذرة .

فوينتسكى : دعك من هذه اللهجة . . لنتباحث فيما جئنا من اجله . . ماذا تريد ؟

(تدخل الينا اندريفنا)

سيريرياكوف : ها قد جاءت لينوشكا ايضا . . اجلسى . — سيداتى ، سادتى . (برهة صمت) لقد دعوتكم هنا لأعلن لكم ان المراقب العام — سيزورنا قريبا . . هذه المرة لاهزل فيها . انه امر جدّى . لقد دعوتكم هنا ، ايها السادة لكى اسألكم العون والمشورة ، وان ما اعرفه من طيبتكم وكرمكم يجعلنى اطمع في الاتبخلو

عليّ بهما . انني من رجال العلم وقد قضيت حياتي بين الكتب وكنت دائما غريبا عن الحياة العملية . ولهذا فلا غنى لي عن استشارة من لهم دراية بمثل هذه الامور مثلك يا ايفان ايفانوفتش وانت ياليونيد ستيفانوفتش وانت يا جورج . . ان ما اعنيه هو ان اعمارنا جميعا بيد الله . اني رجل عجوز مريض ولذا فانني اعتبر الوقت مناسبا لتصفية شئوني المالية التي تخص العائلة . حياتي قد انتهت ، وأنا لاأفكر في نفسي ، ولكن لي زوجة شابة وابنة شابة يستحيل عليهما الاستمرار في العيش في الريف .

الينا اندريفنا : الامر عندي سيّان .

سيربرياكوف : اننا لم نخلق للريف . ومن المستحيل ايضا ان نعيش في المدينة معتمدين على دخلنا من المزرعة منذ يومين بعت جزءا من غابة أخشاب البناء بمبلغ اربعة آلاف روبل ولكن هذا شيء لايمكن حدوثه كل عام . لذلك يجب علينا ان نتخـــذ

الترتيبات المناسبة التي تؤمن لنا دخلا ثابتا — ومنتظما . وقد فكرت في مشروع مناسب ويشرفني ان اعرضه عليكم للمناقشة ،سأتحدث عن الخطوط العريضة للمشروع دون التعرض للتفاصيل . مزرعتنا تدرُّ علينا دخلا مقداره اثنان في المائة ، واقترح ان نبيع المزرعة ونستثمر ثمنها في سندات مالية مضمونة مما يؤمن لنا دخلا يتراوح بين أربعة وخمسة في المائة . واعتقد انه من المحتمل ان يبقى فائض يمكننا من شراء فيللا صغيرة في فنلندا .

فوينتسكي : انتظر لحظة . اخشى ان اكون قد سمعت خطأ أعد ماقلته أخيرا . .

سيربرياكوف : ان نستثمر المبلغ في سندات مالية مضمونة و ان نشترى فيللا صغيرة في فنلندا . . . .

فوينتسكي : لاأقصد فلندا . . قلت شيئا آخر . .

سيربرياكوف : انى اقترح ان نبيع المزرعة .

فوينتسكي : تماما . . اذن فانت تقترح ان نبيع المزرعة . . مدهش ، فكرة رائعة ! ولكن ماذا سيحدث لى ولوالدتى ؟

سيريرياكوف : سنبحث كل ذلك في حينه .. لا نستطيع ان نحل الامور جميعها في الحال ..

فوينتسكى : انتظر قليلا .. يبدو انى كنت في منتهى الغباء حتى هذه اللحظة . كنت حتى الآن من البلاهة بحيث اعتقدت ان المزرعة ملك لسونيا . ان المرحوم والدى اشتراها واوصى بها لأختى . وكنت من السذاجة بحيث ظننت ان القانون الروسى يقضى بان تنتقل المزرعة من اختى — لابنتها سونيا .

سيريرياكوف : نعم . المزرعة ملك لسونيا . لاخلاف في ذلك. ولن أقدم على بيعها بدون موافقتها ، ولكنى لم افكر في هذا الا لمصلحتها .

فوينتسكى : هذا امر يفوق التصور ! يفوق التصور ! اما ان اكون قد جننت أو ..

ماريا فاسيليفنا : جورج ،لا تعارض الأستاذ! إنه يعرف أكثر منا. جميعا ما هو صواب وما هو خطأ .

فوينتسكى : اريد شيئا من الماء .. (يشرب) استمر في حديثك ! استمر !

سيريرياكوف : لاادرى ما سر كل هذا الانفعال ياجورج .

انى لاداعي أن مشروعى مثالى . اذا كنتم جميعا تجدونه غير مناسب فلن اصر عليه .

(يدخل ديادين مرتديا « الفراك » (١) وقفازا ابيض وقبعة سوداء عالية ذات حافة عريضة) .

المنظر الحادى عشر

(نفس الاشخاص ومعهم ديادين)

ديادين : اسمحوا لى بشرف التحية . اعتذر لدخولى بدون استئذان . انى اعترف بذنبي ولكننى اطمع في صفحكم فانا لم اجد احدا من الخدم في البهو.

سيربرياكوف : (مرتبكا) يسعدنى ان اراك . . تفضل . .

ديادين : (ينحنى بتصنع بالغ) ياصاحب السعادة ! — سيداتى ! ان ما دعانى الى التطفل على مجلسكم هو سبب مزدوج . الاول ، رغبتى في التشرف بزيارتكم للاعراب عما اشعر به نحوكم من احترام وتقدير، والثانى هو دعوتكم جميعا — لاغتنام فرصة هذا الجو الجميل والقيام بزيارتى .

---

(١) سترة سوداء طويلة .

انى اسكن في طاحونة الماء التى استأجرها من صديقى وصديقكم شيطان الغابة . وهى ركن من اركان هذا العالم الشاعرية الهادئة ، ستسمعون فيه ليلا الحوريات (١) وهن يضربن الماء ، اما في النهار . . . .

فوينتسكى : انتظر قليلا يا وافل . . اننا نتحدث في العمل (مخاطبا سيربيرياكوف) اسأله . . لقد اشترينا المزرعة من عمه .

سيربرياكوف : ولماذا اسأله ؟ لماذا ؟

فوينتسكى : لقد اشترينا المزرعة بمبلغ خمسة وتسعين الف روبل . دفع منها والدى سبعين الفا وبقى المبلغ الباقي دينا على المزرعة . استمع الىّ جيدا الآن. ماكنا لنقدر على شراء المزرعة لو لم اتنازل عن حصتى في الميراث لاختى التى كنت احبها . اضف الى ذلك انى اشتغلت مثل الثور عشر سنوات حتى تمكنت من وفاء الدين .

سيربرياكوف : ماذا تريد اذن يا عزيزى ؟

---

(١) تروى الاساطير اليونانية القديمة ان حوريات الماء كانت تعيش فى البحيرات والبرك والانهار والينابيع وتمنحها الحياة والبقاء .

فوينتسكى : المزرعة الآن خالية من الديون وفي احسن حال والفضل في ذلك يرجع بجهودى الشخصية . والآن عندما تتقدم بى السن تقترح ان تطردنى منها شر طردة !

سيربرياكوف : لست أفهم قصدك .

فوينتسكى : لقد قضيت خمسة وعشرين عاما وانا ادير شئون هذه المزرعة . كنت اشتغل وارسل لك المال بانتظام كأى وكيل مزرعة أمين . ولم يخطر لك مطلقا طيلة هذه المدة حتى ان تشكرنى ! وطوال هذه السنين منذ كنت شابا والى الآن وانت تعطينى اجرا سنويا حقيرا مقـــداره خمسمائة روبل . . ولم يخطر لك مطلقا ان تزيدها روبلا واحدا !

سيربرياكوف : وما ادرانى يا جورج ؟ انا لست رجلا عمليـــا ولا افقه شيئا في مثل هذه الامور ، كان يمكنك ان تزيدها قدر ما تشتهى !

فوينتسكى : تقصد لماذا لم أسرق . اليس كذلك ؟ لمــاذا لا تحتقروننى جميعا لاننى لم أسرق ؟ هذا ما كان يقضى به الانصاف . ولو فعلت ذلك لما

كنت الآن معدما كما انا الآن .

ماريا فاسيليفنا : (بلهجة صارمة) جورج !

ديادين : (بانفعال) كفى ياعزيزى جورج . انى ارتعد .. لم تفسد العلاقات الطيبة ؟ (يحتضنه) كفى اتوسل اليك ..

فوينتسكى : لقد اقمت هنا ، كحيوان الخلد (١) بين هذه الجدران الاربعة مع والدتى طيلة خمسة وعشرين عاما .. كانت افكارنا وعواطفنا تتركز فيك وحدك ، كنا نتحدث عنك وعن مؤلفاتك طول النهار . كانت شهرتك موضع اعتزازنا وكنا نذكر اسمك بكل اجلال اما المساء فكنا نضيعه في قراءة كتب ومذكرات لا احمل لها الآن سوى ابشع الاحتقار .

ديادين : كفى يا عزيزى جورج كفى . اتوسل اليك .

سيربرياكوف : انى لا افهم ما تريد .

فوينتسكى : كنا ننظر اليك وكأنك انسان من غير طينة البشر . وكنا نحفظ مقالاتك عن ظهر قلب .. اما الآن فقد تفتحت عيناى على حقيقتك .

---

(١) نوع من القواضم يعيش تحت الارض وهو ليس له عينان ولا اذنان .

اصبحت ادرك كل شيء . انت تكتب عن الفن ولكنك لاتفقه في الفن شيئا . كل مؤلفاتك التي كنت احبها لاتساوى فلسا (١) واحدا .

سيربرياكوف : لماذا لاتكبحوا جماحه ايها السادة ؟ سأغادر المكان !

الينا اندريفنا : جورج . انى اطلب اليك ان تلزم الصمت . أتسمع ؟

فوينتسكي : لا ، لن الزم الصمت ! (معترضا طريق سيربيزياكوف) انتظر ، لم انته بعد ! لقد حطمت حياتى ! لم اذق طعما للحياة ! لم اذق طعما للحياة ! ضيعت ، بددت بفضلك زهرة عمرى . انك اعدى عدوٍّ لى .

ديادين : لم اعد احتمل . .سانتقل الى غرفة اخرى. . . (يخرج من الباب الايمن وهو في غايةالاضطراب)

سيربرياكوف : ماذا تريد منى ؟ وبأى حق تكلمنى بهذه اللهجة ؟ انت ايها النكرة ! ان كانت المزرعة لك خذها . لست بحاجة اليها .

---

(١) الاصل « فاردنج » .وهى قطعة نقد انجليزية تعادل نحو فلس واحد .

زلتوخين : (جانبا) لقد اشتعلت النار في الهشيم .. سأرحل . (يخرج)

الينا اندريفنا : ان لم تكفا عن الكلام فسأغادر هذا الجحـــيم حالا . (تصرخ) صبرى نفذ .

فوينتسكى : بددت حياتى ! انى رجل ذكى شجاع موهوب لو انى عشت حياة طبيعية لكان من الممكن ان اكون شوبنهاور او دستوفسكى آخر .. لقد بدأت الامور تختلط علىّ . لقد جننت ! .. اماه ! .. انى يائس .. اماه ! ..

مارى فاسيليفنا : اطع الاســـتاذ .

فوينتسكى : اماه ! ماذا يجب ان افعل ؟ اوه ، لاتلفظى بكلمة واحدة . انى اعرف ما يجب ان افعل . (مخاطبا سيربيرياكوف) لن ادعك تنسانى .

(يخرج من الباب الاوسط تتبعه مارى فاسيليفنا) .

سيربرياكوف : ما معنى كل هذا أيها السادة ؟ اريحونى من هذا المعتوه !.

اورلوفسكى : سيهدأ سريعا يا الكسندر . دعه يهدأ . لاتنزعج من اجلـــه .

سيربرياكوف : لن اعيش معه تحت سقف واحد . انظروا اين يسكن (يشير الى الباب الاوسط) بجانبى — تماما .. ليذهب ويسكن في القرية او في جناح آخر والا غادرت هذا المكان . يستحيل انابقى معـــه ..

الينا اندريفنا : (مخاطبة زوجها) ان حدث شيء كهذا ثانية فسأغادر البيت !

سيربيرياكوف : اوه ، لا تفزعينى أرجوك !

الينا اندريفنا : انا لا افزعك، ولكن يبدو انكم جميعا تتآمرون — لتقلبوا حياتى جحيما .. سأغادر البيت .

سيربيرياكوف : الكل يعلمون جيدا انك شابة واننى عجوز وان اقامتك معنا هنا تعتبر كرما منك ..

الينا اندريفنا : كفى ! .. كفى ! ...

اورلوفسكى : لم هذا لم ؟ لم ؟ ايها الاصدقاء الاعزاء ! ...

(يدخل خروشوف مسرعا)

المنظر الثانى عشر

(نفس الاشخاص ومعهم خروشوف)

خروشوف : (باضطراب) يسرنى ان اجدك في البيـــت

يا الكسندر فلا ديميروفتش .. ارجو المعذرة لمجيئى في وقت غير مناسب وتعطيلكم عما انتم فيه .. ولكن ليس هذا هو المهم . كيف حالك

سيربرياكوف : ماذا تريد ؟

خروشوف : ارجو المعذرة . انني مضطرب .. لانني جئت منطلقا بسرعة .. بلغني يا الكسندر فلاديميروفتش انك بعت غابتك لكوزنيزوف — ليستغل اخشابها . هل هذا صحيح ام انه مجرد اشاعات لانصيب لها من الصحة ؟ ان صح هذا الكلام فانني ارجوك ان تعدل عن بيعها .

الينا اندريفنا : ان زوجى في حالة لاتسمح له بالتحدث في العمل يا ميخائيل لفوفتش . مارأيك في مرافقتى الى الحديقة ؟

خروشوف : ولكن لابد ان ننتهى من هذا الموضوع حالا !

الينا اندريفنا : كما تشاء .. لايمكننى ان افعل اكثر من هذا.. (تخرج)

خروشوف : اسمح لى ان انطلق لمقابلة كوزنيزوف لأخبره بانك قد عدلت عن البيع. : موافق؟ أتسمح بذلك؟ ان قطع آلاف الاشجار مقابل ثلاثة اواربعة

آلاف روبل من اجل ملابس لنسائنا ومن أجل نزواتنا وترفنا سيجعل احفادنا يلعنوننا على هذه البربرية . . ان انت سولت لك نفسك ارتكاب هذا الجرم وانت ذلك العلامة الشهير فما بالك بالآخرين ممن هم دونك بكثير ! ياللبشاعة !

اورلوفسكي : تحدث في هذا فيما بعد يا ميشا .

سيربرياكوف : هيا . دعنا نذهب يا ايفان ايفانوفتش . يبدو ان هذا الامر لن ينتهي .

خروشوف : (معترضا طريق سيربيرياكوف) اذا كنت مصمما على ذلك فسأشتريها انا منك وسأدفع لك النقود بعد شهرين او ثلاثة .

اورلوفسكي : معذرة ياميشا . . هذا تصرف غريب منك . . انت رجل صاحب افكار ونحن ننحني اجلالا لها (ينحني) ولكن ما الداعي لكل هذه الجلبة ؟

خروشوف : (يستشيط غضبا) حتى انت يا أب الجميع بالعماد ! ان الرجال الطيبين يملؤون العالم وكان هذا يثير فيّ الشكوك دائما ! ولكنني فهمت الآن . انهم طيبون لانهم لايبالون . . .

اورلوفسكى : يبدو انك قد جئت هنا للشجار يا ولدى . هذا لايليق . الفكرة لاتزيد عن كونها فكرة ولكن انظر ياعزيزى . هذا الشيء ايضا ضرورى — (مشيرا الى قلبه) وبدون هذا الشيء ياصديقى العزيز فان كل غاباتك وكل احواض فحمك لاتساوى شيئا . . ارجو الا تغضب من قولى . ولكنك لاتزال شابا قليل الخبرة ! نعم قليـــل الخبرة !

سيربرياكوف : (محتدا) ارجو الا تكلف نفسك عناء الدخول دون استئذان ثانية كما ارجو انتعفيني من ألاعيبك الجنونية ! كنت مصمما على اثارتى وقد تحقق لك مااردت . . ارجو ان تتركنى وشأنى . ان كل غاباتك وكل احواض فحمك ما هى الا هذيان مجنون . هذا هو رأيى ! هيا يا ايفــان ايفانوفتش .

اورلوفسكى : (يتبعه) الكسندر يا ولدى ، لقد بالغت كثيرا لماذا كل هذه القسوة ؟ (يخرج)

خروشوف : (منفردا بعد فترة صمت) هذيان مجنون ! اذا فأنا مجنون في نظر الاستاذ العلامة الشهير . .

انني انحني اجلالا لعلم سعادتك وسأذهب الى البيت حالا لاطيح برأسي . كلا ! ان العالم الذي لايلفظ امثالكم هو المجنون حقا !

(يتجه نحو الباب الايمن مسرعا . سونيا التي كانت تسترق السمع من الخارج اثنـــاء المنظر السابق تدخل من الباب الايسر) .

المنظر الثالث عشر

(خروشوف وسونيا)

سـونيا : (تجري وراءه) قف . . سمعت كل شيء . . تكلم . . تكلم بسرعة والا نفذ صبري وبدأت أنا أتكلم .

خروشوف : صوفي الكسندروفنا . لقد قلت كل ما اريد . ناشدت والدك ان يبقي على الغابة . كنت عـلى حق ولكنه اهانني وقال انني مجنون . انـا مجنون ؟ !

سـونيا : اتوسل اليك ! . . .

خروشوف : كلا . اما اولئك الذين يخفون قسوتهم وتحجر قلوبهم تحت قناع العلم ويلبسون خواءهم –

الروحى ممسوح الحكمة العميقة فليسوا مجانين .
واما اولئك النسوة اللاتى يتزوجن من المسنين
ليخدعنهم علانية وليشترين الملابس العصرية
الانيقة بالمال الذى يأخذنه ثمنا لقطع الغابات فلسن
بمجنونات ايضا .

سونيا : استمع الىّ . استمع (تمسك يديه) دعني
أتكلم . .

خروشوف : لنطو هذا الموضوع . لابد ان نضع له حدا .
ما من صلة تربطني بك ، وقدسبق أن عبرت عن
رأيك فيّ بجلاء ولم يبق لى ما افعله هنا . وداعا
لشد ما يؤسفنى بعد صداقتنا القصيرة التى اعتز
بها كثيرا الا احتفظ في ذاكرتى سوى نقرس
والدك ومناقشاتك حول ميولى الديمقراطية ،
ولكننى لست الملوم على ذلك . . كلا . .
(تسرع سونيا بالخروج وهى تبكى وتغطى
وجهها بيديها)

خروشوف : كنت من الحماقة بحيث وقعت في الحب هنا .
سيكون هذا درسا لى ! لأخرج من هذا —
السجن ! (يتجه نحو الباب الايمن . تدخل
الينا اندريفنا من الباب الايسر) .

المنظر الرابع عشر

(خروشوف والينا اندريفنا)

الينا اندريفنا : هل انت هنا ! لحظة واحدة . . . لقد اخبرنى ايفان ايفانوفتش توا بأن زوجى كان عنيفا معك . . . يجب ان تصفح عنه فهو غاضب اليوم وقد اساء فهمك . . . اما عن نفسى فانى معك بروحى يا ميخائيل لفوفتش ! ثق انى صادقة في تقديرى لك . انا اشاركك شعورك . وقد تأثرت فعلا . اسمح لى ان اقدم لك ، بكل اخلاص ، صداقتى ! (تمد له يديها) .

خروشوف : (بكراهية) اغربى عن وجهى ! . . انى احتقر هذه الصداقة ! (يخرج)

الينا اندريفنا : (وحدها — بتوجع) لماذا ؟ لماذا ؟ !

(تسمع طلقة من خارج المسرح)

المنظر الخامس عشر

(الينا اندريفنا ، مارى فاسيليفنا ، ثم سونيا ، سيربرياكوف ، اورلوفسكى ، وزلتوخين)

(تدخل مارى فاسيليفنا من الباب الاوسط ، ثم

تترنح وتصرخ وهى تسقط الى الأرض فاقدة الوعى . سونيا تدخل وتجرى نحوالباب الاوسط)

سيريرياكوف، اورلوفسكى وزلتوخين :

ما الخبر ؟

(تسمع سونيا وهى تطلق صرخة مدوية . ترجع وتصيح) : « الخال جورج اطلق النار على نفسه . » (تخرج مع اورلوفسكى وسيريبرياكوف وزلتوخين من الباب الاوسط جريا) .

الينا اندريفنا : (متوجعة) لماذا . لماذا ؟

(ديادين يظهر عند الباب الايمن)

المنظر السادس عشر

(اليا اندريفنا ، مارى فاسيليفنا وديادين)

ديادين : (عند المدخل) ما الخبر ؟

الينا اندريفنا : (مخاطبة ديادين) ابعدنى عن هذا المكان . القنى في هاوية عميقة ، اقتلنى ولكننى لا — استطيع البقاء هنا بعد الآن . اسرع . أتوسل اليك !

(تخرج بصحبة ديادين)

يسدل الستار

الفصل الرابع

(الغابة . المنزل بقرب الطاحونة التى يستأجرها دیادین من خروشوف)

المنظر الأول

(الينا اندريفنا ودیادین يجلسان على مقعد تحت النافذة)

الينا اندريفنا : ارجو ان تذهب غدا الى مكتب البريد يا عزيزى دیادین .

دیادین : بالتأكيد .

الينا اندريفنا : سأنتظر ثلاثة أيام أخرى فان لم يأت رد من أخي فسأقترض منك بعض المال وأرحل الى موسكو . لايمكننى ان اقيم في طاحونتك الى الأبد .

دیادین : طبعا . . . (فترة من الصمت) لاأجرؤ على تقديم النصيحة لك ياسيدتى المحترمة ولكن اسمحى لى ان اقول ان كل رسائلك وبرقياتك

ورحلاتي اليومية الى مكتب البريد لافائدة منها .
فمهما كان رد اخيك فانك سترجعين الى زوجك

الينا اندريفنا : كلا ، لن ارجع . . . ينبغي ان نكون منطقيين يا اليا اليتش فانا لاأحب زوجي ، والصغـــار الذين كنت أحبهم كانوا دائما في منتهى الجحود ماذا يدعوني الى العودة اذن ؟ لاشك انك — ستقول . . . الواجب . . . انا ايضا ادرك هذا تماما ولكنني أعود فأقول اننا ينبغي ان نكـــون منطقيين . (فترة صمت) .

ديادين : نعم ! . . . . ان لومونو سوف أعظم شعراء روسيا قد فر من مقاطعة ارشانجل الى موسكو بحثا عن سعده ونجاحه . كان هذا يقينا ، عملا رائعا . . . ولكن ماذا يدعوك انت الى الفرار؟ ان سعادتك ، اذا نحن نظرنا الى مشكلتك نظرة موضوعية ، لم يعد لها وجود في اى مكان . . لقد قضى على طائر الكناريا ان يبقى في قفصه ويتطلع الى سعادة الآخرين . لابد ان يبقى هناك طول حياته .

الينا اندريفنا : قد لاأكون طائرا من طيور الكناريا بل عصفورا طليقا !

دیادین : كلا . كلا ! اننا نحكم على العصفور يا سيدتى المحترمة من طريقته في الطيران . . . ان اى سيدة أخرى كانت تستطيع خلال الاسبوعين الماضين ان تصل الى عشر مدن وأن تذر الرماد في أعين الجميع ولكنك لم تجرئى على الفرار أبعد من هذه الطاحونة وحتى هذا فقد آلمك . . كلا ، كلا ! كل ما هنالك أنك ستمكثين هنا مدة قصيرة الى ان يلين قلبك وعندها ستعودين الى زوجك . (ينصت) اسمع صوت عربة. لابد ان احدهم آت الينا . (ينهض) .

الينا اندريفنا : سأدخل البيت .

دیادین : لن اثقل عليك بصحبتى بعد الآن . . . سأذهب الى الطاحونة لاغفاءة قصيرة . . . لقد استيقظت هذا الصباح قبل مطلع الفجر .

الينا اندريفنا : تعال نشرب الشاى سويا بعد اغفاءتك .(تدخل المنزل) .

دیادین : (منفردا) لو انى كنت أعيش في أحد الاوساط الفكرية لرسموا لى صورة كاريكاتورية في احدى المجلات وكتبوا تحتها تعليقا ساخرا

طريفا . ياللغرابة ! رجل في مثل سني وبساطة
مظهري يخطف زوجة شابة لاستاذ شهير !
هذا رائع حقا ! (يخرج)

المنظر الثانى

(سيمون يحمل دلوين وجولى داخلة)

جولى : طاب يومك ياسيمون . كان الله في عونك
هل اليا اليتش في البيت ؟

سيمون : نعم . في الطاحونة .

جولى : اتسمح بان تدعوه للحضور ؟

سيمون : نعم . (يخرج)

جولى : (منفردة) لابد انه نائم . . (تجلس على المقعد
تحت النافذة وتتنهد بعمق) البعض ينامون
والبعض يسترخون هنا وهناك اما انا فأقضى
اليوم كله وانا اجرى من مكان الى آخر . . .
لايريد الله ان يضع حدا لشقائى . (تصدر
تنهدة اعمق من سابقتها) يا إلهى ! ان امثال
هذا الاحمق المدعو وافل لايستحقون العيش !
عندما مررت بالقرب من مخزن غلاله رأيت

خنزيرا أسود خارجا من الباب . . . انه يستحق ان تمزق له الخنازير كل زكائب القمح التى يأتمنه الناس عليها . . . . .

(يدخل ديادين)

المنظر الثالث

(جولى وديادين)

ديادين : (يرتدى معطفه) أهذه أنت ياجوليا ستيبانوفنا ؟ ارجو المعذرة لمظهرى غير اللائق . . . كنت انوى ان استريح قليلا بين احضان — مورفيوس (١)

جولى : كيف حالك ؟

ديادين : ارجو المعذرة لعدم دعوتى اياك للدخول . . . لم نرتب البيت بعد . مارأيك في مصاحبتى الى الطاحونة ؟

جولى : لابأس بهذا المكان . لقد أتيت ياإليا اليتش — لاخبرك بان لينى والاستاذ يريدان الترفيه عن

---

(١) يقصد النوم لان « أورفيوس » هو اله الاحلام فى الاساطير اليونانية .

نفسيهما بالقيام بنزهة الى الطاحونة وتناول ــ الشاى . . . .

دیادین : انى سعيد بذلك !

جــولى : لقد سبقتهما . . . وسيكونان هنا حالا .ارجوك ان تأمر باعداد المائدة في هذا المكان ولاتنس طقم الشاى . . . قل لسيمون ان يحضر سلال الطعام من العربة .

ديادين : بالتأكيد . (فترة صمت) حسنا ؟ كيــف تسير الامور عندكم ؟

جولى : في منتهى السوء ، يا اليا اليتش . . . صدقني ان ما نحن فيه من قلق قد اسقمني . لاشــك انك تعلم ان الاستاذ وسونيشكا يعيشان معنــا الآن !

ديادين : نعم ، اعلم ذلك .

جــولى : لم يستطيعا العيش في بيتهما بعد انتحار جورج. اعتراهما الفزع . انهما لايباليان كثيرا في النهار ولكن اذا أقبل الليل فانهما يسهران حتى الفجر في غرفة واحدة . انهما يخشيان ان يظهر لهما شبح جورج في الظلام . . .

دیادین : يالها من خرافات ! . . . ولكن هل يذكران الينا اندريفنا في حديثهما ؟

جـولى : طبعا . (فترة صمت) لقد اختفت !

دیادین : حقا . تماما كما يحدث في الروايات . . . لم تترك وراءها اثرا !

جـولى : ولاأحد يدرى اين هى الآن . .ربما هربت وربما دفعها الياس الى . . . . .

دیادین : ان الله رحيم يا جوليا ستيبانوفنا ! سيكون كل شيءعلى ما يرام .

(يدخل خروشوف حاملا حقيبة للاوراق – وادوات الرسم)

المنظر الرابع

(جولى وديادين ومعهما خروشوف)

خروشوف : هل من احد هنا ؟ سيمون !

دیادین : الق نظرة حولك .

خروشوف : اوه ! . . . كيف انت يا جولى ؟

جـولى : كيف انت يا ميخائيل لفوفتش ؟

خروشوف : لقد اتيت ثانية يا اليا اليتش لأعمل هنا . لا استطيع البقاء في بيتى . قل لهم ان يضعوا — منضدتى تحت هذه الشجرة كما فعلوا بالامس وان يعدوا مصباحين فالظلام وشيك .

ديادين : انى رهن اشارتك ياسيدى . (يخرج) .

خروشوف : كيف احوالك ياجولى ؟

جولى : بين — بين . . . (فترة صمت)

خروشوف : هل يقيم آل سيربيرياكوف معكم ؟

جولى : نعم .

خروشوف : (متنحنحا) وكيف يقضى ليني وقته ؟

جولى : لايغادر البيت . . . . يقضى كل الوقت مع سونيشكا .

خروشوف : طبعا ! (فترة صمت) لماذا لايتزوجها ؟

جولى : حسنا ؟ (تتنهد) ليباركه الله ! انه متعلم ويتمتع باخلاق رفيعة . وهى ايضا من اسرة كريمة . . . كنت اتمنى ذلك . . .

خروشوف : يالها من حمقاء ! . . .

جــولى : كلا . يجب ألا تقول ذلك .

خروشوف : واخوك شاب ذكي ايضا . وجميع افراد — عائلتكم ممتازون ! وبيتكم موطن للحكمة !

جــولى : اعتقد انك لم تتناول الغداء بعد .

خروشوف : ماذا يدفعك الى هذا الاعتقاد ؟

جــولى : لانك في منتهى الغضب . (يدخل ديادين وسيمون وهما يحملان المنضدة)

المنظر الخامس

(جولى وخروشوف ومعهما ديادين وسيمون)

ديادين : انك تحسن اختيار المكان ياميشا . لقد اخترت بقعة رائعة للعمل . انها واحة ! واحة حقيقية ! تخيل انك تعمل محاطا باشجار النخيل . وجولى هناظبية وانت أسد ، وانا نمر . . . .

خروشوف : انت انسان طيب يا اليا اليتش ، لكن العيب في طباعك خصوصا ثرثرتك التافهة وجهرك — لقدميك وانحناء كتفيك . . . لو رآك أحد الغرباء لدخله الشك في انك انسان ، ويعلم الله وحده ماذا يظنك ! . . . شيء مزعج ! . . .

دیادین : اعتقد ان هذا هو نصيبى من الحياة . . .قدرى المحتوم .

خروشوف : لم ترتدع بعد ؟ . . . قدرك المحتوم ! يجب ان تضع حدا لكل هذا . (يثبت لوحة فوق المنضدة) سأبيت الليلة عندك .

دیادین : انی في غاية الابتهاج. . . . انت ياميشا غاضب بينما اعجز انا عن التعبير عما احسه في اعماقي من السعادة . احس كأن طائرا غريدا قد اتخذ من قلبى مسكنا واخذ يترنم بالحانه الشجية .

خروشوف : ابتهج اذن ! (يصمت) في قلبك طائر ، أما أنا فى قلبى ضفدع . الفضائح لاتحصى . شيما نسكي باع غابته ليستغلوا اخشابها . هذه واحدة. والينا اندريفنا فرت من زوجها ولايعلم أحد عن مكانها شيئا . هذه الثانية . وانا أشعر بأن غبائى وحقارتى وجهلى تزداد يوميا بعد يوم، هـــذه الثالثة ! كنت انوى ان اخبرك بالأمس ا ن جورج ترك مفكرته وراءه ولكننى جبنت . تستطيع ان تهنئنى ، فان المفكرة التى تركها جورج وقعت أولا بين يدى اورلوفسكى .

زرته وقرأتها عشرات المرات . . .

جـــولى : لقد قرأها أهلى أيضا .

خروشوف : ومنها تبين ان العلاقة الغرامية بين جورج وبين الينا اندريفنا والتى كانت على كل لسان ليست الا اشاعة كريهة قذرة . . . كنت انا واحدا ممن صدقوا تلك الاشاعة وروجوها . كرهتُ واحتقرتُ ، واهنتُ . . .

ديادين : كان ذلك محض افتراء .

خروشوف : ان أول شخص صدقت كلامه كان أخـــاك يا عزيزتى جولى . نعم ، انا الآخر انسان — رائع ! صدقته رغم احتقارى له وكذبـــت السيدة التى كانت تضحى بشبابها امام عينىّ هاتين . اننى اسرع تصديقا للشر منى للخير ولا استطيع ان ارى لأبعد من أنفى ، وهـــذا يعنى اننى لاأقل بلاهة عن الآخرين .

ديادين : (مخاطبا جولى) هيا نذهب الى الطاحونة يـــا عزيزتى جولى . لندع الطفل الغاضب يعمل هنا وحده ونقوم نحن بجولة . . . استمر فى العمل ياعزيزى ميشا ! . . . (يخرج بصحبة جولى)

خروشوف : (منفردا يمزج الألوان في صحن صغير) رأيته في احدى الليالى وهو يسند وجهه الى كفها . لقد كتب وصفا دقيقا في مذكراته لتلك الليلة . انه يذكر كيف فاجأتهم وماذا قلت له . كتب ما قلته حرفيا ونعتنى بالمغفل الضيق الافـــق (يصمت) . . . لايزال اللون بحاجة الى تخفيف ! . . . ثم انه يلوم سونيا لوقوعها في حبى . . . . . . كلا ، انها لم تحبنى مطلقا . . حذار . لقد تركت بقعة هناك . . . (يكشط الورقة بالسكين) وحتى لو انني سلمت بان في قوله شيئا من الصحة الا انني يجب الا أعيره التفاتا . . . لقد بدأ حبى لها بداية حمقاء وانتهى نهاية حمقاء ايضا . . . (يحضر سيمون والعمال مائدة كبيرة) ما هذا ؟ لماذا اتيتم بها ؟

سيمون : امرنا اليا اليتش بذلك . سيأتى بعض الضيوف من عزبة زلتوخين لتناول الشاى هنا .

خروشوف : أف ! لم اعد استطيع الاستمرار في العمل هنا . . . سأجمع حاجاتى واعود الى بيتى .

(يدخل زلتوخين متأبطا ذراع سونيا) .

المنظر السادس

(خروشوف ، زلتوخين وسونيا)

زلتوخين : (مغنيا) دونما ارادة
اجد نفسى مسوقا
الى هذه الشواطئ
بقوة خفيـــة

خروشوف : من هناك ؟

(يسرع بحزم حقيبة أدوات الرسم)

زلتوخين : سؤال أخير يا عزيزتى صوفي . . . اتذكرين اليوم اليوم الذى تغديت فيه في بيتنا ؟ اعنى يوم عيـــد ميلادى ؟ اعترفي بانك ضحكت . يومها ، مـن مظهرى .

سونيـــا : كيف تقول شيئا كهذا ياليونيد ستيبانوفتش ؟ لقد ضحكت بلا سبب .

زلتوخين : (يلمح خرشوف) هل انت هنا ايضا ! ؟ كيف حالك ؟

خروشوف : كيف حالك انت ؟

زلتوخين : انت لاتنقطع عن العمل ! رائع ! . . أين وافل ؟

خروشوف : هناك . . .

زلتوخين : وأين هناك ؟

خروشوف : اظن أن كلامى واضح . . . هناك في الطاحونة .

زلتوخين : يحسن ان اطلب منه الحضور الى هنا . (يخرج وهو يغنى (« دونما ارادة اجد نفسى مسوقا الى هذه الشواطئ (يخرج)

سونيا : كيف حالك ؟

خروشوف : على ما يرام . وأنت ؟

سونيا : بخير . ماذا ترسم ؟

خروشوف : اوه ! . . لا أعتقد انه سيثير اهتمامك .

سونيا : رسم بيانى ؟

خروشوف : كلا ، انها خريطة تبين الغابات في هذه المنطقة (فترة صمت) لقد رسمت خريطة لها . اللون الاخضر يرمز الى الغابات كما كانت في عهد اجدادنا وقبل ذلك . واللون الاخضر الفاتح يرمز الى الاماكن التى قطعت منها الغابات في الخمس عشرة سنة الماضية . واللون الازرق يرمز الى الاماكن التى تركت فيها الغابات على حالها . . .

نعم . . . . (فترة صمت) حسنا . كيف انت ؟
هل انت سعيدة ؟

سونيـا : ليس هذا وقت التحدث عن السعادة يا ميخائيل لفوفتش .

خروشوف : اذن ، اى شيء آخر يستحق اهتمامنا ؟

سونيـا : ان تعاستنا ماهى الانتيجة اسرافنا في التفكير فـى السعادة . . . .

خروشوف : (بعد فترة صمت) هكذا !

سونيـا : مامن شر الا ويحمل في طياته بذور الخير . لقـد علمنى الشقاء ان علينا ان ننسى سعادتنا والا نفكر الا في سعادة الآخرين . يجب أن تكون حيـاة الانسان سلسلة من التضحيات . . . .

خروشوف : (بعد فترة صمت) نعم . . . لقد أطلق ابن مارى فاسيليفنا النار على نفسه وامه لاتزال تبحث عـن المتناقضات في كتبها التافهة . وأنت الأخرى حلت بك نكبة كبرى ، ولكنك ترضين غـروك بالتحدث عن التضحية . تحطمين حياتك وتظنين ان هذه هى التضحية . . . الناس جميعا بلاقلوب

بما فيهم أنا وأنت . . اننا نرتكب ابشع الاخطاء ونحطم كل شيء . . . سأغادر هذا المكان حالا ولن اقف في طريقك وطريق زلتوخين . . . لماذا تبكين ؟ لم اكن اقصد ان ادفعك الى البكاء .

سونيـــا : لاعليك . لاعليك . (تمسح دموعها . يـــدخل ديادين وزلتوخين وجولى)

المنظر السابع

(سونيا وخروشوف ومعهما ديادين وزلتوخين وجولى ثم سيربرياكوف واورلوفسكى)

صوت سيربرياكوف: مرحبا ! اين انتم جميعا ؟

سونيـــا : (تصيح عاليا) نحن هنا يا أبى !

ديادين : انهم يحضرون ادوات الشاى. يا للروعة ! (يقوم بمساعدة جولى في ترتيب المائدة) (يـــدخـــل سيربيرياكوف واورلوفسكى) .

سونيـــا : هنا يا أبى .

سيربرياكوف : مدهش ! مدهش !

زلتوخين : (عاليا) ايها السادة . اعلن افتتاح الجلسة ! افتحوا زجاجات الشراب .

خروشوف : (مخاطبا سيربرياكوف) لننس ما حدث بيننا يا استاذ . (مادا كلتا يديه) ارجوك ان تصفح عني . . .

سيربرياكوف : شكرا لك . انني في غاية الابتهاج . وانت يجب ان تصفح عني أيضا . في اليوم الذي تلا نزاعنا حاولت أن استرجع جميع ما مرّبي . وعندما تذكرت الحوار الذي جرى بيننا اعتراني الندم . . والآن لنعد اصدقاء كما كنا . (يمسك بذراعه ويتجه نحو المائدة) .

اورلوفسكي : كان يجدر بك ان تفعل هذا من قبل ياعزيزي . على كل حال ، صلح خاسر خير من شجار رابح .

ديادين : انني في غاية السرور لتشريف سعادتكم لواحتي . سروري يفوق الوصف !

سيربرياكوف : شكرا يا سيدي العزيز . انها واحة حقا !

اورلوفسكي : ولكن هل تحب الطبيعة يا الكسندر ؟

سيربرياكوف : كثيرا جدا . (يصمت) لم هذا الصمت ! هيا تكلموا ايها السادة . هذا افضل ما نفعله في مرحلتنا الراهنة . يجب ان نواجه المصائب والمحن بثبات . انني اشدكم تعاسة ولهذا السبب فانا اكثركم مرحا

جـــولى : لن اضع شيئا من السكر . خذ شيئا من المربى مع الشاى .

ديادين : (يتحرك بحماس بين الضيوف) ما اسعدنى ! ما اسعدنى !

سيربرياكوف : لقد مررت ، في هذه الايام . ياميخائيل — لفوفتش ، بالكثير وفكرت في الكثير بحيث صرت أعتقد انني استطيع ان اكتب بحثا طويلا عن فن التعايش لتستفيد منه الاجيال القادمة . عش عمرا وتعلم عمرا ولكننا لانتعلم فعلا الا من النكبات .

ديادين : ان من لاينسى مصائب الماضى يفقد احدى عينيه ولكن الله واسع الرحمة . ولاشك ان الخاتمة ستكون سعيدة . (سونيا تجفل) .

زلتوخين : ماذا جعلك تجفلين ؟

ســـونيا : سمعت صرخة .

ديادين : بعض الفلاحين يصطادون سمكا عند النهر . (صمت)

زلتوخين : ألم نتفق على قضاء المساء كأن شيئا لم يحدث؟

. . . ورغم ذلك . . . أرى الجو يسوده شيء من التوتر . . . .

دیادین : ان العلاقة التي تربطني بالعلم ياصاحب السعادة ليست مبنية على الاجلال فقط بل ان بيني وبينه صلة قربى . كان أخ شقيق زوجتي — وربما تكون قد سمعت باسمه وهو كونستانين كافريليش نوفوسيلوف — استاذا للآداب — الاجنبية .

سيربرياكوف : لم يحصل لى شرف التعرف به شخصيا ولكنى سمعت باسمه .

جـــولى : غدا سيكون قد مضى خمسة عشر يوما على موت جورج .

خروشوف : لاتفتحى هذا الموضوع يا عزيزتى جولى .

سيربرياكوف : تشجعوا ! تشجعوا ! (صمت)

زلتوخين : لايزال يسيطر علينا جومن التوتر . . .

سيربرياكوف : ان الطبيعة تأبى الفراغ . لقد حرمتنى من اثنين من الاهل ولكنها سارعت الى ملء الفراغ — وعوضتنى باصدقاء جدد . نخب صحتك ياليونيد ستيبانوفتش .

زلتوخين : اشكرك يا عزيزى الكسندر فلاديميروفتش ؟ اسمح لى بدورى ان اشرب نخب نشاطك العلمى المثمر .
« انثر بذور الحكمة والخير والخلود » !
« انثر البذور . ان شعب روسيا يشعر لك — بالامتنان »

سيربرياكوف : اشكرك على هذا المديح . اتمنى من كل قلبى ان تنمو روابط الصداقة بيننا سريعا وتصبح أكثر متانة وودا .
(يدخل فيدور)

المنظر الثامن

(نفس الاشخاص ومعهم فيدور)

فيدور : اذن فانت في نزهة هنا ؟ !

اورلوفسكى : ابنى الحبيب ! قرة عينى !

فيدور : كيف حالكما ؟ (يحتضن سونيا وجولى)

اورلوفسكى : لم ارك منذ اسبوعين . اين كنت؟

فيدور : ذهبت الى بيت ليبى فاخبرونى بانكم هنا فجئت كما ترون .

اورلوفسكى : اين كنت هائما ؟

فيدور : لم أنم ثلاث ليال . خسرت خمسة آلاف روبل في القمار أمس . وسكرت ولعبت القمار — وذهبت الى المدينة خمس مرات . . . يالها من عربده !

اورلوفسكى : يالك من شاب جرىء ! يبدو انك لاتزال مخمورا

فيدور : ابدا . جولى ، الشاى من فضلك . اضيفى قدر ما تشائين من الليمون . . . اكاد لاأصدق ان جورج يطلق النار على نفسه دون سبب ! — وبمسدس فرنسي ايضا ! كان ينبغى ان يستعمل مسدسا روسيا على الاقل .

خروشوف : كف عن الكلام ! يالك من حيوان !

فيدور : نعم حيوان ولكن حيوان اصيل ! (يمسك لحيته) كم تستحق هذه اللحية وحدها في نظرك ؟ . . . هأنذا ، وغد وحيوان ومهرج ولكن ما علىّ الا ان اقرر الزواج حتى ترتمى اجمل فتاة تحت قدمى . سونيا . هل تتزوجيننى (مخاطبا خروشوف) اوه ، آسف . . . ارجو المعذرة ! . . . .

خروشوف : كفاك حماقة !

جـولى : انت انسان ضائع يا فيدنكا ! ليس هناك في المقاطعة كلها عربيد ومسرف مثلك . ان مجرد رؤيتك تثير الاسى في النفس . انت انسان غريب !

فيدور : ها قد بدأت تزمجرين! اقتربي ، اجلسي بجانبي... حسن . سآتي لقضاء اسبوعين عندكم . . . انني بحاجة الى شيء من الراحة . (يقبلها)

جـولى : يجب ان تخجل من نفسك . كان ينبغي ان تكون عزاء لوالدك في شيخوخته . ولكنك لاتجاب له سوى العار . حياتك كلها حماقة .

فيدور : اعدك بان امتنع عن الخمر . (يصب لنفسه بعض الخمر) .

جـولى : امتنع عنها من الآن اذن . اياك ان تشرب !

فيدور : سأشرب هذه الكأس فقط (يشرب) سأقدم لك يا شيطان الغابة حصانين وبندقية هدية مني .. سأقيم اسبوعين في بيت جولى .

خروشوف : من الافضل ان يرسلوك الى معسكر للتأديب . .

جـــولى : اشرب . اشرب شيئا من الشاى !

ديادين : اليك بعضا من البسكوت يا عزيزى .

اورلوفسكى : (مخاطبا سيربيرياكوف) حتى سن الاربعين ، يا الكسندر ، كنت أحيا نفس الحياة التى يعيشها فيدور الآن . وفي يوم من الايام خطر لى يا عزيزى ، ان احصى عدد من اصبحن — تعيسات بسببى . وبعد ان وصلت الى السبعين توقفت . ولكن عندما بلغت الاربعين تملكنى يا عزيزى الكسندر شعور غريب . استولى علىّ اليأس فجأة وفارقتنى راحة البال . عندهـــا حاولت ان اسرى عن نفسى بالقراءة والسفر والعمل ولكن هيهات . وفي احدى المرات قمت يا عزيزى ، بزيارة لصديقى المرحوم ديمترى يا فلوفتش ، وجلسنا للغداء . ثم اخذنا نتسلى بالتدرب على اصابة الهدف في ساحة بيته . وكان هناك عدد كبير من الناس من بينهم صاحبنا وافل

ديادين : نعم ، كنت هناك . . اذكر ان . . .

اورلوفسكى : يا إلهى . كم تألمت في ذلك الحين ! . . لم أعد أستطيع الاحتمال . وفجأة أخذت الدموع

تنهمر من عيني وبدأت أترنح ، ثم صرخت بأعلى صوتى الذى اخذ يتردد في جميع أنحـاء الساحة . « ايها الاصدقاء ، ايها الاخوة — الطيبون . ابتهل اليكم بحق السماء ان تصفحوا عنى وتغفروا لى ! » ومنذ تلك اللحظة شعرت ان قلبي قد اصبح طاهرا رقيقا عامرا بالمحبة . ومنذ ذلك اليوم ليس هناك من هو اسعد منى في كل هذه المنطقة . انت ايضا ، يجب ان تفعل الشيء نفسه .

سيربرياكوف : ماذا ؟ (يظهروهج في السماء) .

اورلوفسكى : افعل كما فعلت . استسلم واعتذر .

سيربرياكوف : ان هذا نموذج لفلسفتنا الوطنية . تشير علىّ بأن اطلب الصفح . ولكن عم ؟ هم الذين يجب ان يطلبوا الصفح منى !

سـونيا : ولكن يا أبى نحن الملومون .

سيربرياكوف : نعم ؟ من الواضح ايها السادة انكم تفكرون في موقفى من زوجتى . هل انا الملوم في رأيكم؟ انه لامر مضحك ! هى التى تخلت عما يمليه

الواجب عليها وتنكرت لى في احلك لحظات حياتى . . .

خروشوف : استمع الىّ يا الكسندر فلاديميروفتش . . . لقد قضيت خمسة وعشرين عاما وانت تعمل استاذا وتخدم العلم وانا ازاول الطب وازرع الغابات ، ولكن مافائدة هذا كله اذا أسأنا لمن نعمل من أجلهم ؟ اننا ندعى اننا نخدم الانسانية ولكننا في الوقت نفسه نعمل على تحطيم بعضنا بعضا بوحشية . مثلا هل قام اى منا بشىء — لانقاذ جورج ؟ وزوجتك التى كنا جميعا نلاحقها بالاهانة ، اين هى الآن ؟ اين راحة بالك ، واين راحة بال ابنتك ؟ كلها تحطمت وحل ، بها الدمار . انكم جميعا تسموننى شيطان الغابة ، ولكن الشيطان ليس في وحدى . هناك شيطان يمكن في اعماق كل منكم . كلكم تائهون في غابة مظلمة ولا تحاولون ن تتحسسوا الطريق . ان لدينا من الفهم والعلم ما يكفى لتدمير حياتنا وحياة الآخرين . . . (الينا اندريفنا تخرج من المنزل وتجلس على مقعد تحت النافذة) .

المنظر التاسع

(نفس الاشخاص ومعهم الينا اندريفنا)

خروشوف : كنت أظن نفسي رجلا تقدميا محبا للانسانية ولكنني مع ذلك لم أكن اغفر للناس أقل الهفوات. كنت اصدق الوشاية وانقل الشائعات كغيري . مثلا ، عندما وضعت زوجتك ثقتها في شخصي وعرضت عليّ صداقتها البريئة صحت بكـل كبرياء وترفع : « اغربي عن وجهي ! انني أحتقر صداقتك ! » هذا أنا على حقيقتي . هناك شيطان يكمن في داخلي . انني تافه أعمى، محروم من الموهبة . ولكنك أيضا لست نسرا ايها الاستاذ ؟ ورغم ذلك فكل النساء يرين فيّ بطلا ورجلا تقدميا ، وانت مشهور في جميع انحاء روسيا . واذا كان الناس جادين في اعتبار من كان مثلي بطلا،ومن كان مثلك علما من الاعلام ، فهذا معناه ان الخفير صار مديرا لافتقار البلاد الى رجال افضل ويعني ايضا ان ليس هناك ابطال حقيقيون ولامواهب ولامن يستطيع انقاذنا من هذه الغابة المظلمة واصلاح

ما افسدناه ، وانه ليس هناك نسور حقيقيو ن يستحقون المجد والشهرة . . .

سيربرياكوف : ارجو المعذرة . . . انا لم آت هنا لمناقشتك او للدفاع عن شهرتى . . .

زلتوخين : والآن ، ياميشا ، لنضع حدا لهذا النقاش !

خروشوف : سأفرغ حالا واغادر المكان . نعم ، انى تافه ولكنك ايها الاستاذ لست نسرا . كان جورج تافها ايضا لانه لم يجد ما يفعله افضل من أن يطلق النار على نفسه ، انتم جميعا تافهون ! امـــا النساء . . . .

الينا اندريفنا : (مقاطعة) اما النساء فلسن افضل من ذلك (تتقدم نحو المائدة) لقد هجرت الينا اندريفنا زوجها ولكن اتعتقدون أنها قد نعمت بحياتها ؟ لاتنزعجوا . . . انها ستعود . . . (تجلس الى المائدة) ها قد عادت الآن . . . (يسود الذعر الجميـــع) .

ديادين : (يقهقه عاليا) يا للروعة ! لاتصدروا — حكمكم ايها السادة قبل ان أقول هذه الكلمة . انا الذى خطفت زوجتك يا صاحب السعادة كما

كما خطف الامير باريس الاميرة هيلين (١)
الحسناء . نعم انا ! ومع انه لايوجد اناس مثل
باريس يحماون آثار الجدرى على وجوههم فان
هناك اشياء كثيرة في السماء والارض تتحدى
كل ما خطر ببالك من فلسفات ياهوراشيو (٢

خروشوف : اكاد لاأفهم شيا ...اهذه انت يااليلنا اندريفنا ؟

الينا اندريفنا : لقد قضيت الاسبوعين الماضيين عند اليا اليتش .
لماذا تحدقون فيّ هكذا ؟ حسنا . كيف انتم
جميعا ؟ .. كنت جالسة عند النافذة وسمعت
كل شيء . (تحتضن سونيا) لنتصالح ! كيف
انت يافتاتى ؟ .. ها قد عاد الوفاق والوئام
بيننا !

ديادين : (يفرك يديه) يا للروعة !

(١) هي اجمل نساء اليونان ، وقد تنافس ملوكها على الزواج منها ، ثم اتفقوا على اختيار زوجها بالقرعة ، ووعدوا بحمايتها ، وكانت من حظ منيلاوس ملك اسبرطة ، وعندما جاء باريس ابن ملك طروادة ، ونزل ضيفا على منيلاوس وقع فى غرام هيلين ، وهرب معها الى طروادة ، فجهز ملوك اليونان حملة قوامها الف سفينة لينتقموا من الامير باريس ، وكانت النتيجة تدمير طروادة ، وعودة هيلين مع زوجها .

(٢) يشبه المؤلف سيربرياكوف : بهوراشيو ، وهو شاعر رومانى عاش في القرن الاول قبل الميلاد ، وقد عاصر الشاعر الكبير « فيرجل » الذى كتب الانياذة ، وأصبح أكبر شعراء عصره بعد وفاة فيرجل .

الينا اندريفنا : (مخاطبة خروشوف) ميخائيل لفوفتش . — (تمد له يدها) من لاينس مصائب الماضي يفقد احدى عينيه . كيف انت يافيدور ايفانتش ؟. وانت يا عزيزتي جولي ؟

اورلوفسكي : حبيبتي ! زوجة الاستاذ الفاتنة ! اجمل نساء المقاطعة قد رجعت . عادت الينا اخيرا .

الينا اندريفنا : لم أعد اطيق صبرا على فراقكم . (تمد يدها لزوجها فيدير وجهه الى الجانب الآخر) — الكسندر !

سيربرياكوف : لقد تنكرت لواجبك !

الينا اندريفنا : الكســـندر :

سيربرياكوف : لاأنكر انني مسرور لرؤيتك وانني مستعـــد للتحدث معك ولكن ليس هنا — في البيت. (يبتعد عن المائدة) .

اورلوفسكي : الكسند ! (فترة صمت)

الينا اندريفنا : هكذا؟...هذا يعني يا الكسندر ان مشكلتنا قدحلت ببساطة وذلك بتركها دون حل . حسنا . ليكن ما تريد . انني شخصية تافهة . وسعادتي لاتزيد

عن سعادة طائر الكناريا ، سعادة امرأة . . .
أن اقضى حياتى كلها في بيتى لاهم لى سوى
الاكل والشرب والنوم وسماعك تتحدث يوميا
عن نقرسك وعن حقوقك وفضائلك . . .
لماذا تطرقون برؤوسكم كأنكم خجلون؟ هيا
نتناول الشراب . . . . هيا !

دیادين : ستنجلى الامور عما قليل ولاشك ان الخاتمة
ستكون سعيدة .

فيدور : (يتجه منفعلا نحو سيربيرياكوف) الكسندر
فلاديميروفتش ، انى شديد التأثر . .استحلفك
بالله أن تعاملها بشيء من الرقة . اظهر لها شيئا
من العطف . قل لها كلمة طيبة واعدك بشرفي
ان اكون صديقا حميما لك ما حييت .سأقدم
لك افضل عربة ترويكا عندى .

سيربرياكوف : شكرا لك . ولكن ارجو المعذرة فانا لاأفهم ما
تعنيه . . . . .

فيدور : (متنحنحا) . . . لاتفهم . . . ! . . كنت
راجعا مرة من رحلة للصيد فرأيت بومة سوداء
تقف فوق احدى الاشجار . . . فامسكت

حجرا ورميتها به ولكنها بقيت ساكنة في مكانها
.. رحت ارميها بالحجر تلو الحجر ... —
ولكنها بقيت جامدة في مكانها ترمش بعينها ،

سيربرياكوف : ماذا تقصد بذلك ؟

فيدور : البومة السوداء ! (يعود الى مكانه من المائدة)

اورلوفسكى : (ينصت) أظن ايها الاصدقاء .... ارجو الهدوء . كأننى اسمع اجراس الحريق .

فيدور : (يلاحظ الوهج) ياإلهى ! انظروا الى السماء. ياله من وهج !

اورلوفسكى : ونحن نجلس هنا ايها الاصدقاء لانرى شيئا !

ديادين : ياالضخامته !

فيدور : أوه ، ياله من وهج ! لابد انه قريب من الكسيفسك .

خروشوف : كلا ، الكسيفسك أقرب الى الناحية اليمنى. . لابد انها نوفوبتروفسك .

جـــولى : يا للفظاعة ! اخشى ان يكون حريقا .

خروشوف : انها توفو – بنزوفسك ، قطعا .

ديادين : (يصيح بأعلى صوته) سيمون . اسرع الى السد وحاول ان تعرف مصدر الحريق . يمكنك ان تراه من هناك .

سيمون : (يصيح عاليا) غابة تيليبيف تحترق .

ديادين : ماذا تقول ؟

سيمون : غابة تيليبيف .

ديادين : غابة ! . . (فترة صمت طويلة)

خروشوف : لابد ان اذهب الى هناك . . . . الى الحريق وداعا ! . . ارجو ان تصفحوا عنى فقد كنت شرسا اليوم . لم اشعر بمثل هذا الضيق من قبل انى اعيش في جحيم من العذاب . . . ولكن هذا كله لايهم . . . يجب على الانسان ان يكون رجلا ويقف ثابتا على قدميه . لن اطلق النار على نفسى ولن ارمي نفسى تحت عجلات الطاحونة . . . . ربما لم أكن بطلا ولكننى سأصبح بطلا ! سيكون لى أجنحة العقاب ولن

يفلح هذا الحريق او حتى الشيطان نفسه في اثارة الفزع في نفسى ! لتحترق الغابات ، سأزرع غابات جديدة ! وان رفضت حبي واحدة فسوف احب غيرها !

(يخرج مسرعا)

الينا اندريفنا : ياله من رجل عظيم !

اورلوفسكى : نعم ... « ان رفضت حبي واحدة فسوف احب غيرها » . ترى ما قصده ؟

ســـونيا : خذونى من هنا ... اريد ان اذهب الى البيت.

سيربرياكوف : نعم . حان موعد ذهابنا . الجو شديد الرطوبة هنا . لابد أن يكون دثارى ومعطفى في مكان ما هنا ....

زلتوخين : ها هو معطفك اما الدثار فهو في العربة . (— يناوله المعطف)

ســـونيا : (مضطربة اضطرابا عنيفا) أبعدونى عن هذا المكان ! .. أبعدونى ! ...

زلتوخين : انا طوع أمرك ...

ســـونيا : (تتجه نحو اورلوفسكى) لا ، سأذهب مع أبي . خذنى معك يا أبت .

اورلوفسكى : بالتأكيد ياحبيبتى . تعالى معى . (يناولها حاجاتها) .

زلتوخين : (جانبا) يا للعنة ! .. لاينالنى سوى الاذلال والتحقير !

(فيدور وجولى يضعان ادوات الشاى و «فوط» المائدة في السلة)

سيربرياكوف : كعب قدمى الايسر يؤلمنى ... لابد انه الروماتيزم .. لن اتمكن من النوم الليلة ايضا .

الينا اندريفنا : (تزرر معطف زوجها) ارجوك ياعزيزى ياالييتش ان تحضر لى معطفى وقبعتى من البيت.

ديادين : سمعا وطاعة . (يدخل البيت ويعود حاملا المعطف والقبعة)

اورلوفسكى : انك خائفة من الحريق يا عزيزتى ! لاتخشى شيئا . لقد بدأ يخف تدريجيا . انهم يقومون باخماد الحريق ....

جولى : لقد تبقى نصف «برطمان» المربى. . . سنتركه لإليا اليتش ... (مخاطبة اخاها) خذ السلة يا عزيزى لينى .

الينا اندريفنا : هيا ! .. (مخاطبة زوجها) هيا ، خذنى يا تمثال القائد واحرقنى بنيران غضبك في بيتك بحجراته الست والعشرين فانا لا اصلح لغير هــذا !

سيربرياكوف : تمثال القائد ! .. لولا الالم الذى اشعر به في قدمى لأضحكنى هذا التشبيه كثيرا ... — (مخاطبا الجميع) وداعا أيها الاصدقاء ! اشكركم على هذه الصحبة السارة والوقت الممتع الذى قضيناه سويا ... امسية مدهشة ، وشاى لذيذ — كل شىء كان رائعا ! ولكن اسمحوا لى بتعليق بسيط . هناك شىء واحد لاأرضى عنه هنا وهو فلسفتكم الضيقة ونظرتكم الى الحياة . عليكم بالعمل يا سادة . ان طريقتكم غير مجديه ! على المرء ان ينتج ... نعم ... لابد ان يعمل ... وداعا ! (يخرج مــع زوجته)

فيدور : هيا يا جولى ! (مخاطبا والده) وادعا ياأبى . (يخرج مع جولى) .

زلتوخين : يحمل السلة ويسير وراءهم) يالها من سلــة

ثقيلة ! عليها اللعنة ! .. انا لاأطيق هـذه النزهات (يصيح على الحوذى وراء خشبة ـ المسرح) انطلق يا الكسى !

المنظر العاشر

(اورلوفسكى وسونيا وديادين)

اورلوفسكى : (مخاطبا سونيا) حسنا ، لماذا تجلسين ؟ هيا يا بطتى ! .. (يخرج مع سونيا)

ديادين : (جانبا) لم يودعنى احد منهم ! ..ياللروعة (يطفئ الشموع).

اورلوفسكى : (مخاطبا سونيا) ماذا دهاك ؟

سـونيا : لاأستطيع الخروج يا أبتاه .... لاأستطيع ! لقد تغلب علىّ اليأس يا أبتاه ... انا يائسة ! لم يعد بامكانى ان احتمل !

اورلوفسكى : (مذعورا) ما الخبر يا بطتى الحبيبة ؟....

سـونيا : فلنبق هنا ... دعنا نمكث قليلا .

اورلوفسكى : كنت تقولين « ابعدونى من هنا » منذ لحظة والآن تقولين « دعنا نمكث هنا » .... لااستطيع ان أفهمك ....

سونيـــا : لقد فقدت سعادتى هنا اليوم . . . هذا لايطاق ! أواه يا أبتاه ، لم أعد احتمل الحياة . (تلقى بنفسها بين ذراعيه) آه لو علمت ! آه لو علمت !

اورلوفسكى : سأقدم لك بعض الماء . . . هيا بنا نجلس . . . هيا !

ديادين : ما الخبر ؟ عزيزتى صوفي الكسندروفنا . . .لاتفعلى ذلك ، انى ارتعد (والدموع في عينيه)لااستطيع أن أراك هكذا ! . . . . . . يا طفلتى الحبيبة ! . . .

سونيـــا : خذنى الى الحريق يا اليا اليتش ! اتوسل اليك !

اورلوفسكى : مالك وللحريق ؟ ماذا ستفعلين هناك ؟

سونيـــا : أتوسل اليك ، خذنى الى الحريق والا ذهبت وحدى . انى يائسة . انى أتعذب يا أبتاه . ياله من عذاب ! خذنى الى الحريق . (يدخل خروشوف في عجلة)

المنظر الحادى عشر

(نفس الاشخاص ومعهم خروشوف)

خروشوف : (يصيح) إليا اليتش .

ديادين : انا هنا . ماذا تريد ؟

خروشوف : انني لاأقوى على السير . لابدلي ان استعير جوادك .

سونيـــا : (تميز خروشوف وتصبـــح مبتهجة) ميخائيل لفوفتش ! (مخاطبة اورلوفسكي) يمكنك انـــ تذهب يا أبتاه . اريد ان اقول له شيئا خاصا . (مخاطبة خروشوف) قلت يا ميخائيل لفوفتش انك ستحب فتاة أخرى . . . (مخاطبةاورلوفسكي) ارجوك ان تذهب يا أبتاه ! . . . (مخاطبـــــة خروشوف) انا الآن فتاة أخرى . . . انني لاأريد سوى الحقيقة . والحقيقة فقط ! احبك ، احبك ، احبك . . .

اورلوفسكي : الآن فهمت ! (يضحك) .

ديادين : يا للروعة !

سونيـــا : (مخاطبة اورلوفسكي) اذهب يا أبت ! (مخاطبة خروشوف) نعم ، نعم . اريد الحقيقة والحقيقة فقط . تكلم اذن ! تكلم ! . . . . . . لقد قلت كل ما أريد . . . .

خروشوف : (يحتضنها) حبيبتي !

سونيـــا : لاتذهب يا أبتاه ! . . لقد طرت فرحا عندمـــا صارحتني بحبك ولكن قيود التحامل كانـــت

لم أتمكن من الاجابة اجابةصريحة في ذلك الحين
لنفس السبب الذى يمنع أبى من الابتسام لزوجته.
اما الآن فقد اصبحت طليقة !

اورلوفسكى : (مقهقها) عادت الطيور تغرد في انسجام اخيرا.
اتشرف بتقديم التهانى . (ينحنى انحناءة قصيرة)
أة ، أيها الاشقياء ! ايها الاطفال الاشقياء !

ديادين : (محتضنا خروشوف) كم أنا سعيد يا ميشا ،
يا ولدى العزيز !

اورلوفسكى : (يحتضن سونيا ويقبلها) عزيزتى ، ياطائرالكناريا
الحبيب ! . . . يا ابنتى الصغيرة الغالية .(سونيا
تنفجر ضاحكة بصوت مرتفع) ها قد بدأت ! .

خروشوف : اريد ان أفهم كل شىء. .دعونى اكلمها .لاتقفوا
في طريقنا . ارجوكم ان تتركونا وحدنا .

المنظر الثانى عشر

(نفس الاشخاص ومعهم فيدور وجولى)

جـــولى : ولكنها مجرد اكذوبة يا عزيزى فيدور ! انـــت تكذب !

اورلوفسكى : اسكتوا يا أولاد ! الصعلوك ولدن آت هنا . هيا نختبئ ! اسرعوا ! ارجوكم ! (اورلوفسكى وديادين وخروشوف وسونيا يختبئون)

فيـــدور : لقد تركت سوطى وقفازى هنا !

جـــولى : انها ليست سوى اكذوبة !

فيدور : لتكن اكذوبة اذن ! . . ما المانع ؟ لا أرغب في الذهاب الى منزلكم الآن . هيا نتنزه قليلا وبعـد ذلك تذهب سويا . . . .

جـــولى : انت مزعج ! (تصفق) ياله من أبلـــه ــ ذلك الرجل وافل ! لم ينظف المائدة بعد . قد يسرق بعضهم أدوات الشاى . . أوه ، وافل ! . . .رجل عجوز ولكنه اقل ادراكا من الاطفال !

ديادين : (جانبا) شكرا !

جـــولى : سمعت شخصا يضحك . عندما أتينا . . . . . .

فيدور : انهن فلاحات يستحممن ! . . (يلتقط قفازا) لقد نسي احدهم قفازه . . . اظنه لسونيا . . . لقد تصرفت سونيا اليوم كأنما لسعتها عقرب . انها تحب شيطان الغابة . غارقة في حبه الى اذنيها ولكن الاحمق لايفهم شيئا !

جولى : (بحدة) اين نحن ذاهبان اذن ؟

فيدور : الى السدّ . . . هيا نتنزه . . . ليس هناك اجمل من هذه البقعة في المقاطعة بأسرها . . . رائعة!

اورلوفسكى : (جانبا) ولدى البديع ! ما اجمل لحيته ! . . . .

جولى : سمعت الآن صوتا .

فيدور : (يردد) « هنا ترى العجائب ! شيطان الغابة يتسكع ،وجنية البحر تجلس فوق الاغصان» . . . نعم ايتها الصديقة الغالية .

جولى : انا لست صديقتك .

فيدور : هيا ندرس الامر في هدوء . اسمعى يا عزيزتى جولى ! لقد جربت الحياة حلوها ومرها . . . انا الآن في الخامسة والثلاثين ووضعى لايخرج عن كونى ملازما في الجيش الصربى وضابط صف في

جيش الاحتياط الروسى ، أى اننى معلق بين السماء والارض . . . وهذا يملى علىّ ان اغير اسلوب حياتى . هل فهمت ما أعنيه ؟ . . . لقد خطر لى اننى ان تزوجت فان تحولا كبيرا سيطرأ على حياتى ! هيا ، تزوجينى ! لا أطمع فيمن هى افضل منك . . . .

جــولى : (مضطربة) ولكن . . . . . . كما ترى . . . . يجب ان تصلح من نفسك اولا ياعزيزى فيدور .

فيدور : لاداعى للمساومة مثل الغجريات ! تكلمى بصراحة !

جــولى : حياتى يمنعنى ! . . . (تلتفت حولها) كفى . قد يأتى احدهم ويسمعنا ! . . اعتقد ان وافل يطل من النافذة .

فيدور : ما من أحد هناك .

جــولى : (تلقى بنفسها على صدره) فيدنكا ! (سونيا تضحك بصوت مرتفع . اورلوفسكى ، ديادين وخروشوف يضحكون ويصفقون بأيديهم وهم يصيحون) مرحى ! مرحى !

فيدور : أف ! أفزعتمونا ! . أين كنتم ؟

ســـونيا : أقدم اليك التهانى ياعزيزتى جولى . وانت يمكنك ان تهنئينى ! . . . . (قهقهة — قبلات—ضوضاء)

ديادين : يا للروعة ! يا للروعة !

يسدل الستار

★★★

مسرحية الخال فانيا

تأليف : انطون تشيخوف
ترجمة وتقديم : محمد حسين التيستي
مراجعة : حسن عبد المقصود حسن

العنوان الاصلى للمسرحية

CHEKHOV

FOUR PLAYS

TRANSLATED BY

DAVID MAGARSHACK

UNCLE VANYA

LONDON · UNWIN BOOKS

شخصيات المســـرحية

اسكندر فلاديمتروفتش سيربرناكوف : استاذ جامعة متقاعد
ALEXANDER VLADIMIRONICH SEREBRYAKOV

يلينا اندرييفينا سيربيرياكوف (هيلين) : زوجته في السابعة والعشرين من عمرها
YELENA ANDREYEVNA SEREBRYAKOV

صــوفيا (ســونيا) الكساندروفيا : ابنته من زوجته الاولى
SOPHIA (SONIA) ALEXANDROVNA

ماريــا فاســيليفنا فوينتســكي : ام زوجة الاستاذ الاولى
MARIA VASSILYENNA VOYNITSKY

ايفــان بتروفتش فوينتســكي : ابنهــا
IVAN PETROVICH VOYNITSKY

ميخائيــل ليفوفتش اســتروف : طبيب ريفى
MIKHAIL LVOVICH ASTROV

اليــا اليتش تلجين : مالك أرض بعد غنى
ILYA ILYICH TELEGIN

مارينــا : مربية عجوز MARIAN

عامــل : A LABOURER

حارس : A WATCHMAN

تقع احداث المسرحية فى عزبة سيربيريا كوف

الفصل الأول

(حديقة . يظهر جزء من المنزل مع الشرفة — مائدة شاى معدة تحت شجرة حور عتيقة وبجانبها طريق تقوم على جانبيه الاشجار . بعض الكراسى والمقاعد الخشبية — قيثارة فوق احد المقاعد — ارجوحة على مقربة من المائدة — الوقت حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر . السماء ملبدة بالغيوم — مارينا وهى امرأة عجوز ممتلئة تتحرك متثاقلة ثم تجلس بجانب غلاية الشاى وهى تحيك جوربا — استروف يسير جيئة وذهابا على مقربة منها)

مارينـــا : (تصب قدحا من الشاى) اليك شيئا من الشاى يا عزيزى .

استروف : (يتناول القدح بفتور) شكرا لك . اعفينى .

مارينـــا : اظنك لا تمانع في قدح من الفودكا ؟

استروف : لا . أشكرك . انت تعلمين انى لا أشرب الفودكا يوميا . ثم إن الجو خانق اليوم . (يصمت) منذ متى تعارفنا يا دادة ؟

مارينـــا : (تفكر مليا) منذ متى ؟ يالله ! .. دعني أفكر . لقد جئت هنا أولا — أقصد إلى هذه المنطقة — متى كان ذلك ؟ .. لم تكن والدة سونيا قد توفيت بعد . كنت تزورنا بانتظام في الشتائين اللذين سبقا وفاتها . حسنا ... أي منذ احد عشر عاما على ما اعتقد . (بعد لحظة من التفكير (وربما قبل ذلك .

استروف : هل تغيرت كثيرا منذ ذلك الوقت ؟

مارينـــا : نعم ، اخشى انك قد تغيرت فعلا ياعزيزى . كنت شابا وسيما آنذاك ولكنك الآن تبدو اكبر بكثير . لم تعد وسيما كما كنت . واسمح لى أن أقول انك الآن تفرط في الشراب أيضا .

استروف : أنت على حق .. ان السنوات العشر الماضية جعلت مني انسانا آخر . ولكن ما السبب ؟ انــه الارهاق يا دادة . اظل واقفا على قدمى من الصباح إلى المساء . لا أعرف معنى للراحة . حتى في الليل أبيت مستيقظا وانا في رعب دائم من أن ينتزعني احد المرضي من سريرى . لم احصل على اجازة ولا ليوم واحد منذ عرفتك . أكان بمقدورى

ان احتفظ بشبابى بعد كل هذا ؟ ... كما ان الحياة هنا كئيبة وقذرة وسخيفة . حياة مضنية . فأنت محاطة بالمهووسين — نعم كلهم مهووسون . لو قضيت سنتين او ثلاثا معهم لاصابك الهوس مثلهم تدريجيا ودون أن تشعرى . ولكن لا مفر من ذلك فهو أمر محتوم كالقضاء والقدر . (يبرم شاربه الطويل) انظرى الى هذا الشارب الضخم الذى أطلقه . انه دلالة على البلاهة . اصبحت مهووسا انا الآخر ، ولكنى حمدا لله لم اصبح معتوها بعد . لم يتسرب الفساد الى قواى العقلية ولكن اخشى أن يكون حسى قد تبلّد . ليس هناك ما اتوق اليه وليس هناك ما احتاجه ، ولست مغرما بأحد ، اللهم الا بك يا دادة . (يقبل رأسها) لقد كان لى في طفولتى مربية مثلك .

مارينا : الا ترغب في شيء من الطعام ؟

استروف : كلا . شكرا لك . في الاسبوع الثالث من موسم الصوم الكبير ذهبت الى مالشكوى كان الوباء منتشرا هناك . اعنى حمى التيفوس.

كان الناس يرقدون جنبا الى جنب على الارض في الأكواخ حيث القذارة والنتن والدخان .
وكانت العجول ايضا بل والخنازير ترقد على الارض بين المرضى . قضيت اليوم بأكمله هناك أعالج المرضى وانا واقف على قدميّ وبدون ان أتناول لقمة واحدة ، وعندما عدت الى بيتي لم يتيحوا لى فرصة للراحة فقد احضرو الى عامل الاشارة في السكة الحديدية فوضعته على منضدة العمليات وكنت على وشك اجراء — العملية عندما فارق الحياة بين يديّ وهو تحت تأثير المخدر . وفي ذلك الوقت بالذات ورغما عنى ، استيقظت مشاعرى وبدأت أحس بتأنيب الضمير كأننى قتلته عامدا متعمدا . . . فجلست واغمضت عينى هكذا واخذت احدث نفسى :
ترى هل سنخطر نحن الذين نضيء الطريق امام الاجيال القادمة ببال اولئك الذين سيخلفوننا بعد مائة سنة او مائتين ؟ هل سيذكروننا بكلمة طيبة ؟ لا ياداة ، لن يفعلوا ذلك — لن يفعلوا

مارينـــا : ان لم يتذكر بنو الانسان فان الله لا يُضيع الجزاء

استروف : اشكرك يا دادة فقد احسنت التعبير .

(يدخل فانيا قادما من المنزل — يبدو مشعثا بعد غفوة قصيرة بعد الغداء . يجلس على المقعد ويسوى ربطة عنقه الأنيقة) .

فانيـــا : ياسلام ! (يصمت) يا سلام ! . . .

ستروف : هل نمت جيّدا ؟

فانيـــا : نعم . جدا (متثائبا.) منذ ان قدم الاستاذ وزوجته ليعيشا معنا انقلبت حياتنا رأسا عـــلى عقب . فانا انام في الوقت غير المناسب واتناول مختلف انواع الاطعمة الفاخرة في الغداء والعشاء وأشرب الخمر . لايمكن ان يكون هذا في صالحى . لم اكن اخلو لنفسى لحظة واحدة . كنا نعمل كالجبابرة انا وسونيا ولكن سونيـــا تعمل وحدها الآن ، بينما انام انا وآكل — واشرب . ما أسوأ هذا !

مارينـــا : (تهز رأسها) انه تصرف مخز ! هذا ماأسمّيه. ان الاستاذ يستيقظ من نومه في الساعة الثانيـــة عشرة ظهرا وتبقى غلاية الشاى على النار في انتظاره منذ الصباح . كنا نتناول الغداء كغيرنا

من الناس الساعة الواحدة قبل مجيئهم ولكننا لانتناوله الآن قبل السابعة . يقضى الاستاذ الليل في القراءة والكتابة وفجأة في الساعة الثانية صباحا يدق الجرس . لماذا ؟ ما الخبر ؟ الشاى من فضلكم ! أيقظوا الخادم من أجله وجهزوا الشاى . تصرف مخز ! هذه هى الحقيقة !

استروف : هل سيقيمان هنا طويلا ؟

فانيا : (يصفر) مائة عام . الاستاذ يعتزم ان يقيم هنا الى الأبد .

مارينا : هذا ما يحدث الآن . ابريق الشاى ينتظر على المائدة منذ ساعتين اما هما فقد ذهبا يتمشيان .

فانيا : ها هما قادمان . ها هما قادمان . الزمى الهدوء يا دادة . (تسمع اصوات من نهاية الممر — يدخل سيربرياكوف ، ويلينا ، وسونيا ، ، وتلجين عائدين من نزهتهم) .

سيربرياكوف : رائع ! رائع ! . . . يالها من مناظر بديعة !

تلجين : انها رائعة حقا ، يا سيدى .

سونيا : سنذهب الى المزرعة غدا يا أبى . اتحبّ ان ترافقنا

فانيـــا : لنتناول الشاى سيداتى ، سادتى .

سيربرياكوف : ارجو يا اصدقائى ان تتكرموا بارسال نصيبى من الشاى الى غرفة مكتبى . ما زال لدىّ عمل أؤديه اليوم .

ســـونيا : انا واثقة يا أبى ، ان المزرعة ستعجبك .

(تدخل يلينا وسيربرياكوف وسونيا الى المنزل.
تلجين يتقدم من المائدة ويجلس بجانب مارينا)

فانيـــا : الجو حار مقبض والعالم الجليل يسير بمعطفـــه وحذاء المطر وهو يلبس قفازيه ويحمل مظلـــة بيده .

استروف : من الواضح انه شديد الاعتناء بصحته .

فانيـــا : ولكن ما أجملها ! ما أجملها ! لم أر في حياتى امرأة في جمالها !

تلجين : (مخاطبا مارينا) سواء كنت اسير عبر الحقول أو اتنزه في ظل اشجار الحديقة او انظر الى هذه المائدة فان السعادة التى تغمرنى لايمكن وصفها. الجو ساحر والطيور تغرد . اننا نعيش جميعا في

أمان وانسجام ! ماذا نريد اكثر من ذلك ؟
(يتناول كأسا من يد مارينا) لاأستطيع ان
اعبر عن امتنانى لك !

فانيـــا : يا لجمال عينيها ! . . امرأة رائعة !

استروف : حدثنا بشيء .

فانيـــا : (ببرود) عم تريدنى ان أحدثك ؟

استروف : اما من جديد ؟

فانيـــا : لاشيء . كل شيء على حاله . انا مثلما كنت. ان لم اكن أسوأ . أصبحت كسولا .لاأفعل شيئا سوى التذمر كرجل رجعى عجوز . — ووالدتى — الغراب الكبير — لاتزال تنعب مطالبة بتحرير المرأة ، ورغم انها على بعد — خطوة من القبر فهى لاتزال تطالع كتبها الفذة بنهم بحثا عن فجر جديد للحياة .

استروف : والاستاذ ؟

فانيـــا : كعادته يقضى كل وقته من الصباح حتّى ساعة متأخرة من الليل في الكتابة « مجهدا فكره وقد تغضن منه الجبين . يملى علينا قصائد ، وقصائد

فلاتنال جهودنا ولا قصائده كلمة شكر أو مديح » أسفا على الورق الضائع ! اما كان من الافضل لو انه كتب سيرة حياته ؟ ياله من موضوع رائع ! استاذ متقاعد مثير للضجر ! ابله مثقف . . . . نقرس ، روماتزم ، صداع ان ما يكنّه للناس من حسد وغيرة قد سبب له تضخما في الكبد . . . هذا الرجل الاشبـــه بالسمكة المقددة يعيش على عزبة زوجته الأولى يعيش هناك مرغما لأن امكانياته لاتساعده على العيش في المدينة . انه دائم التذمر من حظـــه التعس مع انه في الواقع محظوظ للغاية . — (بعصبية) تأملوا كم هو محظوظ ! ابن لأب متواضع — خادم كنيسة — وطالب لاهوت حصل على مالا يحصى من الدرجات العلمية ونال كرسي الاستاذية في احدى الجامعات . انه الآن زوج لابنة عضو بمجلس الشيوخ الخ . . الخ .ولكن هذا كله غير مهم .الشيء المهم حقا هو ان الرجل قضى خمسة وعشرين عاما وهو يكتب ويحاضر عن الفن ولكنه مع ذلك لايفقه

في الفن شيئا . قضى ربع قرن وهو يلوك أفكار الآخرين عن المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى وما الى ذلك من اللغو . قضى خمسا وعشرين سنة وهو يحاضر ويكتب عن أمور يعرفها — الأذكياء منذ أجيال ولكنها لاتثير اهتمام البلهاء بحال من الاحوال . وهذا يعنى انه اضاع هذه السنوات من عمره هباء . ورغم ذلك كله فان غرور هذا الرجل لايعرف حدا . ياللدجل ! لقد تقاعد وليس هناك مخلوق يعرفه او يهمه أمره . انه مغمور تماما ومعنى ذلك انه ظل خمسا وعشرين سنة يشغل مكان انسان آخر . ولكن انظروا اليه . انه يسير مختالا كأنصاف الآلهة .

استروف : انت تغار منه !

فانيا : لا أنكر ذلك ! تصوروا قدرته الخارقة على التلاعب بقلوب الحسان ! ان دون جوان لم يكن له مثل هذه الانتصارات المذهلة ! كانت زوجته الاولى، اى شقيقتى ، مخلوقة رقيقة الشمائل ، حلوة في صفاء السماء الزرقاء ، كريمة ، — طاهرة ، سمحة الطبع . امرأة كان لها من

المعجبين اضعاف ماله من التلاميذ — كانت تحبه حبا لاتحمله الا الملائكة الاطهار لمن كان مثلهم في النقاء والطهر . وأمّي ، اى حماته ، لاتزال مفتونة به الى يومنا هذا ولايزال يثير في نفسها شعورا بالرهبة و الاجلال . اما زوجته الثانية وهى امرأة جميلة وذكية — وقد رأيتموها الآن — فقد تزوجت منه بعد ان جاوز سن الشباب مضحية بشبابها وجمالها وحريتها وخفة روحها من أجله . ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

استروف : هل هى وفيّة للاستاذ ؟

فانيا : نعم ، لسوء الحظ .

استروف : ولماذا لسوء الحظ ؟

فانيا : لأن اخلاصها زائف من أوّله الى آخره ، ورغم مافيه من عواطف رقيقة الا انه يجافي المنطق . ان خيانة زوج عجوز سيء المعشر مثله عمل مناف للاخلاق . اماان تحاول أن تخنق شبابها التعس ومشاعرها الفطرية فهو امر لايتنافى مع الاخلاق !

تلجين : (بصوت باك) فانيا . لاأطيق ان اسمعك

تتكلم بهذه اللهجة . لايخفى عليك ان المرأة التى تخون شريكها او الرجل الذى يخون شريكته هو انسان غير جدير بالثقة . انسان يمكن ان يخون وطنه أيضا .

فانيـــا : (غاضبا) كفى هراء يا وافلز . اسكت !

تلجين : لا ، لن اسكت — اسمع يا فانيا . ان زوجتى قد هجرتنى مع عشيقها بعد زواجنا بيوم واحد فقط لاننى لا اتمتع بمظهر وسيم ، ومنذ ذلك اليوم لم أتخل عن واجبى مطلقا ، فانا لا أزال احبها ولا أزال على اخلاصى لها . اننى ابذل كل ما استطيع من أجلها . قدمت لها كل ما املك لتعلم اطفالها من الرجل الذى أحبته . ربما اكون قد فقدت سعادتى ولكننى لا أزال محتفظا بكبريائى . أما هى فقد ولى شبابها . ذبل جمالها كما تقضى قوانين الطبيعة . أما الرجل الذى أحبته فقد مات ... ماذا يتبقى لها الآن ؟ (تدخل سونيا ويلينا وبعد قليل تدخل ماريا فوينتسكى وهى تحمل كتابا . تجلس وتقرأ — يقدمون لها الشاى ، تشربه دون أن ترفع رأسها) .

سـونيا : (مخاطبة المربّية في عجلة) جاءنا بعض الفلاحين يا داده ، أرجوك أن تذهبي وتكلميهم . سأقدم الشاى بنفسى (تصب الشاى) .

(تخرج مارينا — تتناول يلينا قدح الشاى وتأخذ رشفة منه وهى تجلس على الأرجوحة)

استروف : (مخاطبا يلينا) لقد جئت ، في الواقع ، لرؤية زوجك . قلت لى في خطابك إن مرضه خطير — روماتيزم ومرض آخر . — ولكن لا يبدو عليه أىّ اثر للمرض .

يلينـا : كان يشعر بانقباض شديد ليلة أمس وكان يشكو من ألم في ساقيه، ولكنه اليوم على خير ما يرام .

استروف : وأنا الذى جئت أعدو كالمجنون مسافة عشرين ميلا ! آه . حسنا ، لا عليك . هذه ليست المرة الأولى . يمكننى أن امكث عندكم حتّى الغد فأستمتع ، على الأقل ، بنوم هادئ هذه الليلة .

سـونيا : نعم ، ارجوك أن تفعل . انك نادرا ما تبيت الليل معنا . لا أظنك قد تناولت الغداء بعد ؟

استروف : في الواقع ، لا .

سـونيا : اذن ستتغذى معنا ايضا . ان موعد غدائنا الآن هو الساعة السابعة . (ترتشف الشاى) الشاى بارد .

تلجين : اخشى ان يكون ابريق الشاى قد برد كثيرا .

يلينا : لا بأس يا ايفان ايفا نوفتش . سنشربه باردا .

تلجين : ارجو المعذرة ياسيدتى ، فانا لست ايفان ايفانوفتش أنا ايليا اليتش – اعنى اليا اليتش تلجين ياسيدتى ، أو وافلز كما يسمينى بعضهم بسبب علامات الجدرى التى على وجهى . كنت ابا سونيا في العماد وزوجك يعرفنى جيدا – اننى اعيش هنا الآن في العزبة واعتقد .... (متلعثما) اعتقد ان وجودى معكم على مائدة الغداء يوميا قد استرعى انتباهك بلا شك .

سـونيا : السيد تلجين ساعدنا الايمن . (برقة) ما رأيك في قدح آخر يا أبتاه ؟

مـاريا : يا للسموات !

سـونيا : ما الخبر يا جدتى ؟

مـاريا : فاتنى ان اخبر الكسندر – لابد ان ذاكرتى قد

خانتنى — اننى تلقيت اليوم رسالة من بافل الكسندروفتش في خاركوف . لقد ارسل لى كتابه الجديد .

استروف : هل اعجبك ؟

ماريا : نعم ، ولكنه غريب بعض الشىء . انه يناقض آراءه السابقة منذ سبع سنوات . شىء بشع !

فانيا : وما بشاعة ذلك ؟ ! اشربى شايك يا أماه .

ماريا : ولكنى اريد ان اتحدث

فانيا : قضيت خمسين عاما وانت تتحدثين وتقرئين الكتب والنشرات . حان الوقت لتضعى حدا لهذا .

ماريا : لا أدرى لماذا لا تستسيغ حديثى ! انا آسفة يا جان ، ولكنك قد تغيرت كثيرا منذ العام الماضى بحيث اكاد اشعر بانني لا أعرفك . كنت رجلا ذا مبادئ صريحة وآراء مستنيرة .

فانيا : أوه ، قطعا ، نعم ! كنت رجلا ذا آراء مستنيرة ولكنها لم تحمل النور لاحد . (يصمت) رجلا ذا آراء مستنيرة ! يالها من اضحوكة مؤلمة ! لقد بلغت الآن السابعة والاربعين . كنت حتى

العام الماضى ابذل كل ما في وسعى كى اخدع
نفسى بهرائك وحذلقتك حتى لا أرى الحياة
على حقيقتها . كان يخيل لى حينئذ انى على
صواب ! والآن ، آه لو عرفت ! أنا لا أنام
الليل . انى حانق وثائر على نفسى لانى اضعت
عمرى سدى في الوقت الذى كنت استطيع فيه
الحصول على كل ما يحرمنى سنى من الحصول
عميه الآن .

سونيا : خال فانيا ! هذا حديث ممل !

ماريا : (مخاطبة ابنها) يبدو انك تلقى اللوم كله على
مبادئك السابقة لامر لا أعرفه ، ولكن العيب
ليس في المبادئ ، العيب فيك انت . يبدو انه
قد غاب عنك ان المبادئ ليست شيئا في حد
ذاتها – مجرد حروف جوفاء . كان يجب عليك
أن تقوم بعمل جدى .

فانيا : عمل جدى ! ليس لكل انسان المقدرة على أن
يكون من طراز استاذك المبجل مؤلف التوافه
الذى لا يتوقف عن الكتابة . صاحب نظرية
العمل والحركة الابدية .

ماريا : ما الذى ترمى اليه من وراء ذلك بالله عليك ؟

سونيا : (متوسلة) جدتى ، خال فانيا ! اتوسل اليكما

فانيا : حسنا ، حسنا ، سأصمت واعتذر . (صمت)

يلينا : ما اجمل هذا النهار ! الجو لطيف .

فانيا : يوم بديع يصلح لان يشنق فيه الانسان نفسه .
(تلجين يضبط اوتار قيثارته — مارينا تسير بجانب البيت وهى تصيح على احدى الدجاجات).

مارينا : تشك — تشك — تشك .

سونيا : لم جاء الفلاحون يادادة ؟

مارينا : آه ، انهم يأتون دائما للموضوع نفسه . الارض البور مرة ثانية . تشك — تشك — تشك .

سونيا : أى دجاجة تريدين ؟

مارينا : سبيكى العجوز خرجت مع افراخها واخشى أن تقع فريسة للغربان . (تخرج)
(تلجين يعزف لحنا من البولكا — الجميع يستمعون في صمت . يدخل أحد العمال)

العامل : الدكتور هنا ؟ (موجها كلامه لاستروف) إذا سمحت يا سيدى ، لقد ارسلونى في طلبك

استروف : من أيـــن ؟

العامل : من المصنع .

استروف : (متضايقا) لك شكرى الجزيل . حسنا ، يجب أن اذهب الآ ن (يتلفت بحثا عن قبعته) واأسفاه ! يا للعنة !

ســـونيا : يؤسفنى انك مضطر للذهاب . ارجوك أن تأتى للغداء معنا بعد عودتك من المصنع .

استروف : اخشى أن يكون قد فات الأوان . نعم اخشى ذلك .. اخشى ذلك . (مخاطبا العامل) اسمع . احضر لى مشكورا قدحا من الفودكا (يخرج العامل) . ترى أين هى بحق الشيطان ؟ أين ؟ (يعثر على قبعته) ان أحد الشخصيات في مسرحية من مسرحيات اوستروفسكى له شارب طويل وعقل صغير .. حسنا انه يشبهنى . اوه .. وداعا ، سيداتى ، سادتى . (مخاطبا يلينا) أن خطر لك ان تزورينى مع سونيا اكون سعيدا برؤيتكما ، انى املك عزبة صغيرة لا تزيد مساحتها عن الثمانين فدانا ولكن ان كان يهمكما هذا فإن فيها بستانا نموذجيا ومشتلا زراعيا

لن تجدا مثيلا لهما على بعد الف ميل . وهناك مزرعة الحكومة على مقربة من عزبتى . ان حارس الغابة هناك رجل عجوز معتل الصحة مما يجعلنى المشرف الوحيد على العمل هناك .

يلينــا : لقد بلغنى انك اتخذت شئون الغابات هواية لك . اعتقد أن هذا شيء مفيد جدا ،ولكن الا تظن أن هذا يعوقلك عن تأدية عملك الحقيقى . انت طبيب قبل كل شيء .

استروف : الله وحده هو الذى يعلم ما هو عملنا الحقيقى .

يلينــا : أتجد متعة في ذلك ؟

استروف : نعم انه عمل ممتع .

فانيــا : (ساخرا) للغاية .

يلينــا : (مخاطبة استروف) انك لا تزال في مقتبل العمر لا يبدو عليك انك جاوزت — قل السادسة أو السابعة والثلاثين ، وهذا ما يدعونى إلى الاعتقاد بانك لا تجد فيها المتعة التى تتحدث عنها . اشجار ولا شيء سوى الاشجار . اظنه شيئا رتيبا للغاية.

ســونيا : كلا ، كلا ، انها هواية ممتعة للغاية . ان الدكتور

استروف يغرس غابات جديدة كل عام وقد
حصل على ميدالية برونزية ودبلوما . . انه يبذل
كل ما يستطيع للمحافظة على الغابات القديمة من
الفناء . ان أنت استمعت اليه لوافقت على كل
ما يقول . انه يعتقد ان الغابات تجعل الارض
أكثر جمالا وتعلم الانسان التجاوب مع كل
ما هو جميل وتغرس في نفسه الاتجاهات الفكرية
السامية ، فالغابات تخفف من حدة الطقس .
وفي البلاد التى تتمتع بطقس معتدل يبذل الانسان
مجهودا أقل في صراعه مع الطبيعة،وهذا هو
السبب الذى يجعل رجال تلك البلاد أكثر جمالا
ولينـــا وارهف احســـاســـا . ان حديثهـــم
مهذب وحركاتهم رشيقة . ان الفن والعلم
يزدهران هناك ، ونظرتهم الى الحياة اقل عبوسا
وهم يعاملون النساء باسلوب مهذب رفيع .

فانيـــا : (مقهقها) برافو ، برافو ! كل هذا رائع
ولكنه غير مقنع ، ولذلك (مخاطبا استروف)
اسمح لى ياصديقى ان أشعل نار موقدى بالحطب
وان ابنى مخازن غلالى وحظائر ماشيتى بالاخشاب

استروف : يمكنك ان تشعل نار موقدك بالفحم وتبنى — حظائرك ومخازن غلالك بالحجارة . ومع ذلك فانى موافق على قطع الاشجار ان احتاج الامر الى ذلك .ولكن ماذا يدعونا الى القضاء عليها؟ ان ضربات الفأس هى الصوت الذى يتردد صداه في الغابات الروسية . ملايين الاشجار تتعرض للفناء . لم يعد للحيوانات البرية والطيور مكان تأوى اليه فكلها قد خرجت . وضحلت الأنهار وغاض ماؤها . ان المناظر الطبيعية البديعة تختفى الى الابد . كل هذا لأن رجالنا من الغباء والكسل بحيث لايتجشمون عناء الانحناء لاستخراج وقودهم من الارض (مخاطبا يلينا) ألا توافقيننى على هذا ياسيدتى ؟ ان من يحرق الجمال في نيران موقده لابد ان يكون بربريا فهو يحطم ما يعجز عن الاتيان بمثله . لقد حبا الله الانسان بالعقل والقدرات الخلاقة ليضاعف ما حصل عليه من خيرات ولكنه حتى الآن لم يبدع شيئا وكل ما فعله هو التدمير . ان الغابات تتلاشى شيئا فشيئا ، والانهار تجف ، وطيور الصيد توشك على الفناء . لقد فسدت احوال

بيئتنا وكل يوم يمر تصير الارض اشد فقسر وبشاعة . (مخاطبا فانيا) ها انت تنظر الىّ ساخرا ولا تصدق انى جاد فيما اقول — ربما أكون مهوسا ولكننى عندما امر بالغابات التى يملكها الفلاحون والتى انقذتها من الفأس اوعندما اسمع حفيف اوراق الاشجار التى غرستها بيدىّ هاتين فانى اشعر بان في مقدورى ان اسيطر على بيئتنا ، وان سعد الناس وشعروا بالرضا بعد الف سنة من الآن فانى اكون قد اديت واجبى الصغير نحوهم . انى عندما اغرس — شجرة بتولا ثم ارى اغصانها الخضراء تتمايل مع الريح فانى لااستطيع ان أتمالك نفسى من الشعور بالاعتزاز والنشوة الأن الفكرة . . . (يرى العامل الذى يحضر له كأس الفودكا فوق صينية) على اى حال (يشرب) حان الوقت لاذهب ان كل ما قلته ، على ما اعتقد ، هو تخريف مهووس بعد فوات الاوان . وداعا ! (يتجه نحو المنزل) .

سونيا : (تتأبط ذراعه وتخرج معه) متى ستعود ثانية؟

استروف : لاأدرى .

ســونيا : استغيب شهرا بطوله ثانية ؟

(يدخل استروف وسونيا المنزل — تبقى ماريا وتلجين جالسين الى المائدة . يلينا وفانيا يتجهان نحو الشرفة)

يلينـــا : وانت يا فانيا قد تصرفت تصرفا مخزيا . لماذا كنت تريد ان تستثير والدتك بحديثك عن العمل والحركة الابدية ؟ ثم لقد تشاجرت انــت والكسندر ثانية وانتما تتناولان الغداء . هذه كلها تصرفات صغيرة !

فانيـــا : لااستطيع ان أتمالك نفسى . انى أمقته !

يلينـــا : ليس هناك ما يدعوك الى مقته . انه يشبه غيره من الناس . ليس أسوأ منك .

فانيـــا : اوه ! آه لو كنت تستطيعين روية وجهك وحركاتك ! خمولك فاق الوصف فلا تقدرين على التفاعل مع الحياة ! خمول لامزيد عليه !

لينـــا : حقا ، ياعزيزى انى خاملة واشعر بالملل ! إنكم جميعا تكيلون السباب لزوجى . كلكم تنظرون

الىّ مشفقين : « يالها من امرأة مسكينة ! زوجة رجل عجوز » ! اهتمامكم بي تخالطه الشفقة . انني أفهمه جيدا ولكم يحزّ هذا في نفسيء ! انكم كما قال استروف الآن تقضون على الغابات بطيشكم وقريبا لن يبقى منها شئٌ على ظهر الارض . وبنفس الاسلوب تحطمون حياة الناس ، وبفضلكم سيختفي الاخلاص والطهر والقدرة على التضحية بالذات . لمــاذا لاتنظرون إلى المرأة التي لا تخصكم بنفس اللامبالاة ؟ لماذا ؟ الـــدكتور هنا ايضـــا على حق — هنالك شيطان مدمر يعيش في صدوركم جميعا ، فلا تبالون بما يحدث للغابات أو الطيور أو النساء أو حتى بعضكم بعضا .

فانيـــا : هذا النوع من الحديث لا يعجبني .

(صمـــت)

يلينـــا : ان علامات الرقة والارهاق واضحة على وجه ذلك الطبيب . ان وجهه يثير الاهتمام ، ومن الواضح ان سونيا تجده جذابا . انها غارقة في حبه وانا افهمها تماما . هذه هي المرة الثالثة التي يأتي

فيها هنا منذ قدومنا . ولكننى اشعر معه بالخجل .
وفي الواقع لم اعامله بلطف اطلاقا ، ولم أتحدث
معه كما كنت أود . لابد انه يظننى مخلوقة كريهة
ان هذا يفسر سر الصداقة التى تربط بيننا يا فانيا ،
فنحن بليدان نبعث السأم في النفس . نعم بليدان .
لا تحدق فيَّ هكذا ! ان نظرتك لا تعجبنى !

فانيــا : وكيف انظر اليك غير ذلك إذا كنت أحبك ؟
أنت سعادتى وحياتى وشبابى ! اننى اعرف أن
لا أمل لى في ان تبادلينى هذه المشاعر ، ولكننى لا
اطلب منك شيئا . كل ما اريده هوأن تسمحى
لى أن انظر اليك وان اسمع صوتك .....

يلينــا : ش . ش... قد يسمعونك! (تتجه نحو المنزل) .

فانيــا : (يتبعها) دعينى احدثك عن حبى . لاتصدينى
هذا هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن يجعلنى أسعد
انسان على وجه الأرض ...

يلينــا : لقد تماديت كثيرا !

(يدخل فانيا ويلينا المنزل ، تلجين يداعب اوتار
قيثارته ويعزف عليها لحنا من البولكا . ماريا
تكتب شيئا على هامش الكتيب الذى تقرأه).

الفصل الثاني

(غرفة طعام في منزل سيربرياكوف ، الوقت ليلا . تسمع طرقات الحارس في الحديقة . سيربرياكوف يجلس في مقعد مريح في مواجهة نافذة مفتوحة وهو يغالب النعاس . يلينا تجلس بجانبه) .

سيربرياكوف : (مستيقظا) من هناك ؟ أهذه أنت سونيا ؟

يلينــا : انا يلينا .

سيربرياكوف : انت ياحبيبتي ؟ . . . أوه ، ياله من ألم مريع

يلينــا : غطاؤك سقط على الارض . (تلف الغطاء حول ساقيه) أظن من الافضل ان اغلق النافذة — يا الكسندر .

سيربرياكوف : كلا . أكاد أختنق . لقد غفوت منذ قليل — وحلمت ان ساقي اليسرى لم تعد ساقي ، وقد ايقظني الالم المبرح . لا ، ليس هذا مــرض النقرس . اعتقد انه روماتزم . كم الساعة ؟

يلينـــا : الثانية عشرة والثلث . (صمت)

سيربرياكوف : أرجوك ان تبحثي لى عن بايتوشكوف في المكتبة صباحا . اعتقد ان مؤلفاته موجودة لدينا .

يلينـــا : معذرة . ماذا قلت ؟

سيربرياكوف : حاولى ان تبحثي لى عن بايتوشكوف صباح غد أظن ان مؤلفاته موجودة لدينا . ولكن لماذا أجد صعوبة في التنفس ؟

يلينـــا : انت مرهق . هذه هى الليلة الثانية التى لم تنم فيها .

سيربرياكوف : بلغنى ان تورجنيف اصيب بذبحة صدرية بسبب النقرس واخشى ان اصاب بذلك أيضا . لعنة الله على هذه الشيخوخة المقرفة ! لتذهب الى الجحيم ! اصبحت أمقت نفسى منذ أصبت بهذا المرض ، ولن يدهشنى ان أبدو كريها في — نظركم .

يلينـــا : انـــك تتحدث عن كبر سنك وكأننـــا نحن الملومون على ذلك .

سيربرياكوف : انى أعتقد انك تشمئزين منى أكثر من غيرك .

(يلينا تنهض وتجلس بعيدا عنه)

سيربرياكوف : لك كل الحق في ذلك طبعا . لست من الغباء بحيث يخفى هذا علىّ . انت شابة موفورة الصحة وجميلة . تريدين ان تتمتعى بالحياة ، وأنا رجل عجوز مهدم ــ جثة متصلبة . أليس الامــر كذلك ، أو أنك تظنين أننى لا أدرك هذا ؟ من الغباء، طبعا ان ابقى على قيد الحياة . ولكن انتظرى ، ــ سأريحكم جميعا . أيامى في الحياة معدودة .

يلينـــا : لم أعد استطيع صبرا . اسكت بالله عليك !

سيربرياكوف : هذا هو الواقع . كلكم ــ والفضل في ذلك يعود لى ــ تضيقون بى . تبددون شبابكم في تعاسة وضجر ، وانا الوحيد الذى يشعر بالرضا ويستمتع بالحياة . نعم ، لاشك في هذا !

يلينـــا : أتضرّع اليك أن تكف عن مضايقتى !

سيربرياكوف : انى اضايق الجميع طبعا !

يليـــنا : (توشك على البكاء) هذا لايطاق ! قل لى ماذا تريدنى أن افعل ؟

سيربرياكوف : لاشىء .

يلينـــا : حسنا . ان كان الامر كذلك اتوسل اليك ان تلزم الصمت .

سيربرياكوف : ان ما يدعو للسخرية حقا هو ان الجميع يستمعون باهتمام عندما يهمّ فانيا اوامه العجوز البلهـــاء بالكلام ، ولكن ما ان افتح فمى حتّى يمتعض الجميع . حتّى صوتى يشمئزون منه . لنفرض انى مقيت واناني ومستبد ، أليس لى الحق في أن اكون انانيا حتّى في شيخوختى ؟ ألا استحق ذلك ؟ انى لأتساءل : أليس من حقّى ان — استمتع بشيخوخة هادئة وان ألقى العناية والرعاية ممن يحيطون بى ؟

يلينـــا : لم يعترض احد على حقوقك (تضرب الريح النافذة محدثة ضجة عالية) الرياح تشتد . من الافضل ان اغلق النافذة . (تغلق النافذة) ستمطر عما قريب . لاأحد يعترض على حقوقك. (صمت . الحارس في الحديقة يطرق الارض بعصاه ويغنى)

سيربرياكوف : لقد قضيت حياتى وانا اعمل من أجل العلم . اعتدت على غرفة مكتبى وقاعة المحاضرات .

والزملاء . والآن أجد نفسى مدفونا في الحياة
في هذا القبر وانا مضطر لرؤية هؤلاء الاغبياء
يوميا والاستماع الى احاديثهم التافهة . انني
اتوق الى الحياة . احب النجاح والشهرة
وحديث الناس عني . ولكنني أعيش هنـــا
وكأنني في المنفى ! أتحسر كل دقيقة على الماضي
وأرى الآخرين يحققون الشهرة ، اما أنا فأعيش
في خوف من الموت. لقد نفذ صبري ! ورغم ذلك
كله فإنهم هنا لايغفرون لى من أجل شيخوختي !
(تدخـــل سونيا)

سـونيا : لقد أمرتني ان ارسل في طلب الطبيب استروف يا أبي ، وعندما حضر ترفض ان تراه . هذا لايليق . يبدو اننا ازعجناه بدون مبرر .

سيربرياكوف : وماء فائدة طبيبك استروف هذا ؟ ان معرفته بالطب لاتتعدى معرفتي بالفلك .

سـونيا : اظنك لاتتوقع ان نحضر لك هنا كل اساتـذة الطب لمعالجة نقرسك ؟

سيربرياكوف : انني ارفض ان اتحدث مع ذلك المعتوه .

سـونيا : ليكن ما تشاء (تجلس) الأمر عندى سيان .

سيربرياكوف : كم الساعة ؟

يلينـــا : الواحدة تقريبا .

سيربرياكوف : اكاد اختنق . . ناوليني يا سونيا زجاجة الدواء . على المنضدة !

ســـونيا : ها هي . (تناوله الزجاجة) .

سيربرياكوف : (متضايقا) يا لله ! ليست هذه . الاتفهمينني؟ لااستطيع ان اطلب منك شيئا ! . . .

ســـونيـــا : لاتنفعل أرجوك . قد يستطيع غيرى ان يتحمل ذلك اما انا فلا . اعفني من ذلك بحق السماء ! لاوقت عندى لهذا . لابد لى ان انهض مبكرة صباح غد . سنذهب غدا لاعداد التبن. (يدخل فانيا مرتديا « الروب دى شامبر » — يمسك شمعة بيده) .

فانيـــا : العاصفة على وشك الهبوب . (يلتمع البرق) يا لله ! ما هذا البرق ! هيلين ، سونيا ، اذهبا للنوم . لقد أتيت للتخفيف عنكما .

سيربرياكوف : (مرتعبا) كلا ، كلا ! اتوسل اليكما الا

تتركانى معه . لا طاقة لى بحديثه !

فانيـــا : ولكن لابد ان تسمح لهما بأن ينالا قسطا مـــن الراحة ! هذه هى الليلة الثانية التى يقضيانهـــا دون نوم .

سيربرياكوف : حسنا . لتذهبا للنوم ولكن يجب ان تذهب انت ايضا . اشكرك . اتوسل اليك . استحلفك بصداقتنا الماضية ألا تعترض . سنتحدث في وقت آخر .

فانيـــا : (يبتسم سخرا) صداقتنا الماضية — الماضية !

ســـونيا : الزم الهدوء يا خال فانيا — من أجلى .

سيربرياكوف : (مخاطبا زوجته) لاتتركينى وحيدا بصحبته : يا حبيبتى ! لن يكف عن الكلام قبل ان يقضى علىّ .

فانيـــا : شيء سخيف حقا !

(تدخل مارينا وبيدها شمعة)

ســـونيا : لم لاتذهبين الى فراشك يا دادة ؟ الوقت متأخر

مارينـــا : أتظنين اننى استطيع النوم وادوات الشاى لاتزال على المائدة ؟

سيربرياكوف : لم ينم أحد بعد . الجميع مصابون بالأرق . انا الوحيد الذى يستمتع بكل وقته !

مارينــا : (تقترب من سيربرياكوف برقــة) مــاذا يضايقك يا سيدى ؟ هل تؤلمك ساقاك كثيرا ؟ انا ايضا ساقاى تؤلمانى بشكل مريع . ألمٌ لا يطاق ! (تعيد الغطاء حول ساقيه) لقد مضى زمن طويل وانت تشكو من هذا المرض . انى اذكر والدة سونيا وهى تسهر معك الليلة تلو الليلة . كانت المسكينة تتألم كثيرا بسببك . ! نعم ، كانت مغرمة بك (تصمت) انالكبار مثل الاطفال تماما ، فهم بحاجة الى العطف — مثلهم ، ولكن الناس لايهتمون بهم مطلقا . (تطبع قبلة على كتف سيربرياكوف) هيَّا الى النوم يا سيدى ، هيَّا . . . تقدم ياحبيبى . سأحضر لك الشاى با لليمون وابعث الدفء في ساقيك المتألمتين . . .وسأدعو الله لك بالشفاء..

سيربرياكوف : (متأثرا) هيا بنا نذهب يا ما رينا .

مــارينا : ساقاى أنا الاخرى تؤلمانى للغاية ياسيدى . تؤلماني بشكل يفوق الوصف ! (تساعده هى

وسونيا على الخروج) كانت والدة سونيا المسكينة شديدة الحزن والقلق عليك . كنت طفلة صغيرة لا تدركين شيئا حينئذ يا سونيا. تعال ياسيدى . هيا ..

(يخرج سيربرياكوف وسونيا ومارينا) .

يلينـــا : لقد اضنانى ! اكاد لا استطيع الوقوف على قدمىّ !

فانيـــا : لقد اضناك هو ، اما أنا فقد أضنيت نفسى . هذه هى الليلة الثالثة التى أسهرها .

يلينـــا : هناك شىء غير طبيعى في هذا البيت . والدتك تكره كل شىء ما عدا كتبها والاستاذ . اما الاستاذ فهو سريع التأثر والغضب . انه لا يثق بى كما انه يخشاك . وسونيا ساخطة على والدها وعلىّ مضى اسبوعان دون أن تبادلنى كلمة واحدة وانت تمقت زوجى ولا تحاول ان تخفى احتقارك لوالدتك . اما أنا فأكاد اتمزق غيظا وكنت اليوم على وشك البكاء اكثر من مرة هناك شىء غير طبيعى في هذا البيت .

فانيـــا : دعينا من هذا الحديث التافه !

يلينـــا : انت رجل مثقف وذكى يا فانيا ، وكنت أعتقد

انك تدرك ان الخطر على هذا العالم ليس من الحرائق وقطاع الطرق ولكن من الحقد والبغضاء، وكل تلك الخلافات والمشاحنات التافهة . يجب أن تكف عن التذمر وان تصلح بين الجميع .

فانيـــا : صالحيني مع نفسي أولا ! آه ، ياحبيبتي ! — (يطبع قبلـــة على يدها) .

يلينـــا : حذار ! (تسحب يدها) ابتعد عني !

فانيـــا : سينقطع المطر عما قليل وينتعش كل ما في الطبيعة ويتنفس بحرية . انا الوحيد الذى تعجز العاصفة عن انعاشه . كلما فكرت في شبابي الذى بددته دون طائل احس ان كابوسا يجثم فوق صدرى . انني رجل بلا ماض ، فقد اضعته بغباء في التفاهات . اما الحاضر فيثير في نفسي الخوف بتفاهته . هكذا حياتي وحبي ، فماذا افعل بهما بحق الشيطان ؟ ان العواطف السامية التي تعتمل في صدرى ستضيع هباء كما يضيع شعاع من النور في هوة سحيقة ، وستضيع حياتي معه ..

يلينـــا : عندما تحدثني عن حبك يعتريني الذهول ويسيطر على كياني كله ولا أدرى ماذا أقول . معذرة ،

ليس لدى ما أقوله لك . (على وشك الخروج)
طابت ليلتك !

فانيــا : (معترضا طريقها) يا للأسى ! آه لو عرفت مقدار تعاستى عندما أشعر بأن بجانبى وفي هذا البيت بالذات حياة أخرى ضائعة — حياتك ! ماذا تنتظرين ؟ ما هو السبب اللعين الذى يمنعك من التصرف ؟ افهمى ! أرجوك !

يلينـا : (تنظر اليه بامعان) فانيا ! لابد أنك افرطت في الشراب !

فانيــا : ربما ، ربما ! . . .

يلينـا : اين الطبيب ؟

فانيــا : في الداخل هناك . سيبيت الليلة معى ، ربما ، ربما . . . كل شيء ممكن !

يلينـا : هل شربت اليوم أيضا ؟ لماذا تفعل ذلك ؟

فانيــا : هذا شيء ينسجم ، على الاقل ، مع حياتى . لاتمنعينى ياهيلين .

يلينـا : لم يسبق لك ان شربت من قبل ولم يكن مـن

عادتك ان تثرثر هكذا . اذهب الى فراشك . انك تبعث الضجر في نفسى .

فانيـــا : (مقبلا يدها) حبيبتى . . . يا فاتنتى !

يلينـــا : (غاضبة) ابتعد عنى ! ارجوك ! لقد انتهى كل شيء بيننا !

(تخرج)

فانيـــا : (منفردا) لقد اضعتها . (يصمت) كنت اقابلها في بيت اختى منذ عشر سنوات . كانت حينئذ في السابعة عشرة وكنت في السابعة والثلاثين لماذا لم اقع في حبها في ذلك الوقت واتقدم لطلب يدها ؟ كنت استطيع ان اتزوجها بسهولة وكان من الممكن ان تكون زوجتى الآن . . نعم . . كان يمكن ان توقظنا العاصفة سويا . فاذا افزعتها العاصفة ضممتها الى صدرى وهمست في اذنها : « لاتخافي شيئا يا حبيبتى فانا بجانبك » . ما اروعها من خيالات ! لااستطيع ان اتمالك نفسى من الضحك ، انها تغمرنى بالسعادة . يا لله ! لقد اختلط علىّ الأمر ! لماذا تقدمت بى السن لماذا لاتفهمنى ؟ لكم أمقت عباراتها المعسولة

ومفاهيمها الاخلاقية المتبلدة وآراءها العقيمة حول فناء العالم ! . . (يصمت) لكم — خدعت ! كنت اقدس ذلك الاستاذ ، ذلك العليل الحقير التافه . لم اكن أكلّ من العمل لاجله . كنت أنا وسونيا نعتصر المال من المزرعة اعتصارا. كنا اشبه بالمزارعين الجشعين نساوم على ثمن الحليب والجبن وزيت الكتان والحبوب ونحن نحرم أنفسنا من كل شيء ونقتصد كل مانستطيع لنرسل له آلاف الروبلات . كنت فخورا به وبعلمه . كان كل شيء بالنسبة لى في هذاالعالم. كنت أنظر الى كل كلمة يكتبها او يتفوه بها على انها اسمى آيات العبقرية والنبوغ . . .يا إله السموات ! والآن ؟ الآن ، بعد ان تقاعد استطيع ان احكم على قيمة العمل الذى افنى فيه حياته . لن يخلف وراءه صفحة واحدة ذات قيمة . انه مجرد صفر — فقاعة من الصابون ! لقد خدعت . استطيع ان أرى ذلك الآن بكل وضوح . يالى من مخدوع غبي ! . . .

(يدخل استروف بدون صديرى او ربطة عنق يترنح من السكر ، يتبعه تلجين حاملا قيثارته)

استروف : اعــزف !

تلجين : ولكنهم جميعا نائمون .

استروف : اعزف . عليك اللعنة ! (يبدأ تلجين يعزف لحنا هادئا — يخاطب فانيا) اراك وحيدا . أليس معك أحد من السيدات ؟ (يضع يديه في وسطه ويغنى بصوت رقيق) « تمايل ايها الكوخ ، وارقــص ايها الموقد وانت ايها السرير . ليس لى مكان اسند فيه رأسى . . . » أرأيت ؟ لقد ايقظتنى العاصفة. يا لروعة هذه الامطار ! كم الساعة ؟

فانيــا : لتحل علىّ اللعنة ان كنت أعلم !

استروف : يخيل الى انى سمعت صوت يلينا .

فانيــا : كانت هنا منذ لحظــة .

استروف : يا لها من امرأة رائعة الجمال . (يفحص الزجاجات فوق المنضدة) ادوية . يا لله ! انظــر الى هذه الوصفات ! من خاركوف ، من موسكو ، من تولا . . . . . لقد أصاب كل مدن روســيا

الضيق والقرف من نقرسه هذا . هل هو مريض حقا ام انه مجرد تمارض ؟

فانيـــا : مريـــض .

(صمت)

استروف : لماذا اراك مكتئبا اليوم ؟ أحزين انت لحال الاستاذ؟

فانيـــا : لا شأن لك بي .

استروف : ام تراك غارقا في غرام زوجة الاستاذ ؟

فانيـــا : انها صديقتي فقط .

استروف : الى هذا الحد ؟

فانيـــا : ماذا تعني بقولك « الى هذا الحـــد » ؟

استروف : لا يمكن للمرأة ان تصبح صديقة لرجل الا بعـــد ان تمر بالمراحل التالية : فهي أولا رفيقة طيبة، ثم خليلة ، وبعد ذلك فقط تصبح صديقة .

فانيـــا : يا لها من فكرة مبتذلة !

استروف : أوه . حسنا — انت على حق . لقد اصبحت مبتذلا فعلا وانا اقر بذلك . ولكن الا ترى انني مخمور ايضا ؟ ان من عادتي ان افرط في الشراب مـــرة كل شهر ، وعندها اكون من الصفاقة والوقاحة

بشكل يرضيك ، فلا اخشى شيئا ولا أتردد في
اجراء ادق العمليات واصعبها بمهارة فائقة ،
وأضع اشد الخطط طموحا وجرأة للمستقبل.
وفي أوقات كهذه يفارقني شعوري بانني مهووس
وتزداد ثقتي بنفسي فاعتقد انني اقدم اجل
الخدمات للانسانية ! كما ان لي في تلك الاوقات
نظاما فلسفيا خاصا ، وهنا تبدون لي ، كلكم ،
أيها الاصدقاء ، كحشرات متناهية في الدقة —
مجرد جراثيم . (مخاطبا تلجين) اعزف يا وافلز.

تلجين : يا عزيزي ، بودي ان اعزف لك ، ولكن ارجوك
ان تفهمني . . . الجميع نائمون !

استروف : اعزف ، عليك اللعنة ! (تلجين يعزف برقة)
اننا نحتاج الى شيء من الشراب . هيا . لا يزال
هناك شيء من الخمر. اما في الصباح فسنذهب الى
منزلي . ما رأيكما ؟ (يرى سونيا داخلة) معذرة
ملابسي غير لائقة .
(يخرج بسرعة يتبعه تلجين)

سونيا : لقد عدت الى الشراب ثانية مع الطبيب ، ياخال
فانيا . ان الطيور على اشكالها تقع . ما هذه الصداقة

المتينة ؟ أوه — حسنا . انه دائما على هذه الحال ، ولكن ماذا يدعوك انت الى الشراب ؟ هذابالتأكيد لا يلائم من هم في مثل سنك .

فانيــا : وما علاقة السن بهذا ؟ عندما تفقد الحياة طعمها لابد لنا أن نعيش في الاوهام فهذا أفضل من لاشىء على اية حال .

سونيــا : لقد انتهينا من الحصاد وستتعفن اكوام التبن بسبب الامطار التى لاتنقطع وانت تسلى نفسك بالأوهام. لم تعد تهتم بالعزبة مطلقا . انا الوحيدة التى اقوم بالعمل هنا ، وقد هدنى التعب . (بجزع) انى ارى الدموع في عينيك يا خال فانيا .

فانيــا : دموع ؟ كلا ، انت واهمة . كنت تنظرين الى كما اعتادت امك أن تفعل . آه ، يا عزيزتى ! (يقبل يديها ووجهها) . اختى — اختى العزيزة الغالية ! ترى اين هى الآن ؟ ليتها كانت تعلم ! ليتها كانت تعلم !

سونيـــا : ماذا ؟ تعلم ماذا يا خال ؟

فانيـــا : أوه ! انني أشعر بالتعاسة والبؤس . .. لا عليك . . . . . سأخبرك فيما بعد ... انني ذاهب .
(يخرج)

سونيـــا : (تقرع الباب) دكتور استروف ، هل انت نائم ؟ أرجو أن تحضر لحظة واحدة فقط.

استروف : (خلف الباب) لحظة واحدة ! (يخرج بعد دقيقة مرتديا صدريته وربطة عنقه) اى خدمة ؟

سونيـــا : يمكنك أن تشرب ما شئت من الخمر اذا كنت ترى أن ذلك شيء لايثير القرف . ولكن أرجوك الا تدع خالى يشرب. الخمر تسيء الى صحتـه .

استروف : حسنا . لن نشرب بعد الآن (يصمت) حتى ولا قطرة واحدة . سأعود الى منزلى الآن .حتى ننتهى من شد الجياد يكون النهار قد تكشف .

ســونيا : لم ينقطع المطر . انتظر حتى الصباح

استروف : لقد خفت سورة العاصفة . لن يصيبنى منها الا

القليل . انني ذاهب ولكنني ارجوك ألا ترسلي في طلبي من أجل والدك ثانية فانا أقول انه النقرس وهو يصرّ على انه روما تيزم. انا أطلب منه الراحة في الفراش وهو يصرعلى أن يجلس على الكرسي . لقد رفض اليوم ان يراني بالمرة

سونيـــا : انه مدلل . (تنظر في البوفيه) ما رأيك في شيء من الطعام ؟

استروف : شكرا لك . لا مانع عندي .

سونيـــا : انني احب أن اتناول القليل من الطعام ليلا . اظن اننا سنجد بعض الطعام هنا . يقولون ان والدي كان محبوبا جدا من النساء وقد افسدته . اليك شيئا من الجبن . (يقفان على جانبي البوفيه يأكـــلان) .

استروف : ما أكلت اليوم . لم أتناول سوى الخمر. ان والدك رجل متعب . (يتناول زجاجـــة من البوفيه) أتسمحين لي ؟ ليس هناك أحـــد هنا ، ولذلك سأحدثك بكل صراحة . أقول لك . . . انه من المستحيل على ان ابقى حيا في هذا البيت اكثر من شهر واحد . جوّه الخانق لابد ان يقضي عليّ .

والدك لا يفكـــر في شيء الا النقرس والكتب ،
والخال فانيالا يفكر الا في انقباضه ، وجدتك.. .
واخيرا ، وليس آخرا ، زوجة أبيك ....

سـونيا : ماذا يعيب زوجة أبي ؟

استروف : ينبغي ان يكون الانسان جميلا وجها وثوبا وروحا
وفكرا . لست انكر انها رائعة الجمال ولكنهـا
لاتقوم بعمل شيء سوى الاكل والنوم والتنزه
وسبي عقولنا جميعا بجمالها ولاشيء غير ذلك .
انها لاتقوم حتى بواجبات البيت . الآخرون يقومون
بكل شيء . اليس الامر كذلك ؟ لايمكن ان تكون
حياة الكسل ظاهرة . (يصمت) على ايّة حال ،
قد أكون قاسيا عليها . انني اضيق بالحياة كمـا
يضيق بها الخال فانيا. لقد اصبحنا عجوزين لاهمّ
لنا سوى التذمر .

سـونيا : هل أنت ساخط على الحياة ؟

استروف : انني أعشق الحياة بشكل عام ولكنني لااستسيغ
حياة الريف الروسي بتأخرها . لا أحمل لهـا
سوى الاحتقار الشديد . اما بالنسبة لحياتي الشخصية
فبودّي لو كنت استطيع ان اقول ان فيها شيئا من

الخير ، ولكن الحقيقة انها تخلو من ذلك تماما . عندما يلمح تائه في غابة ، في ليلة مظلمة ، بصيصا بعيدا من النور فانه لايفكر في الارهاق اوالظلام او الأغصان والاشواك التي تلسع وجهه وهو يسير . . . انني ابذل مجهودا اكثر من أي انسان آخر في هذه المقاطعة ، ولكن القدر يكيل لي ، دائما ، الضربة تلو الضربة ، واحيانا اتحمل من العذاب ما يفوق الوصف ولكنني لا أرى امامي بصيصا من الضوء . لم يعد أمامي أي أمل . انني امقت الناس ولم أعد اهتم بأمر أحد منهم منذ سنوات .

سونيا : لا أحد بالمرة ؟

استروف : مطلقا. انني اشعر بشيء من المودة نحو مربيتكم العجوز بسبب الالفة القديمة فقط . يبدو انه ليس هناك ما يميز اى فلاح عن الآخر ، فكلهم أجلاف ويعيشون في القذارة . كما انني اجد صعوبة في التفاهم مع المثقفين فهم يبعثون السأم في نفسي . اصدقاؤنا الاعزاء عقليتهم تافهةومشاعرهم حقيرة ولا يرون ابعد من أنوفهم . الواقع انهم

جميعا اغبياء . اما الكبار والاذكياء فهم هستيريون لاهمّ لهـــم سوى التحليل النفسي والاستبطـــان والكآبة . انهم يتذمرون دائما ويمقت بعضهـــم بعضا ويتبادلون ابشع الاتّهامات ، وعندمايسيرون بجانب أحد من الناس ينظرون اليه شزرا ويقولون لانفسهم « لابد ان هناك فكرة تورقه او » انهـــ متبجح مغرور ! » وعندما لايجدون ما يتهمونه به يقولون « انه شاذ غريب الاطوار ! » . ان تعلقي بالغابات في رأيهم لايخلو من الشذوذ . وامتناعي عن أكل اللحم شذوذ أيضا . ان موقفهم مـــن الطبيعة والناس يخلو تماما من التلقائية والنزاهة والموضوعية . (يهم بالشرب) .

ســـونيا : (تمنعه) لا ، ارجوك — اتوسل اليك ! كفاك شرابا !

استروف : وما المانع ؟

ســـونيا : لست من ذلك النوع من الناس . انت رجـــل مهذب بطبعك . صوتك رقيق لطيف ، و . . واشياء اخرى كثيرة . انت تختلف عن كل الذين اعرفهم . انت . . . . أفضلهم جميعا !

لم تريد ان تكون مثل عامة الناس الذين يسكرون ويلعبون الورق ؟ ارجوك الاتشرب . أتوسل اليك ! انك تقول دائما ان الناس لايخلقون شيئا ولكنهم يبددون النعم التى وهبها الله لهم . اذن لماذا تريد ان تقضى على نفسك ؟ لاينبغى ان تشرب . لا ، ارجوك . اتوسل اليك !

استروف : (مادّا يده لها) لن اشرب بعد الآن .

سونيا : عدنى بشرفك

استروف : اعدك بشرفي .

سونيا : (تضغط على يده بحرارة) اشكرك .

استروف : كفى ! لقد افقت . أترين ؟ ثبت الى رشدى وسأبقى كذلك الى النهاية . (يلقى نظرة على ساعته) دعينى اكمل حديثى . انى اعتقد ان ايامى قد ولّت . . . . انتهيت . . ذهبت ايام الشباب . لقد ارهقت نفسى بالعمل وصرت رجلا سوقيا خشنا . شعورى قد تبلد ولااظن انى استطيع الارتباط باحد بعد الآن . انى لا أحب احدا ولا اعتقد انى سأقع في الغرام ابدا. الشيء الوحيد الذى لايزال يستهوينى هو الجمال

هو الشيء الوحيد الذى اقف امامه عاجزا . انى
واثق ان هيلين ، تستطيع ، ان شاءت ان تدير
رأسى في يوم واحد . ولكنى لاأسمى هـــذا
عاطفة او حبا .

(يرتعش مغطيا عينيه بيديه)

سـونيا : ما الخبر ؟

استروف : أوه . لاشيء . . . لقد توفي احد مرضاى في
موسم الصوم الكبير بتأثير المخدر .

سـونيا : لقد حان الوقت لتنتزع من رأسك هذه الافكار
(تصمت) قل لى . . . لو . . . . لو كان لى
صديقة او اخت اصغر واكتشفت انها قد وقعت
في حبك — ماذا يكون موقفك ؟

استروف : (يهز كتفيه دون مبالاة) لا ادرى . ربمـــا
افهمتها انى لااستطيع ان ابادلها الشعور —
(يتلعثم) وان هناك اشياء اخرى تشغلنى .
حسنا ، ان كان لابد من ذهابي فلأذهب توا.
وداعا ، ياصغيرتى العزيزة ، والا فلن تنتهى
حتى الصباح . (يضغط على يدها) سأخرج
من غرفة الاستقبال ان سمحت لى . اخشى ان

يعيقني الخال فانيا (يخرج) .

سـونيا : (منفردة) لم يقل لى شيئا . عقله وقلبه لايزالان لغزا مغلقا امامى ، ولكن ما سبب هذه السعادة الطاغية التى تغمرنى ؟ (تضحك جذلة) لقـد قلت انه نبيل ورائع وان له صوتا رقيقا .... الم يكن من اللائق ان اقول له ذلك ان صوته يختلج . لكم يدغدغ عواطفى . لاازال اشعربه يتردد في اذنى ، ولكنه لم يفهمنى عندما حدثته عن اخت اصغر (تفرك يديها) اوه ، ما اشنع ان تكون الفتاة غير جميلة ! ما أشنع ذلك ! انى اعرف انى فتاة عادية . اعرف ذلك تماما سمعتهم يتحدثون عنى يوم الاحد الماضى وهم خارجون من الكنيسة . قالت احدى السيدات «انها فتاة طيبة كريمة الطبع ولكنها ، واحسرتاه محرومة من الجمال » محرومة من الجمال ...

(تدخـل يلينـا)

يلينـا : (تفتح النافذة) لقد هدأت العاصفة . ياله مـن هواء منعش ! (تصمت) اين الطبيب ؟

سـونيا : لقد ذهب . (صمت)

يلينـــا : صوفيـــا !

ســـونيا : نعـــم ؟

يلينـــا : الى متى هـــذا الجفاء بيننا ؟ لم تسيء احـــدانا الى الاخرى . لم هذا العـــداء ؟
الم يحن الوقت لنضع حدا لما بيننا من خصام ؟

ســـونيا : اوه . هذا ما كنت أتمناه ! (تحتضنها) لاتدعينا نتخاصم ثانية .

يلينـــا : اتمنى ذلك من كل قلبي . (تبدو عليهما علامات الانفعـــال)

ســـونيا : هل ذهب ابى الى الفراش ؟

يلينـــا : كلا ، انه الآن في غرفة الجلوس . لم نتحـــدث سويا منذ اسابيع عديدة لسبب لا يعلمه غير الله . . . . (تلمح البوفيه مفتوحا) ما هذا ؟

ســـونيا : قدمت للطبيب بعض الطعام .

يلينـــا : ارى شيئا من الشراب ايضا . هيا نشرب نخب صداقتنا .

ســـونيا : اجل . لنشرب .

يلينـــا : سنشرب من نفس الكأس (تملأ الكأس) هـــذا

افضل ، حسنا ، نحن الآن صديقتان .

سـونيا : نعم . (تشربان وتقبل احداهما الأخرى) كنت ارغب في وضع حد لهذا الخصام من مدة طويلة، ولكن الخجل كان يمنعني . (تنفجر باكية)

يلينـا : ما الذى يدعوك للبكاء ؟

سـونيا : اوه ، لا شيء . لا استطيع ان اتمالك نفسي .

يلينـا : كفى . كفى . (تبكى هى الأخـرى) . آه ، يا عزيزتى . يالحماقتى ! هأنذا ابكى انا الأخرى. (تصمت) انت تحقدين علىّ لانك ظننت انني تزوجت اباك بدافع الانانية . ولكن صدقيني ، لقد تزوجته لا نني احببته واقسم لك على ذلك . بهرني بريق شهرته فوقعت في حبه . كان حبا زائفا ، مصطنعا ، كاذبا ، ولكنه بدا لى حبا صادقا في ذلك الوقت . انني بريئة ، ولكنك تلاحقيني بنظراتك المتفحصة المرتابة منذان تزوجته

سـونيا : لقد تصالحنا الآن . لننس كل شيء .

يلينـا : يجب الاتبلغ بك الظنون بالناس الى هذا الحد . هذا لايليق بك . يجب ان تثق بك . يجب ان بالناس ، وإلا استحالت الحياة . (صمت)

سـونيا : كونى صادقة معى ، هل انت سعيدة ؟

يلينـا : لا. لست كذلك .

سـونيا : كنت أعرف ذلك . لى سؤال آخر . اخبرينى بصراحة ، الا تتمنين لو كان زوجك شابا ؟

يلينـا : يالك من طفلة ! طبعا اتمنى ذلك (تضحك) حسنا . اسألى سؤالا آخر . هيا .

سـونيا : هل يعجبك الطبيب ؟

يلينـا : نعم كثيرا .

سـونيا : (تضحك) لابد ان التعبير الذى يرتسم على وجهى مضحك حقا ، اليس كذلك . أترين ؟ لقد خرج ، ولكننى لاازال اسمع صوته ووقع قدميهويكفى ان انظر الى تلك النافذة المفتوحة حتى ارى وجهه في الظلام . . . اسمحى لى ان — اطلعك على المزيد . ولكننى سأتكلم بصوت خافت لاننى اشعر بالخجل . لنذهب الى حجرتى ونتحدث هناك . هل تظنيننى حمقاء ؟ كونى صريحة معى . حدثينى بالمزيد عنه .

يلينـــا : ماذا تريدينني ان اقول لك ؟

ســـونيا : حسنا . انه انسان ذكي — يعرف كل شيء — ويستطيع ان يفعل كل شيء . . . وانه ليــس طبيبا فقط بل يزرع الغابات ايضا .

يلينـــا : ليست المسألة مسألة طب او غابات . الاتفهمين يا عزيزتي ؟ ان عبقريته هي بيت القصيد . هل تدركين معنى ذلك ؟ انه يتمتع بالشجاعة — والاستقلال الفكري والجرأة والمبادرة . . انه يغرس شجرة اليوم ويفكر فيما سيؤدي اليه عمله بعد الف سنة . . انه يحلم بسعادة الانسانية . . . من كان مثله نادر بين الناس ولذا يجب ان نحبهم صحيح انه يفرط في الشراب ويميل الى الخشونة احيانا ولكن ما اهمية ذلك ؟ ان الانســـان الموهوب لايمكن ان يكون قديسا في بلد مثــل روسيا . تخيلي نوع الحياة التي يعيشها . طرق موحلة صعبة المسالك . غابات . عواصف . مسافات شاسعة . فلاحون اجلاف غلاظ فقر في كل مكان . امراض . . . . . فهــل تتوقعين ان رجلا فيالاربعين من عمره يستطيع ان يحافظ على استقامته وهو يعمل ويكافح يوما

بعد يوم في جو كهذا ؟ (تقبلها) انني اتمنى لك كل السعادة يا عزيزتي فانت تستحقينها . (تنهض) اما انا فقد اصبحت شخصية مملـة تافهة . . . لطالما كنت كذلك في موسيقاى ، وفي منزل زوجي ، وفي كل علاقاتي الغرامية مجرد شخصية سطحية تفتقر الى العمق . فكري في ذلك جيدا يا سونيا . انني اعني كل ماأقول انا في غاية التعاسة . (تسير جيئة وذهابا عـلى على المسرح بانفعال) لاسعادة لى في هذا — العالم ابدا ! ما الذى يضحكك

سـونيا : (تضحك وهى توارى وجهها) يا لسـعادتى ! يا لسعادتى !

يلينـا : اريد ان اسمع بعض الموسيقى وسأعزفها بنفسى.

سـونيا : ارجوك ان تفعلى ! (تحتضنها) انني لا أشـعر برغبة في النوم . ارجوك ان «تعزفي»

يلينـا : سأعزف بعد دقائق .لم ينم والدك بعد والموسـيقى تثير اعصابه وهو مريض . اذهبي واستأذني منه فان وافق عزفت لك . هيا .

سـونيا : حسنا . (تخرج)

(يسمع طرق الحارس في الخارج)

يلينـــا : لم اعزف منذ زمن طويل . سأعزف وأبكى. . . أبكى كبلهاء . (تنادى من الشباك) اهذا انـــت يا فيم ؟

صوت الحارس : نعم يا سيدتى .

يلينـــا : كف عن الطرق ، فسيدك مريض .

صوت الحارس : حسنا يا سيدتى . سأمضى . (يصفر) تعال ايها الكلب العزيز — هنا يا ولد ! يا لك من كلـــب طيب !

ســـونيا : (راجعة) لقد رفـــض !

يسدل الستار

الفصل الثالث

(غرفـــة الاستقبال في منزل سيربرياكوف . للغرفة ثلاثـــة أبواب . واحد الى اليمين والثاني الى اليسار والثالث في الوسط — الوقت نهار — فانيا وسونيا جالسان — يلينا تذرع الغرفة جيئـــة وذهابا وهي غارقة في تفكير عميق) .

فانيـــا : الاستاذ المبجل قد تكرم بالاعراب عن رغبته في الاجتماع بنا في هذه الغرفة اليوم الساعة الواحدة (ينظر الى ساعته) الساعة الآن الواحدة الا ربعا. لا بد أن لديه تصريحا يهم الإنسانية جمعاء .

يلينـــا : اعتقد انه يجمعنا لأمر يتعلق بالعمل .

فانيـــا : ليس لديه ما يتعلق بالعمل . ان اهتمامه ينحصر في الكتابة في أمور تافهة والتذمر والحسد ولا شيء غير ذلك .

ســـونيا : (بلهجة عاتبة) خال فانيـــا !

فانيـــا : حسنا . حسنا . أرجو المعذرة (مشيرا الى يلينا)

انظرى اليها ! ان الآلهة تحسدها على ما تتمتع بـــه من جمال ! لكنها تسير متمايلة في كســـــل : يا لسحرها ! يا لروعتها !

يلينـــا : انت تجلس هناك تثرثر وتثرثر طول النهـــــار. الا تمل من ذلك؟ (بتعاسة) ان الضجر يـــكاد يقتلني . لست أدرى ما يجب ان أفعل .

ســـونيا : (تهز كتفها) هناك عمل كثير إن كنت جـــادة في ذلك .

يلينـــا : مثل ماذا ؟

ســـونيا : يمكنك ان تساعدى في ادارة العزبة ــ يمكنك ان تقومى بالتدريس او التمريض. امامك الـــشيء الكثير . كنت أنا والخال فانيا نذهب الى السوق لبيع الدقيق قبل ان تحضرى انت وأبي .

يلينـــا : لا أعتقد انني اصلح لذلك . ثم انني لا أجد متعة في شيء كهذا. ان الناس لا يقومون بتعليم الفلاحين وتمريضهم الا في الروايات الجادة فقط . كيف بالله عليك تنتظرين ان اصبح مدرسة او ممرضـــة فجـــأة ؟

سونيا : حسنا ، ولكننى لا أفهم لماذا ترفضين القيام بتعليم الفلاحين ، ولكن مهلا . لن يمضي وقت طويل حتى تقومى بهذا العمل راضية (تطوقها بذراعيها) ليس هناك ما يدعو الى الملل يا عزيزتى (ضاحكة) انت تقاسين الملل لا نك لا تعرفين كيف تقضين الوقت هنا ، والملل والخمول معديان . اليك الخال فانيا مثلا . انه لا يقوم بأى عمل سوى ان يتبعك كظلك . اما انا فقد تركت عملى وجئت للتحدث معك. آه ، يا عزيزتى ، لقد اصبحت فتاة خاملة وأسوأ ما في الامر انني أقف عاجزة أمام ذلك . لم يكن الدكتور استروف يزورنا الا نادرا ، مرة في الشهر على الاكثر . كنت أجد صعوبة في اغرائه بالحضور ، اما الآن فهو يزورنا يوميا ضاربا بمرضاه وغاباته عرض الحائط . لاشك انك ساحرة !

فانيا : لماذا تقضين على نفسك بالتعاسة واليأس ؟ (بلهفة) هيا ايتها الحبيبة الغالية كفاك عنادا ! ان دماء جنيات البحر تجرى في عروقك — حسنا — كونى واحدة منهن . اتركى نفسك على سجيتها مرة واحدة فقط . اسمحى لنفسك بالوقوع في غرام

واحد من جن الماء واختفى معه في لجج المحيط واتركينا مع الاستاذ المبجل نفغر افواهنا من الدهشة .

يلينا : (غاضبة) دعني وشأني . كيف تجرؤ على أن تخاطبني بهذه الوقاحة ؟ (تهم بالخروج) .

فانيا : (معترضا طريقها) كفى . يا حلوتي . أرجو المغفرة . انى أعتذر . (يقبل يدها) تصالحنا .

يلينا : لابد أن تعترف بانك كفيل بان تثير أعصاب قديس .

فانيا : سأحضر لك باقة من الورد عربونا للوفاق والوئام بيننا. جمعتها من أجلك هذا الصباح . انها ورود الخريف بروعتها وأساها . . . (يخرج)

سونيا : ورود الخريف بروعتها وأساها . . . .
(ينظران من النافذة في وقت واحد)

يلينا : ها نحن في سبتمبر . لاأدرى كيف نقضى الشتاء هنا . (تصمت) أين الطبيب ؟

سونيا : في حجرة الخال فانيا . يبدو انه مشغول بالكتابة . انى مسرورة لخروج خالى . اريد ان اتحدث اليك.

يلينـــا : عم ؟

ســـونيا : ألا تعرفين ؟ (تسند رأسها الى صدر يلينا)

يلينـــا : كفى . . . كفى (تربت على رأسها) كفى !

ســـونيا : انى لست جميلة .

يلينـــا : ولكن لك شعرا جميلا .

ســـونيا : كلا . (تدير رأسها لترى نفسها في المرآة) كلا . عندما تكون الفتاة دميمة فانهم يقولون لها « ان لك عينين فاتنتين » ، « ان شعرك بديع » . لقد احببته ست سنوات . احبه أكثر من أمى . اسمع صوته واشعر بلمسة يده في كل لحظة . اكاد لا أرفع نظرى عن الباب ترقبا لدخوله . و . . . . حسنا . . . لاشك انك لاحظت انى آتى اليك جريا لاتحدث اليك عنه . انه الآن يحضر الى هنا يوميا ولكنه لايرانى ولا يشعر بوجودى . أوه . لم أعد استطيع الاحتمال ! لقد يئست . يئست . (بيأس) أوه ! يا الهى امنحنى القوة . . لقد سهرت الليل بطوله أصلى . كثيرا ما اذهب اليه وابدأ بالحديث معه واطيل النظر في عينيه . لقد تحطمت كبريائى وفقـــدت سيطرتى عـــلى عواطفى . . . اعترفت

للخال فانيا يحبي له بالامس. لم استطع الكتمان . حتى الخدم يعرفون أنني أحبه . لم يعد ذلك خافيا على أحد .

يلينـــا : هل يعرف هو ذلك ؟

سونيـــا : كلا . انه لايشعر بوجودي .

يلينـــا : (تفكر مليا) انه رجل غريب . .. انظري — دعيني اكاشفه بحبك ؟ سأفعل ذلك بكل حذر . سأكتفي بالتلميح . (تصمت) ولكن أخبريني : الى متى تنتظرين وانت على هذه الحال من الشك؟ ارجوك ، دعيني اتحدث اليــه . (سونيا تهــز رأسها موافقة) اتفقنا اذن . لن يكون من العسير ان اكتشف شعوره نحوك . لا داعي للقلق ياعزيزتي هدئي نفسك . سأحاول معرفة دخيلة نفسه بكل حذر وبدون ان يلحظ ذلك . كل ما يهمنا معرفته هو ان كان يبادلك الحب أم لا . (تصمت) وعلى فرض انه لايحبك اذن يجب ان يمتنع عن الحضور الى هنا . هل توافقينني على ذلك ؟ (سونيا تهــز رأسها موافقة) وفي هذه الحالة يستحسن الاتريه . لا فائدة من التسويف . سأحسم الأمر حالا . لقـد

وعد بأن يريني بعض الخرائط .اذهبي واخبريه بانني في انتظاره .

سـونيا : (منفعلة بشكل عنيف) أتعدين بأن تخبريني بكل شيء ؟

يلينـا : نعم .بدون شك . فأنا اعتقـد ان الحقيقة رغم مرارتها أفضل بكثير من حالة التردد التي تعيشين فيها . يمكنك ان تعتمدى عليّ يا عزيزتي .

سـونيا : نعم . . . نعم . سأخبره بانك ترغبين في رؤية خرائطه . (تخـرج ولكنها تتوقف فجأة عند الباب) كلا . ان الشك أفضل بكثير ، ففيه على الاقل، شيء من الأمل .

يلينـا : ماذا تقولين ؟

سـونيا : لاشيء . (تخرج) .

يلينـا : (منفردة) اشد ما يحز في النفس هو ان تكون على علم بسر غيرك مع شعورك بالعجز عـن مساعدته . (تستغرق في التفكير) انه لايشعر بأية عاطفة نحوها .هذا واضح . ولكن لم لايتزوجها؟ لاشك انها ستكون ـ رغم بساطة مظهرها ـ زوجة

رائعة لطبيب في مثل سنه يعمل في الأرياف . انها فتاة ذكية ورقيقة وبريئة . . لا ، لا ، ليس هذا هو بيت القصيد . (تصمت) انى افهم هـــذه الطفلة المسكينة . انها تعيش في جو من الوحشة القاتلة بين اشباح متحركة قائمة بدلا من رجال ونساء ، وتستمع الى احاديث مبتذلة لأناس لا هم لهم سوى الطعام والشراب والنوم ، ولكنها فجأة ترى امامها رجلا يختلف عنهم جميعا . فهو وسيم ظريف ، جذاب . ان حالها كمن يرى القمر يبزغ في الظلام . ما اجمل الاستسلام ونسيان النفس في احضان انسان مثله . اعتقد انى قد وقعت في حبه أيضا . نعم انى اشعر بالسأم في غيابه واجد نفسى ابتسم عندما يخطر ببالى . يقول الخال فانيا ان دماء جنيـــات البحر تجـــرى في عــروقي . »
« اتــركى نفسك عــلى سجيتهــا مــرة واحدة فقط . . . » حسنا ، ولم لا ؟ ربمـــا يكون هذا هو ما يجب أن أفعله . آه لو أطير كالعصفور مبتعدة عنكم جميعا وعن وجوهكم الناعسة وأحاديثكم التافهة . آه لو انسى ــ وجودكم كله ! ولكن أين الجرأة . . ضميرى

لايدع لى مجالا للراحة . . . انه يأتى هنا يوميا وانا أعرف لماذا . انى اشعر بالإثم . انا على استعداد ان اجثو على ركبتى امام سونيا طالبة الصفح .

استروف : (يدخل حاملا خريطة للمنطقة) كيف حالك (يصافحها) بلغنى انك ترغبين في رؤية رسومى. أهذا صحيح ؟

يلينـــا : لقد وعدتنى بان ترينى شيئا من اعمالك . هل لديك متسع من الوقت لذلك الآن ؟

استروف : نعم ، بكل تأكيد (ينشر الخريطة على المنضدة ويثبتها بالدبابيس) أين ولدت ؟

يلينـــا : (تساعده) في بطرسبرج .

استروف : وأين درست ؟

يلينـــا : في معهد الموسيقى .

استروف : لاأحسب ان حياة الريف تعجبك .

يلينـــا : ولم لا ؟ الواقع انى لا أعرف شيئا عن حياة ـ الريف والكنى قرأت عنها الكثير .

استروف : لدىّ منضدة خاصة في هذا البيت أضعها في غرفة

فانيا . عندما أشعر بالانهاك التام وأوشك ان أغيب عن وعي أتخلى عن كل شيء واسرع الى هنا للترويح عن نفسى بهذه الخرائط ساعة او اثنتين وبينما تجلس سونيا وفانيا يتشاغلان بآلة العد ، اجلس بجانبهما إلى منضدتى وأبدأ بمزج الألوان . عندها أشعر بالدفء والراحة يسريان في أوصالى وانا استمع الى صرير الجدجد. ولكننى لااسمح لنفسى بالاستغراق في هذه المتعة كثيرا مرة واحدة في الشهر على الاكثر . (مشيرا الى الخريطة) هيا انظرى . هذه صورة للمنطقة كما كانت منذ خمسين عاما — اللون الاخضر — الفاتح والاخضر الداكن يمثلان الغابات . كانت نصف المساحة بأكملها مغطاة حينئذ بالغابات وكانت قطعان الماعز والظباء تسرح في هذه المناطق التى تتقاطع فيها الخطوط فوق اللون الاخضر . اما الحياة النباتية والحيوانية فهى موضحة هنا . كانت هذه البحيرة موطنا للبجع والبط والاوز . وكما يحلو للعجائز ان يقولوا « كان هناك حشود لاتحصى من جميع انواع الطيور . . . . آلاف مؤلفة . . .أسراب

تحجب قرص الشمس وهى تحلق هنا وهناك .
وبالاضافة الى القرى الصغيرة والكبيرة كما
تشاهدين هنا ، كانت عشرات المستوطنات
والمزارع الصغيرة وصوامع الرهبان والطواحين
المائية تنتشر هنا وهناك . كانت المنطقة تعج ـ
بالمواشى والخيول وقد اوضحت هذا كله
باللون الازرق . وكما ترين هنا . في هذه المنطقة
الادارية الصغيرة ، مثلا ، والتى تتكون من
بعض المزارع القليلة ، توجد بقعة كثيفة من
اللون الازرق . كانت هنا قطعان كاملة من
الخيول ، وكان بكل بيت من بيوت هذه
المزارع نحو ثلاثة جياد في المتوسط (يصمت)
والآن انظرى الى اسفل الخريطة قليلا . هذا
ما كانت عليه المنطقة منذ خمسة وعشرين عاما.
الجزء المشجر لايتجاوز الثلث. اختفت قطعان الماعز
ولكن لايزال هناك القليل من الظباء . اصبحت
الالوان الزرقاء والخضراء أقل وضوحا .وهكذا
ولكن لنلق نظرة على الجزء الاخير . هذه
خريطة المنطقة كما هى عليه الآن . بعض المناطق

الخضراء لاتزال موجودة ولكنها تغطى مساحات ضئيلة . اما الظباء والبجع وطيور الخلنج فقد اختفت تماما . لم يعد هناك أثر للمستوطنات القديمة او المزارع او الصوامع او طواحين المياه إنها تمثل في الواقع صورة واضحة لزوال تدريجى اعتقد انه سيكون كاملا في العشر او الخمس عشرة سنة القادمة . قد تقولين ان هذا نتيجة حتمية للتقدم الحضارى وان من الطبيعى ان تفسح الحياة القديمة الطريق امام الحياة الجديدة . حسنا . لاأفكر انه لو حلت الطرق المعبدة والسكك الحديدية والمصانع والورش — والمدارس محل هذه الغابات التى توشك على الفناء لأصبح الناس أو فر صحة ، وأفضل حالا وأكثر ذكاء. ولكن لايحدث شيء من هذا هنا ! فالبعوض والمستنقعات لاتزال على حالها.والطرق الى يتعذر اجتيازها لم تتغير . ولا نزال نعانى من الامراض والأوبئة من تيفوس ودفتيريا ومن نفس الفقر ومن نفس الحرائق . اخشى ان تكون هذه الحالة من الانحطاط والتدهور نتيجة الكفاح المرير من أجل البقاء . تدهور

مبعثه اللامبالاة والجهل وانعدام الشعور بالمسؤولية نفس ما يفعله رجل يعانى المرض والجوع والبرد لينقذ البقية الباقية من حياته ويحافظ على حياة أطفالـــه عندما يتعلق بدافع غريزته ، ودون أن يدرى بأى شىء يبعث فيه الدفء وينقذه من الجوع فيدمر كل شىء دون تفكير في المستقبل . لقد تمّ القضاء على كل شىء تقريبا ولم يأت احد ببديل له . (ببرود) وجهك يدل على عدم اهتمامك بهذا الامر .

يلينـــا : لاأفهم من هذه الامور الا النزر اليسير .

استروف : ليس هناك ما يستدعى الفهم . كل ما هناك أن الامر لايثير اهتمامك .

يلينـــا : في الحقيقة ، كنت أفكر في أمر آخر . ارجو المعذرة . لا بد لى من اجراء استجواب بسيط لك ، ولاأدرى كيف ابدأ .

استروف : استجواب !

يلينـــا : نعم ، استجواب . ولكنه . . . استجواب خال من الاذى . هيا نجلس . (يجلسان) انه يتعلق بفتاة ــ سأحدثك كما يتحدث الشرفاء

والاصدقاءالاوفياء دون لف او دوران .ولكننا يجب انننسى كل شيء عنالموضوع بعدالانتهاء منه . موافق ؟

استروف : موافق .

يلينـــا : اريد ان احدثك عن ابنة زوجى . . .سونيا . هل تعجبك ؟

استروف : نعم ، وأكن لها كل تقدير .

يلينـــا : ولكن هل تعجبك كامرأة ؟

استروف : (بعد صمت قصير) كلا .

يلينـــا : لم يبقلى سوى بضع كلمات وسأنتهى مـــــن الحديث . ألم تلحظ شيئا ؟

استروف : كلا .

يلينـــا : (تمسك يده) انت لا تحبها .استطيع ان أرىذلك في عينيك. انها فيغاية التعاسة . أرجوك انتفهم ذلك وان . . . . . تنقطع عن الحضور الى هنا .

استروف : (ينهض) اخشى ان سنى لم تعدتسمح لى بشيء كهذا . وعلى اية حال فليسلدى وقت لذلك .

(يهز كتفيه) متى يمكننى . . . . ؟ (يبدو عليه الارتباك)

يلينـــا : أوه . . . ياله من حديث بغيض! جسمى كلـــه يرتعش كأنما أحمل قنطارا من الحديد . حسنا ، شكرا لله ! لقد انتهى كل شيء الآن . لننس كل شيء عن الموضوع كأننا لم نطرقه . ارجوك ان ترحل . انت رجل عاقل . ينبغى ان تفهـــــم (تصمت) يالله ! انى اتصبب عرقا !

استروف : لو أنك اخبرتنى بذلك منذ شهرين او ثلاثـــــة لفكرت في الامر . . . اما الآن. . . (يهز كتفيه) ولكنها ان كانت تعسة . اذن لا بد . . . ولكن بالرغم من ذلك فان هناك شيئا يحيرنى. ماذادعاك الى اجراء هذا الاستجواب ؟ (ينظر في عينيها ويشير اليها باصبعه محذرا) يالك من ماكرة !

يلينـــا : ماذا تقصد ؟

استروف : (ضاحكا) أيتها الماكرة! لنفرض أن سونياتتعذب وهذا شيء لا يمكننى انكاره ، ولكن ماذاكنت تريدين بهذاالاستجواب ؟ (يمنعها عن الكلام ، متلهفا) أرجوك، لا تتظاهرى بالدهشة ، فأنت

تعلمين تماماًلماذا أحضر إلى هنا يوميا ومن الذى أحضر لرؤيته. أنت تعلمين ذلك جيدا . يـــالك من وحش كاسر بديع ! لاتنظرى إلىّ هـــكذا ان لى من التجارب ما لا يجعلنى أقع فريسة سهلة لمثل هذه الألاعيب .

يلينـــا : (مرتبكة) وحش كاسر ! لا أدرى ماالذى تتحدث عنه .

استروف : عن وحش بديع كاسر مكسو بالفراء. لا بد لك من فرائس. هأنذا قد تخليت عن كل شيء ولم أقم بأى عمل منذ شهر كامل. اننى أشتهيك بكل جوانحى وانت تشعرين بالنشوة لذلك ، كـــل النشوة ! اننى أعترف بالهزيمة. لقد كنت تشعرين بذلك حتى قبل بداية استجوابك لى . (يضم ذراعيه ويحنى رأسه) اننى أستسلم ! هيا التهمينى !

يلينـــا : هل جننت ؟ !

استروف : (يضحك ساخرا) أنت خائفة . .

يلينـــا : أوه ، اننى أفضل وأكثر وفاء مما تظن ، تأكد من ذلك ! (تحاول الخروج).

استروف : (معترضا سبيلها) سأرحل اليوم ولن تريني هنا ثانية ، ولكن . . . (يمسك بيدها ويلتفت حوله) اخبريني . أين يمكن ان نلتقي ؟ اين ؟ اخبريني بسرعة . قد يداهمنا احد الآن . هيا اسرعي (بعاطفة مشبوبة) آه . يالك من امرأة جميلة ! فاتنة ! . . . قبلة واحدة . . . . دعيني اقبل شعرك العطر . . . . .

يلينا : اؤكد لك . . . .

استروف : (يمنعها من الكلام) ولم التأكيد ؟ لا حاجة لذلك. لا حاجة للكلمات الجوفاء . . آه ياللجمال الفاتن ! ما أبدع هاتين اليدين ! (مقبلا يديها) .

يلينا : كفى ! دعني — اتوسل اليك ! (تخلص يديها) يبدو انك نسيت نفسك .

استروف : ولكن أخبريني ، اخبريني . اين نلتقي غدا ؟ (يطوق خصرها بذراعه) لا مفر لنا من ذلك يا حبيبتي . يجب ان نلتقي . (يقبلها — يدخل فانيا في نفس اللحظة حاملا باقة من الورود ويقف مسمرا عند الباب)

يلينا : (دون ان ترى فانيا) رحمة بي ! دعني ! . . . .

(تسند رأسها على صدر استروف) كــلا !
(تحاول الخروج)

استروف : (يشدها من خصرها لمنعها من الخروج).سنلتقى في المزرعة غدا في الساعة الثانية . . . نعم ؟ نعم؟ ستحضرين يا حبيبتى . اليس كذلك ؟

يلينـــا : (تلمح فانيا)اليك عنى ! (تتقدم نحو النافــذة باضطراب) شيء مريع !

فانيــا : (يضع باقة الورد على الكرسى . يجفف وجهـــه ورقبته بالمنديل بانفعال)يبدو ان الامور تســير على ما يرام ! نعم ، على خير ما يرام! . . . . .

استروف : (مواجها الموقف بصفاقة)لا شك ان الطقــس بديع اليوم يا سيدى العزيز . كانت السماء غائمة قليلا في الصباح وكان الطقس ينذر بالمطر ولكن الجو بديع ومشمس الآن . . .من الانصاف أن نعترف بان الخريف لم يكن قاسيا هذا العام . .. والقمح الشتوى ليس رديئـا بالمرة (يطــوى الخريطة) ومع ذلك فالايام تزداد قصرا . . .
(يخرج)

يلينـــا : (تتجه نحو فانيا مسرعة) تدبّر ! لا بد أن تبذل

كل جهدك لكى أغادر انا وزوجى هذا المكان اليوم ! هل تسمعنى ؟ اليوم !

فانيــــا : (يمسح وجهه) ماذا ؟ نعم ، طبعا . . . لقــد رأيت كل شيء يا هيلين ... كل شيء !

يلينــــا : (متوترة) فاهم ؟ يجب ان اغادر هذا المكان ـ اليوم !

(يدخل سيربرياكوف وسونيا وتلجين ومارينا)

تلجين : اخشى يا سيدى، انى ، انا نفسى ، على غــير ما يرام ، فقد مضى علىّ يومان وانا منحرف المزاج . ان رأسي يكاد . . . .

سيربرياكوف : اين الباقون ؟ انني امقت هذا البيت ! انه يشبه المتاهة . ست وعشرون حجرة ضخمة. كل من فيه مبعثرون في جميع ارجائه حتى ليستحيل عليك ان تجد من تريد . (يقرع الجرس) اطلب من حماتى وزوجتى الحضور هنا .

يلينــــا : انا هنــــا .

سيربرياكوف : ارجوكم ان تجلسوا جميعا .

سونيا : (تتجه نحو يلينا وتسألها بقلق) حسنا .ماذا قال لك ؟

يلينا : سأخبرك فيما بعد .

سونيا : انك ترتعدين؟ انت مضطربة (تلقى عليها نظرة فاحصة) فهمت . . . قال انه لن يأتى الى هنا ثانية ،أليس كذلك؟ اخبريني . اليس الامر كذلك؟ (يلينا تومئ برأسها علامة الايجاب)

سير برياكوف : (مخاطبا تلجين) أنا لا أبالى كثيرا بالمسرحية، فهذا أمر لاحيلة لنا فيه،اليس كذلك ؟ ولكن ما يضايقنى حقا هو طريقة حياة أهل الريف . أحس كأننى هبطت من الارض على سطح كوكب غريب . اجلسوا جميعا من فضلكم . سونيا ! (سونيا لاتسمعه – تقف محنية الرأس حزنا) سونيا! (يصمت) يبدو انها لاتسمعنى .(مخاطبا مارينا) وانت ايضا ايتها المربية ،اجلسى (تجلس المربية وهى تحيك جوربا) والآن ، اذا سمحتم ، اعيرونى آذانكم . اسمعوا وعوا . (يضحك)

فانيا : (منفعلا) اظنك لاترغب في وجودى بينكم.هل تمانع في خروجى ؟

سيربرياكوف : نعم، انني احتاجك هنا أكثر من أى شخص آخر.

فانيـــا : ماذا تريد مني يا سيدى ؟

سيربرياكوف : يا سيدى ؟ لماذا كل هذا الغضب؟ (يصمت) ان كنت قد اسأت اليك بشيء من تصرفاتي فانني اعرب لك عن أسفي العميق .

فانيـــا : دعك من هذه اللهجة ! لنتباحث فيما جئنا مـن أجله . . . . ماذا تريد ؟

(تدخل ماريا فوينتسكى)

سيربرياكوف : ها قد وصلت حماتى اخيرا. استطيع الآن ان أبدأ (يصمت) لقد دعوتكم هنا سيداتى سادتى ، لاعلن لكم ان مفتش الحكومة سيقوم بزيارتنا قريبا . ومهما يكن ، فان الوقت لايسمح بالهزل لأن الامر خطير. لقد دعوتكم طلبا لمعونتكم ونصحكم. ولثقتى الاكيدة في عطفكم وطيبتكم فانني عـــلى يقين انــكم ستمنحونني عونــكم ونصحكم . انني من رجال العلم وقد قضيـــت حياتى كلها بين الكتب وليس لى أى دراية بالامور العملية ولا يمكنني الاستغناء عن مساعدة ذوى الخبرة الفعلية بالعمل مثلك يا ايفان ، وانت ياسيد

تلجين وانت يا حماتى. (متلعثما) انتم تفهمون قصدى . ان ما أرمى اليه هوان اقول ان اعمارنا جميعا بيد الله . . . انى رجل مريض طاعن في السن ، ولذا فانى اعتقد انالوقت قد حـــان لتصفية شؤونىالدنوية وبالاخص تلك التى تهم افراد عائلتى . لقد انتهت حياتى. انا لا أفكر في نفسى ، ولكن لى زوجة شابة وابنة عازبـــة (يصمت)واخشى الا استطيع ان اقضى بقية حياتى في الريف . اننا لم نخلق لمثل هذه الحياة. هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فان المعيشة في المدينة اعتمادا علىدخلنا منالمزرعة امر مستحيل. لنفرض مثلا انابعنا الغابات. . .هذا اجراءطارئ لايمكن تكراره سنويا.ولذا فان هذايفرض علينا ان نبحث عن وسيلة اخرى تؤمن لنا الحصول على دخل ثابت .لقد خطر ببالى مشروع يسرنى ان اعرضه عليكم للمداولة . سأعطيكم فكرة عامة عنهدون الخوض في التفاصيل.ان متوسط عائدات العزبةلا يتجاوز الاثنين في المائةمن قيمتها . انى اقترح ان نبيعها ،وان نستثمر المبلغ فيسندات مالية ممتازة مما يعطينا ربحايتراوح بين الاربعة والخمسة في المائة

ومن المحتمل ان يبقى فائض يقدر ببضعة آلاف من الروبلات تمكننا من شراء بيت ريفى صغير في فنلندا .

فانيـــا : لحظة واحدة من فضلك .ارجو ان تعيد ما قلته. اخشى ان تكون أذناى قد خدعتانى .

سيربرياكوف : ان نستثمر المال في سندات مالية ممتازة ونستغل الفائض في شراء بيت ريفى صغير في فنلندا .

فانيـــا : دع فنلندا جانبا . لقد ذكرت شيئا آخر .

سيربرياكوف : إننى أقترح أن نبيع العزبة .

فانيـــا : نعم هذا هو بيت القصيد .أنت تريد أن تبيـــع العزبة . هذا رائع ! فكرة ممتازة ! وماذا تقترح ان تصنع بى وبوالدتى العجوز وبسونيا ؟

سيربرياكوف : سنبحث كل هذه الامور في حينها . اظنك لا تتوقع ان اتدبر كل الامور في آن واحد ؟

فانيـــا : لحظة واحدة ! يبدو انى لم اتمكن حتى الآن من الحكم على الاشياء بشكل صائب . لقد بلغت بى الحماقة انى لازلت اعتقدحتى الآن انالمزرعة ملك لسونيا .لقد اشترى والدى هذه المزرعة

لتكون مهرا لاختى . كنت من السذاجة بحيث كنت اظن ان القوانين الروسية تقضى بأن تنتقل المزرعة من اختى الى ابنتها سونيا.

سيربرياكوف : نعم ، المزرعة ملك لسونيا .لاخلاف في ذلك . ولا يمكن ان احلم ببيعها دون موافقتها ،ولولا ان الامر يتعلق بمصلحتها لما اقترحت هذه الفكرة.

فانيـــا : انه لأمر يفوق التصور ! فإما انا اكون قد جننت أو . . . .

ماريـــا : لاتعارض الكسندر ياجان . ثق انه يفهم مصلحتنا اكثر منى ومنك .

فانيـــا : انت واهمة ! اعطونى جرعة من الماء .(يشرب الماء) هيا ، قل ما شئت ! قل ما شئت !

سيربرياكوف : لست أدرى ما الذى يدعوك الى الغضب . انى لا أدعى ان فكرتى فكرة مثالية . اذا كنتم جميعا ترون انها غير صائبة فلن اصر عليها .
(صمت)

تلجين : (يبدو محرجا) لقد كنت دائما ممن يحترمون العلم يا سيدى ، واستطيع القول بأن شعورى هذا امر له علاقة باسرتى ، فكما ترى يا سيدى ، أن

شقيق زوجة أخي ، كونستانتين لاسيد امونوف
واظنك على علم بذلك ، يحمل درجة الماجستير

فانيـــا : انتظر لحظة ، يا وافلز ، اننا نبحث في شئون العمل ، انتظر قليلا . . . فيما بعد . . . — (مخاطبا سيربرياكوف) اسأله . لقد اشترينا العزبة من عمه .

سيربرياكوف : لماذا يجب ان اسأله ؟

فانيـــا : لقد اشترينا العزبة وفقا للاسعار السائدة في ذلك الوقت بخمسة وتسعين الف روبل ، دفع والدى منها سبعين الفا وبقيت العزبة مرهونة على الخمسة والعشرين الف روبل الباقية ، والآن استمع الى جيدا . . . كان من المستحيل ان يتم شراء هذه العزبة لو لم اتنازل عن حقى في الميراث لاختى التى كنت اعزها . زد على ذلك انني اشتغلت كالثور عشر سنوات حتى سددت ما عليها من رهن .

سيربرياكوف : انني آسف جدا للتعرض لهذا الموضوع

فانيـــا : والعزبة الآن خالية من الديون وفي احسن —

الاوضاع ، ويرجع الفضل في ذلك لمجهوداتى الشخصية . والآن عندما أتقدم في السن أطرد منها شرد طردة !

سيربرياكوف : لست افهم قصدك .

فانيـــا : ادرت لك هذه العزبة خمسا وعشرين سنة . كنت اشتغل وأرسل لك المال كأى وكيل اعمال امين ولم يخطر لك ولو مرة واحدة ،خلال ذلك الوقت ، ان تشكرنى سواء في شبابى أم الآن . كنت أتلقى منك خمسمائة روبل كراتب سنوى يا له من مبلغ حقير ! لم يخطر ببالك مـــرة واحدة ان تزيده روبلا واحدا .

سيربرياكوف : وما ادرانى يا صديقى العزيز ؟ انا رجل غير عملى ولا ادرى شيئا عن مثل ذلك . كان يمكنك ان تزيد راتبك قدر ما تشاء .

فانيـــا : اتعنى انه كان يجب علىّ أن اسرق ؟ ألا تحتقروننى جميعا لاننى لم أسرق ؟ ان ذلك لمن الإنصاف ولو فعلته لما كنت على ما انا عليه من الفقر !

ماريـــا : (بلهجة صارمة) جان !

تلجين : فانيا ، كفى ، يا عزيزى . . . بدنى كله يرتعد

. . . لم تفسد العلاقات العائلية ؟ (يقبله) كفى ارجوك .

فانيـــا : لقد دفنت نفسى هنا مع والدتى هذه بين هذه الجدران الاربعة مثل حيوان الخلد (١) خمسا وعشرين سنة . كانت كل افكارنا وعواطفنا — تتركز في شخصك وحدك . كنا نتحدث عنك وعن مؤلفاتك طيلة النهار . كنا فخورين بك وكنا نذكر اسمك بكل تبجيل . كما نبـــد د ليالينا في قراءة كتب ومجلات احمل لها الآن ابشع احتقار !

تلجين : كفى يا فانيا ، كفى ! . . . . لاأطيق ان اسمع اكثر من هذا ؟

—

سيربرياكوف : (غاضبا) ما الذى تريده الآن ؟

فانيـــا : كنا ننظر اليك على انك انسان عبقرى ، وكنا نحفظ مقالاتك عن ظهر قلب . . . . ولكـــن عينى تفتحتا الآن . نعم ، ادركت كل شىء . أنت تكتب عن الفن ولكنك لاتفقه فيه شيئا . كل

---

(١) نوع من القواضم يعيش تحت الارض ، وليس له عينان ولا اذنان .

مؤلفاتك التى كنت مغرما بها لاتساوى فلسا واحدا ! . لقد خدعتنا جميعا .

سيربرياكوف : لماذا لايحاول أحدكم ان يوقفه عن الكلام ؟ انى . . . . انى خارج !

يلينا : اسكت يافانيا . انى أصر على ذلك! اتسمعنى

فانيا : لا ،لن اسكت . (يقف امام سيربرياكوف معترضا طريقه) انتظر ، لم انته بعد ! لقد حطمت حياتى ! لم اذق لحياتى طعما ! لم اذق لها طعما ابدا ! والفضل في ذلك يرجع لك وحدك . بددت وحطمت اجمل ايام عمرى. انت ألد اعدائى .

تلجين : لم أعد احتمل ! لااحتمل ! . . سأخرج . (يخرج بانفعال شديد) .

سيربرياكوف : ما الذى تريده منى ؟ وبأى حق تخاطبنى بمثل هذه اللهجة ؟ أيها النكرة ! ان كانت العزبة لك فخذها . لاأريدها !

يلينا : سأفر من هذا الجحيم حالا . (تصرخ) لم يعد لى طاقة على الاحتمال !

فانيـــا : لقد تحطمت حياتى . اننى انسان موهوب ، ذكى وشجاع ... لو اتيح لى ان احيا حياة طبيعية لكان من الممكن ان اكون شوبنهاور — اوديستوفسكى آخر . اننى أهذى ! اوشك على الجنون ! أماه ، لقد استولى علىّ اليأس يا أماه !

ماريـــا : (بلهجة صارمة) افعل كما يأمرك الكسندر !

ســـونيا : (تجثو امام مارينا وتتعلق بها) دادة حبيبتى ! دادة حبيبتى !

فانيـــا : ماذا تريدينى ان افعل يا أماه . أوه . لاتشغلى بالك . لاتخبرينى . اننى اعرف تماما ما يجب علىّ ان افعله . (مخاطبا سيربرياكوف) لن تنسانى سريعا ! (يخرج من الباب الاوسط . تتبعه ماريا)

سيربرياكوف : لقد تجاوز هذا كل حد ! ابعدوا هذا هـــذه المجنون ! لا أستطيع ان أعيش معه تحت سقف واحد . انه هناك دائما . (يشير الى الباب — الاوسط) على بعد خطوات منى .... دعوه ينتقل الى القرية او إلى الكوخ الملحق بالمزرعة ،

والا انتقلت انا نفسي. اما ان اقيم معه في نفس البيت فهذا مالا اطيقه !

يلينـــا : (مخاطبة زوجها) سنرحل من هذا المكان اليوم ! يجب ان نبدأ بترتيبات الرحيل حالا !

سيربرياكوف : انسان نكرة !

ســـونيا : (جاثية على ركبتها — تستدير نحو والدها وتتكلم بانفعال) . يجب ان تكون متسامحا يا أبى ! أنـــا والخال فانيا في غاية التعاسة ! (تتغلب على انفعالها) لابد للانسان أن يكون متسامحا ! ألا تذكر وانت شاب ، الليالى التى كان الخـــال فانيـــا وجدتى يقضيانهـــا ساهرين وهما يترجمان لك الكتب وينسخان اوراقك ؟ . كانا يفعلان ذلك كل ليلة . كنت انا والخال فانيا نشتغل دون ان نستريـــح دقيقة واحدة . كنا نخشى ان نصرف على أنفسنا روبلا واحـــدا وكنا نرسل لك كـــل شيء . . . كل لقمة اكلناها كانت بعرق جبيننا . ارجـــو المعذرة . يبدو انى لم أحسن التعبير . ولكن يجب ان تفهمنا يا أبى . لابد للانسان ان يكون متسامحا !

يلينـــا : (تخاطب زوجها بانفعال) بحق السماء يا الكسندر،

اذهب وتفاهم معه . . . اتوسل اليك .

سيربرياكوف : حسنا. سأتحدث معه في الامر. انى لا أتهمه بشيء، ولست غاضبا ولكنك لاتستطيعين انكار ان أقلّ ما يوصف به سلوكه هو انه شاذ . حسنا ،سأذهب اليه . (يخرج من الباب الاوسط) .

يلينـــا : كن لطيفا معه . حاول ان تهدئه . (تتبعه)

ســـونيا : (تتعلق بالمربية) دادة حبيبتى ! دادة ، حبيبتى !

مارينـــا : لاتقلقى يا فتاتى . سرعان ما يتعب ذكور الاوز من صياحها . . . تصيح ثم . . . يدركها التعب .

ســـونيا : دادة حبيبتى !

مارينـــا : (تداعب رأسها) انك ترتعشين كريشة في مهب الريح . كفى ، كفى ، يا طفلتى المسكينة .ان رحمة الله واسعة . اشربى كأسا من الشاى مـــع الليمون او التوت ويزول كل شيء . . . لاتحزنى ياطفلتى . . . (تنظر الى الباب الاوسط غاضبة) ما هذا الضجيج الذى يحدثه هذان الرجلان ! لعنة الله عليهما ! (تسمع طلقة خارج المسرح ، يلينا تطلق صرخة مدوية ، سونيا ترتجف) ما هذا بحق الشيطان ؟ !

سير برياكوف : (يدخل وهو يجرى مترنحا ــ امارات الفزع ترتسم على وجهه) امسكوا به. امسكوا به! لقد فقد صوابه
(يلينا وفانيا في صراع عند المدخل) .

يلينـــا : (تحاول أن تنتزع المسدس من يده) أعطنى ايـاه! أعطنى اياه ، انني آمرك بهذا !

فانيـــا : دعينى يا هيلين ! دعينى ! (مخلصا نفسه ــ يجرى داخلا وهو يبحث عن سيربرياكوف) .
أين هو ؟ آه ، هاهو هناك ! (يطلق عليه النار)
أوه (يصمت) لقد اخطأته ! اخطأته ثانيـــة !
(غاضبا) عليه اللعنة ! عليه اللعنة !
(يلقى المسدس على الارض ويغوص في أحـــد المقاعد منهوكا) .
(سير برياكوف يقف مذهولا ــ يلينا تستند الى الجدار وهى توشك على الاغماء)

يلينـــا : ابعدنى عن هذا المكان ! أبعـــدنى عنه ! . . . اقتلنى ! لا استطيع البقاء هنا . . . لا استطيع !

فانيـــا : (يائسا) أوه . ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل ؟

ســـونيا : (برقة) دادة حبيبتى ! دادة حبيبتى !

يسدل الستار

الفصل الرابع

(حجرة فانيا التى يستخدمها غرفة للنوم ومكتبا لادارة شؤون العزبة — منضدة كبيرة عند الشباك وعليها دفاتر حسابات وأوراق مختلفة . في الغرفة مكتب ودولاب وميزان. فيها أيضا منضدة صغيرة لأستروف وعليها ألوان زيتية وأدوات للرسم وبجانبها حقيبة للاوراق . قفص في داخله عصفور خريطة لافريقيا معلقة على الحائط ولكن يبدو أنها ليست موضع اهتمام أحد . أريكة ضخمةمكسوة بقماش اميركى . الى يسار الغرفة باب يؤدى الى الحجرات الداخلية . إلى اليمين ، باب يؤدى الى الردهة . بجانب الباب الى اليمين ممسحة ينظف عليها الفلاحون احذيتهم عند الدخول) .

احدى أمسيات الخريف — يسود المكان هدوء شامل — يجلس تلجين ومارينا متقابلين وهمايلفان الصوف)

تلجين : يستحسن ان تعجلى يا مارينا ، فسيدعوننا لوداعهم

لقد تم استدعاء العربة .

ماريـنـا : (تحاول أن تلف بسرعة اكبر) لم يبق منها الكثير.

تلجين : سيرحلان الى خاركوف ويعيشان هناك .

ماريـنـا : يحسنان صنعا .

تلجين : لقد أصيبا بالذعر . هيلين لاتكف عن القول « لن أقيم هنا ساعة واحدة ، لنرحل . . . . .لنرحل حالا » ! ثم تضيف «سنرسل في طلب حاجياتنا بعد ان نستقر ونتعرف على المكان في خاركوف ». لم يأخذا اشياء كثيرة معهما . يبدو يا مارينا انهما لايرغبان في البقاء هنا . نعم ، لن يبقيا هنا . هذه ارادة الله .

ماريـنـا : هذا خير لهما ــ بعد كل هذا الشجار الذى جرى صباح اليوم واطلاق النار ويعلم الله ماذا ايضا ــ للفضيحة !

تلجين : نعم . ان ما حدث صباح اليوم يصلح موضوعا للوحة يرسمها ايفازوفسكى .

ماريـنـا : لم أر في حياتى مشهدا كهذا . (تصمت) سنعود

الى نفس الحية التى ألفناها من قبل . الشاى في الساعة الثامنة ، الغداء في الساعة الواحـــدة وفي المساء نجلس حول مائدة العشاء. كل شيء في موعده كغيرنا من الناس ــ مثل أخيار المسيحيين (تتنهد) مضى وقت طويل لم أذق فيه للمكرونة طعما .

تلجين : نعم، لم نتناول المكرونة في الغداء منذ وقت طويل. (يصمت) وقت طويل ! كنت أسير في القرية صباحا ، يا مارينا ، عندما سمعت البقال يصيح من خلفى « انت ايها الطفيلى » . لا أكتمك انى احسست بالمرارة .

مارينـــا : لاتفكر في هذا ياعزيزى . نحن جميعا طفيليون في نظر الرب . انت وسونيا والسيد ــ ليس منا من لايعمل . جميعنا نعمل ونتعب . نعم ، أين سونيا يا ترى ؟

تلجين : في الحديقة . لاتزال تبحث هى والطبيب عـــن فانيـــا . الجميـــع يخشون ان يضع حدا لحياته .

مارينـــا : وأين مسدسه ؟

تلجين : (هامسا) خبأته في القبو .

ماريـنـــا : (مبتسمة) يا لها من أمور غريبة !

(يدخل فانيا واستروف قادمين من الخارج)

فانيـــا : دعني وشأني ! (مخاطبا مارينا وتلجين) وانتما ايضا تفضلا بالخروج . الا استطيع ان انفـــرد بنفسي ساعة واحدة فقط ؟ انني أكره أن أكون موضع مراقبة .

تلجين : ساخرج حالا ، يا فانيا (يخرج على أطراف اصابعه) .

ماريـنـــا : انظر الى ذكر الاوز ــ عاد الى صياحه : جاـ ــ جا ــ جا ! (تجمع الصوف وتخرج)

فانيـــا : ألا تريد ان تخرج ؟

استروف : كم يسعدني ذلك . كان يجب أن ارحل منـــذ وقت طويل ولكنني أكرر ، لن اخرج حتّى ترد اليّ ما أخذته مني .

فانيـــا : لم آخذ منك شيئا .

استروف : انني جاد فيما أقول . ارجو ألا تعطلني . كان ينبغي ان أرحل منذ ساعات .

فانيـــا : قلت لك : لم آخذ منك شيئا .

(يجلسان)

استروف : أتصر على الانكار ؟ سأعطيك مهلة قصيرة ، وارجو الا تنزعج كثيرا ان لجأت معك الى العنف . سنقيدك ونفتش ملابسك . انني اتكلم جادا . صدقني .

فانيـــا : افعل ما يحلو لك ! (صمت) يا للعار ! لقد جعلت نفسي اضحوكة امام الناس . اطلقت عليه النار وأخطأته مرتين ! هذا ما لن اغفره لنفسي مطلقا !

استروف : اذا كان لديك كل هذا التصميم على قتل الناس ، لم لاتبدأ بنفسك ؟

فانيـــا : (يهز كتفه) هأنذا احاول ارتكاب جريمـــة ورغم ذلك لايفكر احد في القاء القبض عـــلى وإحالتي الى المحاكمة. وهذا يعني شيئا واحـــدا وهـــو انكـــم تعتقـــدون انـــني مجنـــون (يضحك بمرارة) . انا المجنون اذن . امـــا اولئك الذين يخفون بلاهتهم وتفاهتهم وتحجـر قلوبهم تحت قناع الاستاذية والعلم فليسوا مجانين واما النسوة اللاتى يتزوجن من مسنين ليخدعنهم

علانية فهن غير مجنونات – لاتنكر ذلك ، رأيتك وانت تقبلها ! نعم ، رأيتك !

استروف : نعم ، قبلتها . ولك ان تصب عليّ ماشئت من اللعنات .

فانيا : (يلقى نظرة على الباب) كلا . ان هذا العالم هو المجنون لانه يسمح لامثالكم ان يعيشوا فيه.

استروف : هذا اتفه ما سمعت .

فانيا : حسنا ، انا مجنون ولاأعتبر مسؤولا عما افعل، ومن حقى كمجنون ان اتفوه بالتفاهات .

استروف : هذه خدعة بالية . انت بكامل قواك العقلية . كل ما هناك هو انك مهووس ، احمق . كنت اظن ، فيما مضى ، ان كل من يصاب بالهوس حالة جنون . . . . حالة شاذة ، ولكنى غيرت رأيى بعد ان ثبت لى ان الهوس هو الحالة الطبيعية للانسان . انت طبيعى جدا .

فانيا : (يدفن رأسه بين يديه) أوه . يا للعار ! آه لو علمت مبلغ خجلى ! ان أى ألم يتضاءل امام هذا الشعور المرير بالعار . (بتعاسة) انه شيء لا يطاق

(ينحنى فوق المنضدة) ماذا يجب انأ فعـــل ؟
ماذا يجب أن أفعل ؟

استروف : لا شيء .

فانيـــا : اعطنى شيئا يخفف من ألمى ! يا الهى ! اننى في السابعة والاربعين . لو افترضنا اننى ســـأعيش لابلغ الستين فهذا يعنى ان امامى ثلاثة عشر عاما آخر . يا لها من مدة طويلة ! كيف يمكننى ان اتحمل الحياة ثلاثة عشر عاما آخر .ماذا أفعل ؟ كيف املأ فراغ هذه السنين ؟ أتفهمنى ؟(يضغط على يد استروف بعنف) أتفهمنى ؟ ما اجمل ان يحيا الانسان السنوات الباقية من عمره حيـــــاة جديدة .ان يصحو صباح يوم مشرق ويحس انه بدأ حياته من جديد، وينسى ماضيه الذى لم يعد له وجود . (ينفجر باكيا) اريد ان ابدأ حيـــاة جديدة . . . اخبرنى كيف وبم ابدؤها.

استروف : (متضايقا) تبا لك واحياتك الجديدة !حيـــاة جديدة حقا ! يا عزيزى ، ان وضعنا . . . انـــا وانت . . ... ميئوس منه .

فانيـــا : هل انت واثق مما تقول ؟

استروف : كل الثقـــة .

فانيـــا : اعطنى شيئا يخفف عنى .... (مشيرا الى قلبه) اشعر بألم محرق هنا .

اســـتروف : (يصيح غاضبا) كفى ! (بشىء من اللين) ان من سيعيشون بعدنا بمائة سنة او مائتين سيلعنوننا على هذه الحياة البليدة التافهة التى نحياها . لكنهم ربما يجدون طريقا الى السعادة .اما بالنسبة لى ولك . . . فليس امامنا ســـوى أمل واحد فقـــط — الا تؤرق الرؤى المزعجة راحتنا ونحن نرقـــد في قبرينا (متنهدا) نعم يا عزيزى، لم يكن في هذه المنطقة باجمعها سوى رجلين ذكيين مهذبين وهما انا وانت ولكن عشر سنوات من هذه الحياة العفنة التافهة تركتنا حطاما .ان ابخرتهـــا القذرة قـــد سممت دماءنا فأصبحنا لانختلف عن غيرنـــــا سوقية وغلظة (باهتمام) ولكـــن لا تحاول ان تلهينى ! . أعطنى ما أخذته منى .

فانيـــا : لم آخذ منك شيئا .

استروف : بل أخذت .أخذت زجاجة من المورفين مـــــن حقيبتى — حقيبة الادوية . (يصمت) اســـمعنى

جيدا . ان كنت تنوى ان تنتحر حقا فلمـــاذا
لا تذهب الى الغابة وتطلق النار على رأسك؟ ولكن
يجب ان تعيد لى زجاجة المورفين . والا كثر اللغط
حولى ، وراح الناس يفترضون ويستنتجون ، ثم
اتهم اخيرا بانني انا الذى قدمته اليك . يكفيني ان
اضطر الى معاينة جثتك بعد وفاتك ، أتظن انني
سأستمتع بذلك ؟

(تدخل سونيا)

فانيـــا : دعني وشأني !

استروف : (مخاطبا سونيا) خالك سرق زجاجة المورفين من
حقيبة الادوية وهو يرفض ان يعيدها. حاولى ان
تفهميه ان عمله هذا ليس من الذكاء في شيء. ثم
انى لاوقت عندى . لابد ان اذهب .

ســـونيا : هل أخذت زجاجة المورفين ياخال فانيا ؟
(صمت)

استروف : اخذها ، انا واثق من ذلك .

ســـونيا : أعدها . لماذا تريد ان تفزعنا ؟ (برقة) اعدها
يا خال فانيا ! قد اكون أتعس منك حالا ولكنني
لا استسلم لليأس . سأتجلد واتجلد الى ان تصل

حياتى الى نهايتها المحتومة. يجب ان تتجلد انت ايضا يا خال فانيا (تصمت) أعدها (تقبل يديه) اعدها ياخالى العزيز ، اعدها! (تنفجر باكية) انت رجل عطوف ،الا تأخذك الشفقة بنا وتعيدها من اجلنا . تجلد يا خالى ، تجلد !

فانيـــا : (يتناول الزجاجة من درج المنضدة ويقدمهـــا لاستروف) هاهى . خذها !) مخاطبا سونيـــا يجب ان أبدأ في العمل توًّا. لم أعد استطيــــع الاحتمال . . . . .

ســـونيا : نعم ، نعم . سنبدأ في العمل حالما يرحلون . ـــ (تنظم الاوراق فوق المنضدة بعصبية) لقد اهملنا كل شيء .....

استروف : (يضع الزجاجة في حقيبة الادوية ويشد احزمتها) والآن يمكنني ان أرحل .

يلينـــا : (تدخل) أأنت هنا يافانيا ؟ (تمسك بذراع فانيا) سنرحل الآن . اذهب لرؤية الكسندر. لديه شيء يريد ان يقوله لك .

سـونيا : اذهب ، يا خال فانيا (تمسك فانيا من ذراعه) هيّا اذهب . يجب ان نتصالح مع أبي. لابد من ذلك (يخرج فانيا وسونيا)

يلينـا : اني راحلة (تقدم يدها لاستروف) وداعا ،

استروف : بهذه السرعة ؟

يلينـا : العربة تنتظر عند الباب .

استروف : وداعـا .

يلينـا : لقد وعدتني بان ترحل اليوم .

استروف : لم أنس ذلك. انني اتهيأ للـرحيل (يصمت) . الا زلت خائفة؟ (يمسك بيدها) اكان الامـر فظيعا الى هذا الحد ؟

يلينـا : نعـم .

استروف : لماذا لاتمكثين ؟ ما رأيك؟ غدا نتقابل في المزرعة؟

يلينـا : لا . . . لقد انتهى كل شيء. . واستطيع الآن ان اواجهك بشجاعة لانني حسمت أمري . . . اريد ان اطلب منك شيئا واحدا . أن تحسن الظن بي . نعم ، اريد منك ان تحترمني .

استروف : ياللعنة! (يشير بيده بصبر نافد) لا ترحـلي ،

ارجوك ! ليس لديك ما تؤدينه في هذا العالم ، وليس لديك أى هدف في هذه الحياة ، ليس هناك مايشغل تفكيرك ، ولن يمضى وقت طويل حتى تتغلب عاطفتك عليك – هذا امر حتمى . اذن ألا تعتقدين ان من الانسب لك ان تكونى عند ئذ هنا في الريف وليس في خاركوف او كورسك؟ ان الحياة هنا اكثر شاعرية . كما ان الخريف هنا رائع . ثم هناك المزرعة والمنازل القروية المتداعية التى كان تور جنيف مغرما بوصفها .

يلينـــا : ياللك من مضحك ! اننى غاضبة منك ولكنى مع ذلك . . . سأذكرك بالخير انت رجل ممتع وتتمتع بالاصالة . وما دمنا لن نلتقى ثانية . . . اذن لم أخف عليك ؟ . لقد كنت أشعر نحوك بشيء من الحب ، واننى اعترف بذلك . فلنتصافح ، اذن، ولنفترق صديقين . لاتسيء الظن بى .

استروف : (يضغط على يدها) نعم . اظن من الافضل لك ان ترحلى . (متأملا) اعتقد انك انسانة طيبة صادقة الود ومع ذلك فان لك صفة غريبة تميزك هى جزء من طبيعتك . في اللحظة التى قدمت

فيها هنا مع زوجك ، بدلا من ان ينصرف كل منا الى عمله كالمعتاد ، وبدلا من ان نقـــوم بعمل شيء او ابداع شيء تخيلنا عن كل شيء. لم نفعل شيئا طوال الصيف سوى ملازمتك والاهتمام بنقرس زوجك . لقد سرت عدوى كسلكمـــا الينا . اما انا فقد همت بك حبا ولم اقم بأى عمل مدة شهر كامل وتركت الناس يعانون المرض وأخذ الفلاحون يرعون قطعانهم في غاباتى الـــتى غـــرستها منذ زمن قريب . وهكـــذا فحيثمـــا تحلين انت وزوجك فانكما لاتجلبان سوى الخراب والدمار . . . انني اقول هذا مازحا طبعا ، ولكنه مع ذلك ، أمر غريب .ثقى لو ان اقامتكما هنا طالت أكثر من هذا لكان الدمار مريعا ـ لتحطمت بلا شك ، واعتقد انك ايضا ما كنت لتفلتى دون ان يصيبك اذى . حسنا ـ لقد انتهت المهزلة .

يلينـــا : (تأخذ قلما من فوق منضدته وتخفيه بسرعة) . ساحتفظ بهذا القلم على سبيل التذكار .

استروف : ما اغرب هذا . . كنا نلتقى ، وفجأة ، ولسبب لانعرفه لن يرى احدنا الآخر ثانية . هكذا الامور

في هذه الدنيا ، ولكن بما اننا على انفراد وقبل ان يدخل الخال فانيا حاملا باقة زهوره ، اسمحى لى ان أقبلك قبلة الوداع . . . نعم ؟ (يطبع قبلة على وجنتها) حسنا –، لقد انتهى كل شيء .

يلينــــا : اتمنى لك كل السعادة (تتلفت حولها) أوه، لن أبالى ! ! مرة واحدة في حياتى !
(تحتضنه بعنف ثم يرتد كل منهما الى الخلــف مبتعدا عن الآخر) لابد أن اذهب .

استروف : أسرعى بالذهاب . اذا كانت العربة جاهزة – فالافضل ان ترحلى .

يلينــــا : اظن انهم قادمون (ينصتان) .

استروف : هذه هى النهاية ! (يدخل سيربرياكوف وفانيا وماريا فوينتسكى وهى تحمل كتابا ، ثم تلجين وسونيا)

سيربرياكوف : (مخاطبا فانيا) لنصفح ولننس الماضى . لقد مرت بى خلال الساعات الاخيرة نتيجة مــا حدث أشياء كثيرة وفكرت في امور كثيرة حتى صرت اعتقد اننى استطيع ان اكتب بحثا

كاملا عن فن التعايش لتستفيد منه الاجيال — القادمة . انني اقبل اعتذارك بكل سرور . وانا ايضا اعتذر بدوري . والآن وداعا .
(سيربرياكوف وفانيا يقبل كل منهما الآخر ثلاث مرات) .

فانيـــا : سأرسل لك نفس المبلغ الذي كنت ارسله اليك من قبل ، وبكل انتظام ، لن يتغير شيء عما كان عليه . (يلينا تحتضن سونيا)

سيربرياكوف : (مقبلا يد ماريا فوينتسكي) . وداعا ياحماتي.

مـــاريا : خذ لنفسك صورة جديدة يا الكسندر وارسلها لي . انت تعرف جيدا مقدار اعزازي لك .

تلجين : وداعا يا سيدي . لاتنسنا !

سيربرياكوف : (مقبلا ابنته) وداعا ... اودعكم جميعـــا فردا فردا ! (مصافحا استروف) اشكرك على ان اتحت لنا متعة صحبتك . انني أحترم طـــريقتك في النظر الى الامور وأحترم حماسك ودوافعك ، ولكن أرجو ان تسمح لرجل عجوز مثلي أن يضيف ملاحظة واحدة فقط الى كلمة الوداع : يجب ان نعمل ، سيداتي وسادتي .

يجب ان نعمل ! والآن وداعا . (يخرج — سيربرياكوف ، تتبعه ماريا فونيتسكي وسونيا)

فانيـــا : (يقبل يد يلينا بحرارة) وداعا .... ارجو المغفرة .... لن نتقابل بعد اليوم ...

يلينـــا : (بتأثر كبير) وداعا . يا عزيزى ...(تقبل رأسه وتخرج) .

استروف : (مخاطبا تلجين) اطلب منهم يا وافلز ان يعدوا لى عربتى انا الآخر .

تلجين : بكل تأكيد يا عزيزى . (يخرج — ويبـقى استروف وفانيا وحدهما) .

استروف : (يجمع الوانه من فوق المنضدة ويضعهـا في حقيبته) لم لاتذهب لوداعها ؟

فانيـــا : فليرحلا ... أنا ... انا لااستطيع ...اشعر با نقباض ... يجب ان أبدأ العمل سريعا ... يجب ان افعل شيئا — اى شيء . الى العمل ! الى العمل ! (ينقب بين الاوراق الموضوعة على المنضدة)

(صمت . تسمع اصوات اجراس وهم يسرجون الجياد) .

استروف : لقد رحلا . لا يدهشني ان يكون الاستاذ سعيدا بالرحيل . ان كل اموال الارض لتعجز عن اقناعه بالرجوع الى هنا ثانية .

مارينا : (تدخل) لقد رحلا ! (تجلس في مقعد مريح وتحيك جوربا لها) .

سونيا : (تدخل) لقد رحلا ! (تمسح الدموع من عينيها) ارجو لهما التوفيق . (مخاطبة خالها) . حسنا يا خال فانيا . دعنا نعمل شيئا . . . . .

فانيا : الى العمل . . . الى العمل . . . .

سونيا : يبدو كأن دهورا قد انقضت منذ جلسنا معا لآخر مرة الى هذه المنضدة (تضيء المصباح الموضوع على المنضدة) لا أظن ان لدينا حبرا . . . . (تحمل المحبرة وتتجه نحو الدولاب ، تملؤها بالحبر) اني أشعر بالاكتئاب لرحيلهما .

مارينا : (تدخل متمهلة) لقد رحلا ! (تجلس وتستغرق في قراءة كتابها) .

سونيا : (تجلس الى المائدة وتقلب صفحات دفتر الحسابات) لنبدأ يا خال فانيا بجمع الفواتير . لقد

اهملناها كلية . أرسل احدهم اليوم يطلب حسابه ثانية . لنبدأ . امسك انت احد الدفاتر وسأمسك انا الآخر .

فانيــا : (يكتب) لحساب . . . . . السيد . . . . .
(الاثنان يكتبان في صمت) .

مارينــا : (متثائبة) انني أشعر بالنعاس . . . .

استروف : الهدوء شامل . لا أسمع سوى صوت الاقــلام وصرير الجدجد. المكان دافئ ومريح . . . . كلا ، انى لا أرغب في الرحيل . . . (يسمع صوت اجراس وهم يسرجون الجياد) ها قد وصلــت عربتى . . . حسنا ايها الاصدقاء لم يبق لى سوى ان اودعكم وأودع منضدتى وارحل !
(يضع الخرائط في الحقيبة) .

مارينــا : لا داعى للعجلة . اجلس .

استروف : آسف يا دادة ، لا استطيع .

فانيــا : (يكتب) المتبقى من الحساب الســابق رو بلان وخمسة وسبعون كوبكا . . . . .
(يدخل احد العمال) .

العامــل : العربة تنتظر يا سيدى الطبيب .

استروف : اعلم ذلك (يناوله حقيبة الادوية وحقيبة الملابس وحقيبة الاوراق) خذ هذه ـ انتبه ـ احمـل حقيبة الاوراق بعناية .

العامــل : حسنا يا سيدى (يخرج) .

استروف : حسنا ، لقد انتهى كل شىء .

ســونيا : متى ستعود لزيارتنــا ؟

استروف : لن يكون ذلك قبل الصيف القادم . على ما أظن والشتاء مستبعد ، ولكن ان دعت الضرورة ، فا تصلى بى آت اليكم . (يصافحها) اشكرك على كرمك ولطفك . . على كل افضالك . (يتجه نحو المربية ويقبل رأسها) وداعا يــا عزيزتى .

مارينــا : هل تذهب دون ان تتناول شيئا من الشاى ؟

استروف : اعفينى ، يا دادة .

مارينــا : مارأيك في كأس من الفودكا ، أظنك لــن تمانع في ذلك ؟

استروف : (مترددا) اشكرك ، لامانع عندى . . .

(تخرج مارينا ــ صمت)ان احد جيادى مصاب بعرج خفيف . لاحظت ذلك بالامس عندما كان بتروشكا يقوده الى الماء .

فانيــا : ينبغى عليك ان تعيد حدوه .

استروف : لابد لى من زيارة الحداد في روزتفى . يبدو أنه لابد من ذلك (يتجه نحو خريطة افريقيا المعلقة على الحائط وينظر اليها) . اعتقد ان الحرارة في افريقيا لاتطاق الآن . شنيعة !

فانيــا : اظن ذلك .

مارينــا : (تعود وهى تحمل طبقا عليه كأس من الفودكا وقطعة من الخبز) تفضل . (استروف يشرب الفودكا) في صحتك يا عزيزى (بانحناءة مبالغ فيها) تناول معها شيئا من الخبز .

استروف : لا ، شكرا . انى افضلها هكذا . حسنا ، والآن وداعا ! (مخاطبا مارينا) لالزوم ــ لتوديعى حتى الباب يا دادة . (يخرج . تتبعه سونيا لتوديعه وهى تحمل شمعة . مارينا تجلس في مقعد مريح) .

فانيـــا : (يكتب) الثانى من فبراير : زيت كتان ، عشرون رطلا ... السادس من فبراير :زيت كتان مرة أخرى ، عشرون رطلا ... دقيق قمح ....
(صمت . يسمع رنين اجراس سرج جواد)

مارينـــا : لقد رحل . (صمت ـ تدخل سونيا وتضع الشمعة على المنضدة) .

ســـونيا : لقد رحل ...

فانيـــا : (يحسب بمساعدة جهاز العد ويكتب) الجملة : خمسة عشر .... خمسة وعشرون ....
(سونيا تجلس وتكتب)

مارينـــا : (متثائبة) اللهم ارحمنا ....
(يدخل تلجين على اطراف اصابعه . يجلس قريبا من الباب ، يضبط اوتار قيثارته برفق) .

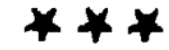
فانيـــا : (مخاطبا سونيا وهو يداعب شعرها بيده) . انى في غاية التعاسة يا بنيّتى ! آه لو تعلمين مقدار تعاستى !

ســـونيا : ما باليد حيلة . يجب ان نواصل الحياة رغـــم

تعاستنا ! (تصمت) سنستمر في العيش يا خال فانيا . سنعيش اياما طويلة وليالى موحشة. سنصبر على ما يخبئه لنا الدهر من محن . سنعمل لخدمة الآخرين دون كلل في شبابنا وفى — شيخوختنا . وعندما يحين اجلنا فسوف نستقبل الموت دون شكوى . وهناك من وراء القــبر سندرك ان حياتنا كانت مليئة بالالام والشقــاء والكفاح المرير ، وسيشملنا الله برحمته وينعم علينا أنا وأنت يا خال فانيا ، بحياة جديدة ، مشرقة ، جميلة ، سعيدة . وستغمر السعادة قلبينا ونلقى نظرة حانية الى الوراء ونبتسم لما كنا نعانيه من شقاء وحرمان ، فننعم بالراحة . . . انى أومن بذلك ، ياخال ، بحرارة وحماس. أومن به ! (تلجين يعزف برقة على القيثارة) سننعم بالراحة ! سنسمع تسبيح الملائكة ، ونرى السماء صافية تتلألأ بنجومها . وعندها يتلاشى شقاء هذا العالم وشروره أمام رحمة تشمل العالم اجمع ، وتصبح حياتنا آمنــة ، وادعة ، حلوة كالبسمة . انى اومن بذلك ، صدقنى ، اومن به . (تمسح دموعه بمنديلها)

مسكين انت يا خال فانيا ، انك تبكى . . .
(دامعة) انك لم تذق في حياتك للسعادة طعما
ولكن صبرا يا خال فانيا . . . . صبرا فسوف
ننعم بالراحة . . . (تحتضنه) . سننعم –
بالراحة ! (تلجين يعزف برقة – ماريـا
فونيتسكى تكتب على هامش كتابها – مارينا
تحيك جوربها) سنستريح !

يسدل الستار ببطء





الموضوع	رقم الصفحة

ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	مانويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	چان آنوى	القبّرة (چان دارك)
٣	هال پورتر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الأزياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تيرى مونييه	سباك الملوك
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعـود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجـولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦	موليير	من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راليجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	سوفوكل	نساء تراخيس
٢٧	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل پونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١	جورج شحادة	١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان .	انتصار حورس
٣٣	جورج برنادر شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية
		١ – قرافة السيارات
		٢ – فاندو وليز
		٣ – الشجرة المقدسة
٣٥	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل – ٢
		١ – اوديب الملك
		٢ – اوديب في كولون
		٣ – اليكترا
٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو–
		١ – اليكترا
		٢ – لن تقع حرب طروادة
٣٧	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو–١
		١ – المغنية الصلعاء
		٢ – [illegible]
		٣ – [illegible] الامتثال
		[illegible] البيض
		٥ – الكراسي
٣٨	كوبر – تشيرشل – [illegible] شارب – بيرمانج	[illegible]
٣٩	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل –٢
		١ – روما لم تعد في روما
		٢ – المحراب المضيء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ – شيطان الغابة
		٢ – الخال فانيا

في هذا العدد

* شيطان الغابة
* الخال فانيا — تأليف : انطون تشيخوف

نقدم في هذه السلسلة لأول مرة مسرحيتين من المسرح الروسي للكاتب الكبير انطون تشيخوف الذي يعد بحق من أصدق كتاب عصره وأكثرهم واقعية في معالجة مشاكل روسيا القيصرية — قبل الثورة — من ظلم وارهاب وتعسف .

ونحن هنا نقدم لقراء هذه السلسلة مسرحيتين تمثلان حقبتين مختلفتين من تطور أعمال تشيخوف وفنه المسرحي . فالمسرحية الاولى « شيطان الغابة » تمثل الحقبة الاولى من تطوره والتي كتبها تحت تأثير القوانين المسرحية التقليدية والتي أطلقنا عليها اسم «مسرحيات الحركة المباشرة أو الظاهرة » . أما مسرحية «الخال فانيا» فتعتبر من أروع مسرحيات « الحركة غير المباشرة » الناضجة ، كما انها تبرز ما يتمتع به هذا الكاتب المسرحي الخلاق من فن وعمق وأصالة .